

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

الرسالة
الجمعة

السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الأفريقي

1839-1914

رسالة تقدمت بها

سؤدد كاظم مهدي العبيدي

الى

مجلس كلية الاداب - جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث

بإشراف

الأستاذ الدكتور

صادق حسن السوداني

٢٠٠٢م

١٤٢٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا
العلم درجات والله بما تعملون خبير

صدق الله العظيم
سورة المجادلة الآية [١١]

اشهد بان هذه الرسالة تمت تحت اشرافي في قسم التاريخ/ كلية الاداب/
جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه - اداب في
التاريخ الحديث.

التوقيع :

المشرف : الاستاذ الدكتور صادق حسن السوداني

التاريخ : / / ٢٠٠٢

وبناء على التوصيات أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:

الاسم : الاستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب

التاريخ : / / ٢٠٠٢

رئيس قسم التاريخ

شكر وتقدير

بعد أن انعم سبحانه وتعالى علي بإنجاز هذه الدراسة، يقضي جميل العرفان والوفاء أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان الى كل من مد لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذا البحث، وهم بلا شك كثير، يأتي في مقدمتهم أستاذي الفاضل الدكتور صادق حسن السوداني الذي أتقدم اليه بوافر الشكر والتقدير لما شملني به من خلق كريم وجهد صادق وتوجيهات قيمة وسديده، التي تواصل في تقديمها لي برحابة صدر لا تنسى حتى أنجزت مهمتي، فجزاه الله عني خير جزاء واسبغ عليه ثوب العافية، وأدامه ذخراً لطلبة العلم والباحثين.

ويتوجب الاعتزاز والافرار بالفضل والوفاء أن أتقدم بكلمة شكر وتقدير الى أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم في السنة التحضيرية، وهم كل من الأستاذ الدكتور هاشم صالح التكريتي والأستاذ الدكتور صالح العابد والأستاذ الدكتور صادق حسن السوداني والأستاذ الدكتور نوري السامرائي والأستاذ الدكتور ابراهيم العبيدي والاستاذ الدكتور رجاء حسين الخطاب والاستاذ الدكتور نوري عبد الحميد العاني. كما يشرفني ان اتوجه بالشكر والتقدير الى الأستاذ الفاضل الدكتور كمال مظهر احمد الذي كان له الفضل في تدريسي لاصول البحث التاريخي في مرحلة الماجستير.

ويسرني أن أشير وبخالص الشكر والامتنان الى أساتذتي في مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، وخص بالذكر منهم الأستاذ كنعان خورشيد عبد الوهاب، الذي اكرمني بعض جهده ووقته وقدم لي يد المساعدة والعون لتسهيل مهمتي هذه، كما انتقدم بالثناء العطر الى الأستاذ طلعت نوري علي والأستاذ الدكتور محمود علي الداود والدكتور شكري محمود نديم، والأستاذ عبد الحافظ عبد الواحد، والأستاذ عبد الوهاب القصاب، الذين كان لهم دوراً في حثي على المزيد من المثابرة والجهد، كما لا يفوتني أن اذكر مساعدة الاخ الدكتور علي خضير المشايخي الذي تفضل مشكوراً بتزويدي بمجموعة من المصادر المهمة.

أُتقدم بالشكر الى جميع الأخوات العاملات في مكتبة قسم التاريخ -كلية الأداب ومكتبة كلية الأداب ومكتبة الدراسات العليا، وأخص بالذكر الست نجاه علوان رضا، والمكتبة المركزية الأولى والثانية في جامعة بغداد، والمكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية ومكتبة مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، والمكتبة الوطنية ومكتبة العلوم السياسية، ومكتبة معهد القائد المؤسس، ومكتبة الموسوعة العربية، ومكتبة بيت الحكمة، كما اتقدم بالشكر الى مكتبة المركز الثقافي السوداني ومكتبة معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة ومكتبة عبد الحميد شومان (الأردن) ومكتبة الخليج العربي (أبو ظبي) الذين تفضلوا بتزويدي ببعض المصادر الحديثة.

ولا يفوتني ان اشكر كل من مد لي يد العون وأخص بالذكر أخواتي وزميلاتي العزيزات شيماء سالم عبد الصاحب والدكتورة شذى زكي والدكتورة نوار محمد ربيع وسمر رحيم نعمة، كما يسرني ان اتقدم بجزيل الامتنان والتقدير الى الأخت نجاه مهدي لتفضلها مشكورة بطباعة الرسالة.

اخيراً اتقدم بعظيم امتناني وخالص تقديري الى افراد عائلتي الذين غمروني بمحبتهم ورعايتهم طوال مدة دراستي والى جميع من قدم لي يد المساعدة ممن لا يتسع المجال لذكر أسمائهم داعية المولى أن يوفق الجميع... انه سميع عليم.

الباحثه

المقدمة

هذه الرسالة محاولة لدراسة السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الافريقي، في ابرز مرحلة شهدتها المنطقة في العصر الحديث، وهي السنوات الواقعة بين الاحتلال البريطاني لعدن في ١٨٣٩ وبداية الحرب العالمية الاولى في ١٩١٤، والتي تميزت بنقطتين مهمتين: الاولى انها تتناول حقبة من الصراع الشديد بين الدول الكبرى من اجل تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، التي كان القرن الافريقي احد ميادينها، والاخرى ان منطقة القرن الافريقي اصبحت، بعد افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية في ١٨٦٩، ميداناً ساخناً لصراع القوى الاقليمية والكبرى ومواجهاتها ومناوراتها من اجل تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية المتزايدة، بفعل الثورة الصناعية في اوربا، الامر الذي دفع ببريطانيا إلى أن تسعى جاهدة لاغتنام الفرص واتباع سياسة حذرة ومرنة في السيطرة على المناطق الاستراتيجية والمهمة ولمصالحها في الشرق، يشجعها على ذلك تفاقم الاوضاع الاقتصادية والسياسية في الدولة العثمانية سوءاً.

تداخلت مجموعة من العوامل في اختيار "السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الافريقي" موضوعاً لدراستي، اذ على الرغم من حيوية الموضوع واهميته، الا انه لم يحظ بدراسة علمية مستقلة في قطرنا او في الدول العربية، على قدر علمي، بل ان الدراسات التاريخية المعنية بتاريخ الوطن العربي الحديث، التي صدرت في القطر اهتمت بمنطقتي المشرق والمغرب العربيين، وتجاوزت دول منطقة القرن الافريقي، مع ان هذا الموضوع يمثل ضمن اطاره الزمني مرحلة قائمة بذاتها، وذات جوانب غنية بالعبر والدروس، يمكن تناولها في بحث علمي مستقل ليشكل بالتالي حلقة متواصلة في سلسلة الدراسات الافريقية الحديثة والمعاصرة، التي توجّهت عناية مؤسساتنا الاكاديمية اليها في الآونة الاخيرة، لتسد بذلك النقص الملحوظ الذي تعاني منه مكتبتنا التاريخية في مثل هذه الدراسات.

ركزت الدراسة اهتمامها الرئيس على تتبع اهداف السياسة البريطانية ومفاهيمها تجاه منطقة القرن الافريقي ومن القوى المتنافسة على المنطقة، من خلال متابعة دوافع واتجاهات ونتائج هذه السياسة على المنطقة، لاحراز مكانة

متميزة بين الدول الاقليمية والاوربية، المتنافسة على مقدراتها الاستراتيجية التي برزت على الساحة الدولية بعد ١٨٦٩.

تحكم في طول الحقبة الزمنية التي تناولت موضوع الرسالة، **عاملان**:

الاول: طبيعة العوامل الخارجية المتعلقة بمنطقة القرن الافريقي، ومنها الموقف البريطاني بشكل خاص، الذي فرض توجهاً عاماً على معظم دول منطقتي البحر الاحمر والقرن الافريقي، منذ الاحتلال البريطاني لعدن في ١٨٣٩ حتى باتت المرحلة التي نحن بصدها انعكاساً لما يحدث في منطقة البحر الاحمر من تطورات. اما العامل **الثاني**: فحدده طبيعة مادة الموضوع المتشعبة، بسبب اتصاله بجميع القوى المحلية والاقليمية فضلاً عن الاوربية الاستعمارية التي دخلت بدورها في علاقات متنوعة مع المنطقة. ولذلك آثرنا بحث الموضوع وفق تسلسل زمني محدد، معتمدين في ذلك على البدايات الاولى لظهور القوى المتنافسة في المنطقة، لاهمية تأثيرها في سير التطور التاريخي للمنطقة، وطبيعة تطورات مادة موضوع الدراسة.

تألفت الدراسة من مقدمة واربعة فصول وخاتمة، خصصت **الفصل الاول** منها لتسليط الضوء على اهم القوى المتنافسة في منطقة القرن الافريقي قبل العام ١٨٣٩، لكونها تشكل خلفية تاريخية لموضوع الدراسة، والاساس الذي قامت عليه اتجاهات السياسة الخارجية البريطانية في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر تجاه منطقة القرن الافريقي.

أما **الفصل الثاني** الذي شمل المرحلة الاولى من السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الافريقي، ضمن الاطار الزمني المنحصر بين الاحتلال البريطاني لعدن في ١٨٣٩ وافتتاح قناة السويس في ١٨٦٩ فهو يتناول العوامل التي دفعت بريطانيا للوقوف رقيباً ومنافساً للنشاط الفرنسي في الصومال واثيوبيا وارتيريا من جهة، والنشاط المصري في ارتيريا من جهة اخرى، وكيف اتخذ المسؤولون البريطانيون من عدن قاعدة لبسط نفوذهم على ساحل الصومال المقابل لعدن من خلال عقد معاهدات حماية مع شيوخ الصومال في مستهل هذه المرحلة، ومركزاً متقدماً للتصدي للمشكلات التي تواجهها، واستخدامها أسلوب الضغط السياسي

والدبلوماسية للوقوف بوجه حقوق السيادة العثمانية على المنطقة، والمحاولات الفرنسية لبسط نفوذها، ومنتبع في هذا الفصل أيضاً موقف بريطانيا اتجاه اثيوبيا، ذلك الموقف الذي تطور من الاسلوب الدبلوماسي الى استخدام القوة وعلان الحرب ضدها في ١٨٦٧/١٨٦٨، وذلك انطلاقاً من نظرتها وتقديرها للاستعدادات البريطانية تجاه المنطقة بشكل عام، والرامية الى ابعاد اية قوة اوروبية او اقليمية عن المصالح البريطانية في المنطقة، خاصة مع افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية.

وعالج **الفصل الثالث** سياسة بريطانيا تجاه التوسع المصري والنشاط الايطالي في منطقة القرن الافريقي بعد افتتاح قناة السويس وحتى احتلال بريطانيا لمصر في ١٨٨٢، وتطور الاحداث بعد فتح القناة، التي كان لها الاثر العميق في تحول نظرة البريطانيين في بريطانيا والهند وعدن، بالنسبة للمنطقة من حيث كونها مجرد مراكز تموينية ودفاعية لحماية عدن الى الاقتناع الكامل باهميتها كقواعد بحرية وعسكرية مهمة في منطقة البحر الاحمر. كما يوضح هذا الفصل تبالين آراء المسؤولين البريطانيين بين دعم حقوق السيادة المصرية-العثمانية على اريتريا والصومال وبين اتخاذ موقف معاد تجاه النشاط المصري هناك، الذي اخذ يطالب، استناداً الى عدد من الفرمانات السلطانية الصادرة حينذاك، بحقوق السيادة على الساحل الغربي للبحر الاحمر وساحل الصومال المقابل لخليج عدن. الا ان هذا الاختلاف قد حسم لصالح دعم السيادة المصرية العثمانية تحت تأثير النشاطين الفرنسي والايطالي والموقف العام كله في المنطقة.

وتناول **الفصل الرابع** سياسة بريطانيا في اخرج مراحل التنافس الاستعماري على منطقة القرن الافريقي واشدها تصعيداً بين ١٨٨٢ و١٩١٤، اذ تبدأ بريطانيا، بعد ان رجحت كفتها في الميزان الدولي في منطقتي البحر الاحمر والمتوسط بعد الاحتلال البريطاني لمصر في ١٨٨٢، بالضغط على الحكومة المصرية للانسحاب من الملحقات المصرية في منطقة القرن الافريقي، وبالتحالف مع الايطاليين بعد ان صارت الحكومة البريطانية لا تجد غضاضة في العمل على تشجيع الايطاليين ليمدوا نفوذهم هناك لتطويق النشاط الفرنسي وعزله في الصومال الفرنسي، وذلك

في خضم اشتداد المنافسة البريطانية-الفرنسية الاستعمارية في منطقة البحر الاحمر والقارة الافريقية بوجه عام. وعلى الرغم من ان بريطانيا لم تشترك في عمليات عسكرية في منطقة القرن الافريقي لتقسيم المنطقة بين الدول الاستعمارية: فرنسا، وايطاليا، واثيوبيا، الا ان ثورة المله محمد بن عبدالله وتداعياتها على الصومال بشكل عام في المدة بين ١٨٩٤ و١٩١٤، جعلت الاوضاع البريطانية الداخلية في محمية الصومال البريطانية، تهتز بقوة في المرحلة الاخيرة، وتدفع نحو تجهيز الحملات العسكرية في محاولة لاقماد تلك الثورة.

اعتمدت الرسالة على مجموعة متنوعة من المصادر يأتي في مقدمتها الوثائق البريطانية غير المنشورة، ولعل ابرزها مذكرة تألفت من (٦٤) صفحة صادرة عن وزارة الخارجية البريطانية ومؤرخة في ٥ آذار ١٨٧٤ تحت عنوان:-

“Memorandum on the Turkish claim to Sovereignty over the Eastern shores of the Red sea and the whole of Arabia: and on the Egyptain claim to the whole of the western shores of the same sea including the African Coast from Suez to Cape Guardafui”.

ويبين هذا التقرير الموقف البريطاني تجاه مسألة الادعاءات العثمانية بالسيادة على الساحل الشرقي للبحر الاحمر والادعاءات المصرية بالسيادة على الساحل الغربي للبحر ذاته، بما في ذلك الساحل الافريقي من السويس الى رأس غردافوي، ومعالج السياسة البريطانية وتطور اتجاهاتها تجاه المنطقة في ظل التنافس الدولي. وتعود اهمية هذا التقرير بالنسبة لموضوع البحث الى غزارة ما يحتويه من معلومات عن السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الافريقي منذ الاحتلال البريطاني لعدن في ١٨٣٩ ولغاية عام ١٨٧٣، عندما توجهت السياسة البريطانية انطلاقاً من عدن لبسط نفوذها على سواحل الجزيرة العربية من جهة، والساحل الافريقي المطل على البحر الاحمر من جهة اخرى.

وتضاف الى هذا التقرير وثيقتان من سجلات وزارة الخارجية البريطانية،

الاولى:-

“Memorandum embracing the information at the disposal of the Government of India on the subject of the Tajoura, Zaila and Berbera treaties, and the more recent question of Turkish and Egyptian interference at Bulhar, Berbera, Communicates the opinion of the Egyptian claim to sovereignty over the entire Somalee Coast”.

وهذه المذكرة عبارة عن مراسلات بين المقيمين البريطانيين في عدن وحكومة الهند في المدة الواقعة بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٧٤، توضح معالم السياسة البريطانية تجاه بربرة، وزيلع، وتاجورة، واثيوبيا بوجه عام في ظل التنافس البريطاني-الفرنسي على تلك المناطق والمناطق المحيطة بها، وجهود البريطانيين لعقد الاتفاقيات مع شيوخ ساحل الصومال المقابل لعدن واثيوبيا، للحيلولة دون امتداد النفوذ الفرنسي لها، بما يهدد طريق الاتصال بين عدن والهند، ويعرض الوجود البريطاني في عدن للخطر. كما تشير المذكرة الى موقف البريطانيين ازاء مسألة السيادة العثمانية على تلك المنطقة وتجارة الرقيق، هذا فضلاً عن الضوء الذي تلقيه طبيعة المصالح البريطانية وابعادها في اثناء المطالب المصرية السيطرة على المنطقة في ظل السيادة العثمانية عليها.

والوثيقة الاخرى:

“Memorandum on the Subject of the Relation between the British Government and the Tribes on the African Coast of the Red Sea and the straits of Babe. el. Mandeb, and the Preceedings of the Egyptian Government towards The Somalee Tribes”.

وتوضح هذه المذكرة السرية المرفقة برسالة الى اللورد سالزبري وزير الهند، والتي اعدّها القسم السياسي السري بوزارة الهند في اذار ١٨٧٥، طبيعة موقف حكومة الهند تجاه ساحل الصومال المقابل لعدن، ومن الادعاءات العثمانية المصرية بالسيادة على المنطقة. كما تشير الى العلاقات القائمة بين الحكومة البريطانية والقبائل الصومالية المطلة على خليج عدن من خلال استعراض جميع الاتفاقيات التي عقدتها حكومة الهند مع شيوخ تلك المنطقة في

١٨٤٠ و ١٨٤١ و ١٨٥٦، هذا مع التركيز على مسألة التدخل المصري في بربرة والوضع العام فيها وموقف حكومة الهند منها.

اعتمدت الرسالة ايضاً على وثائق منشورة منها على سبيل المثال، الكتاب الوثائقي "الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر ١٨٦٣-١٨٧٩" لمؤلفه الدكتور شوقي عطا الله الجمل، الذي افدنا كثيراً من قيمته العلمية في توضيح جانب مهم من الحقائق المتعلقة بتنفيذ السياسة المصرية التي اتبعتها حكومة الخديوي اسماعيل في السيطرة على شرق افريقيا، والوامر الصادرة للموظفين المكلفين بتنفيذ سياسة الحكومة المصرية. وعلى الرغم من ان الوثائق المنشورة قد اتخذت طابعاً موحداً لطبيعة تطور الاحداث وحسب التسلسل الزمني، الا ان الوثائق قد أرخت في الاصل بالتاريخ الهجري.

اسهمت مؤلفات الباحثين الاثيوبيين عن تاريخ اثيوبيا بدور متميز بين مصادر الرسالة، وما يميز هذه المؤلفات اعتمادها على وثائق متنوعة واصيلة، نذكر منها بشكل خاص كتاب **Rubenson** المعنون بـ (The Survival of Ethiopian Independence) الذي قدم فيه معلومات تفصيلية عن تاريخ اثيوبيا في القرن التاسع عشر، وركز بصورة رئيسة على تطور العلاقات الاثيوبية مع الدول الاوربية والاقليمية في تلك المرحلة، وتحديدده بدقة لموقف بريطانيا تجاه اثيوبيا، معتمداً في اعداد مؤلفه على الوثائق المتنوعة. ومع ان اهمية الكتاب تكمن في المعلومات التي لا غنى عنها، الا انها لا تخلو من العاطفة واللاموضوعية في معالجة بعض المواقف الخاصة تجاه المسلمين والعرب.

ومن الدراسات المعنية ايضاً بتاريخ اثيوبيا كتاب **Jones and Monroe** المعنون (History of Ethiopia)، الذي تميز بشمولية احداثه وغنى معلوماته لبعض المواضيع التي دخلت صلب الرسالة، خاصة فيما يتعلق بالجهود البريطانية للاتصال باثيوبيا ومحاولات الرؤوس الاثيوبيين لاقامة علاقات مع بريطانيا، والتطورات الداخلية في عهدي ثيودور الثاني ومنليك الثاني. وقد جاءت مفردات الكتاب بشكل عام معبرة عن نظرة الاثيوبيين الخاصة تجاه المنطقة، النابعة من

سياسة التوسع تجاه ارتيريا والصومال منذ مطلع القرن التاسع عشر الى العام ١٩٣٤، والذي مثل الاطار الزمني لموضوع الكتاب.

كما شكلت مؤلفات الباحثين عن تاريخ منطقة البحر الاحمر تكاملاً مع مؤلفات الاثيوبيين، مما أتاح لنا فرصة الاطلاع على وجهات نظر متعددة وساعدنا على الوصول الى بعض الحقائق التي توصل اليها البحث، ومنها بشكل خاص كتاب **Marston** المعنون *Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800-1878*. الذي عرض فيه جهود البريطانيين في البحر الاحمر منذ اتصالهم بالمنطقة في مطلع القرن السابع عشر الى العام ١٨٧٨، وتطورات السياسة البريطانية تجاه المنطقة في ساحلها الشرقي والغربي. وبشكل اعتمد على البحث والتحليل لدراسة اهداف السياسة البريطانية، فرفد الرسالة بمعلومات لا غنى عنها عن مواقف السلطات البريطانية تجاه القوى المحلية والاقليمية والاوربية بدءاً بالحملة الفرنسية على مصر في ١٧٩٨، ومروراً بالتوسع في شبه الجزيرة العربية واليمن، وانتهاء بالتنافس الفرنسي في المنطقة والنشاط الايطالي، ولكن مما يؤخذ على هذا الكتاب خلوه من الخرائط والملاحق بالموضوع، على الرغم من ان مصادره قد جمعت من دول عديدة.

وفي اطار تحليل مصادر الرسالة المعنية بمنطقة البحر الاحمر، لا بد من الاشارة الى بعض المؤلفات التي كان لها اهمية في دراستنا هذه، منها كتاب *Sultans of Aden* لمؤلفه **WaterField**، الذي كرس اهتمامه لبحث الظروف المختلفة التي احاطت بالسياسة البريطانية في منطقة البحر الاحمر في مطلع القرن التاسع عشر، والجهود البريطانية لبسط نفوذهم على اثيوبيا والصومال، بعد الاحتلال البريطاني لعدن في ١٩٣٩، بعد الاحتلال البريطاني لعدن في ١٨٣٩. كما ركز الكتاب بصورة رئيسه على الاحداث التي جرت في المنطقة في ظل التنافس البريطاني-الفرنسي. ومما لاشك فيه ان الكتاب قد عبر في مضمونه عن وجهة نظر بريطانية الخاصة تجاه الاحداث في المنطقة، وسبل مواجهة وكبح اية قوة محلية او اقليمية للتصدي بوجه الوجود البريطاني، لا سيما في عدن.

أما المؤلفات الصادرة عن تاريخ الصومال، فقد اسهمت بدور مهم في مصادر الرسالة، مثل مؤلف **جلال يحيى** "التنافس الدولي في بلاد الصومال" الذي سلط الضوء على الصراع بين الدول الأوروبية لاقتسام الصومال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وركز بصورة رئيسة على سياسة الحكومة البريطانية تجاه طبيعة ذلك الصراع، والخطط والاستعدادات التي تبنتها السلطات البريطانية في عدن والهند للحفاظ على مصالحها تجاه التنافس الفرنسي في المنطقة. وعلى الرغم من أهمية المعلومات الواردة فيه، إلا أنها كانت مكررة في كتب المؤلف الأخرى المذكورة في قائمة المصادر.

وافادت الرسالة أيضاً من كتاب المؤلف **رجب حراز** عن ارتيريا والصومال وهو "التوسع الإيطالي في شرقي أفريقيا وتأسيس مستعمرتي ارتيريا والصومال"، الذي تضمن معلومات تفصيلية عن دور القوى الكبرى، وخاصة إيطاليا في عملية تقسيم منطقة القرن الأفريقي، والتنسيق البريطاني-الإيطالي لاستعمار ارتيريا والصومال، وبسط النفوذ على إثيوبيا، هذا ولم ينس المؤلف التطورات الداخلية في تلك المناطق وتأثيرها في سير العمل السياسي الخارجي. اعتمد المؤلف منهجاً قام على وحدة الموضوع لا على الأطار الزمني في أغلب فصول الكتاب، مما تسبب في تكرار المعلومات في ظل العناوين الجانبية العديدة، خاصة عن النشاط الإيطالي في الصومال وارتيريا في صفحات من الكتاب.

ويجب أن نوه في هذا المقام بكتاب **فاروق عثمان أباطه** "عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر..."، الذي اتاح لنا فهماً أفضل لخلفيات وتطورات المواقف البريطانية تجاه منطقة القرن الأفريقي وانطلاقاً من عدن، من حقوق السيادة المصرية-العثمانية في ارتيريا والصومال، والتنافس البريطاني-الفرنسي حول إثيوبيا.

ولا بد أن أشير أيضاً إلى أنني انتفعت من بعض البحوث والمقالات في الدوريات الأجنبية والعربية، التي كانت مصدراً مهماً في توضيح الجوانب التي تتعلق بمادة موضوع الرسالة، لاسيما الأحداث التي تعلقت بالتطورات الداخلية في إثيوبيا، والمتغيرات الخارجية في منطقة البحر الأحمر بشكل عام. هذا ولم أجد في

اغلب تلك الدوريات العربية او الاجنبية مواضيع تتناول السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الافريقي بشكل عام في المدة بين ١٨٣٩-١٩١٤، ما عدا بعض البحوث الصادرة عن اثيوبيا والمتعلقة بالسياسة البريطانية تجاهها في العقد التاسع من القرن التاسع عشر.

وختاماً ارجو العلي القدير ان يحظى جهدي العلمي المتواضع الذي بين أيديكم بالقبول.

ابرز القوى المتنافسة في منطقة القرن الأفريقي قبل ١٨٣٩

تعد منطقة القرن الأفريقي^(١) من المناطق ذات الاهمية الحيوية من حيث الاستراتيجية العالمية والملاحة الدولية، قديماً وحديثاً، فهي تقع في شمال شرقي افريقيا باتجاه مضيق باب المندب وخليج عدن، يحدها من الشمال البحر الاحمر وخليج عدن، ومن الشرق المحيط الهندي، وتجاور من جهة الجنوب كينيا، ومن الغرب السودان^(٢).

وقد ساعدها هذا الموقع الجغرافي ان تشكل نقطة التقاء بين البحر الاحمر وخليج عدن، والبحر العربي مع المحيط الهندي، وهو ماعزز من اهمية القرن الأفريقي في السيطرة على الملاحة بين الشرق الاوسط والبحر المتوسط من جهة، والخليج العربي والمحيط الهندي ودول الشرق الاقصى من جهة اخرى. ومن هذا المنطلق، اصبحت الدول المطلة على مضيق باب المندب وهي ارتيريا^(٣)،

(١) سميت منطقة القرن الأفريقي بهذا الاسم ، نسبة الى ذلك النتوء البارز في الجانب الشرقي من القارة الأفريقية الذي يشبه القرن، وتبلغ مساحة المنطقة (٤٥٠) ألف ميل مربع، وهي تتألف من الدول التالية: ارتيريا، وجيبوتي، والصومال، وإثيوبيا انظر :-

الغفار، أنور عبد الغني، الوجيز في إقليمية القارة الأفريقية، الرياض، ١٩٨٢، ص ١٦٩ .

(2) Lamb, David, The Cultural regions Of East Africa, London, Pall Mall Press, 1972, p.51.

(٣) يرد اسم ارتيريا بصور مختلفة وهي: إرتريا، ارتيريا، إرترية، ارتيرية، وقد ترد اكثر من صوره من الصور اللفظية في مكان واحد، وهي دولة ذات شكل مثلث تمتد قاعدته في الشمال على طول الحدود بينها وبين السودان، ويمثل ساحل البحر الاحمر ضلعه الشرقي، والحدود بينها وبين اثيوبيا ضلعه الغربي، وتجاور ارتريا من الشمال الغربي السودان، ومن الغرب والجنوب الغربي اثيوبيا، ومن الجنوبي جيبوتي. تبلغ مساحة ارتيريا (٩٣٦٧٩) كم^٢، وتضم (١٢٦) جزيرة في البحر الاحمر، اهمها مجموعة جزر دهلك. اما بالنسبة للسكان فتمثل ارتيريا خليط من مجموعات بشرية متباينة، ابرزها التجرينيون Tigreans ويتكلمون اللغة التجرينية ويدين غالبيتهم بالمسيحية، والتجريون ويتحدثون اللغة التجريية والعربية ويدينون بالاسلام، والساهو Saho ويتحدثون لغة الساهو القريبة من لغة العفر، ويدين اغلبهم بالاسلام، والدناكل، والبلين Biln، الذين بدورهم من المسلمين. لمزيد من التفاصيل. انظر:

Groliet Multimedia Encyclopaedia 2001; World Atlas,2000; Encyclopaedia Britannica, U.S.A, William Benton, 1970,vol.8,pp.680-681; Trevaskis, G. Eritrea :acolong in Transition 1921-52, London, 1960, p.1;

وجيبوتي^(١)، والصومال^(٢)، الواقعة على خليج عدن - تتحكم في أمن البحر الأحمر

رزقانه، ابراهيم احمد، بعض مشكلات الجغرافية السياسية، القاهرة، ١٩٨٨، ص^٤؛ الغوثاني، اسعد، ارتيريا تاريخاً وثورة، بغداد، مطبعة العراق، ١٩٧٤، ص ص ١٩-٢٠.

(١) تقع جيبوتي على الساحل المقابل لمضيق باب المندب من جهة الغرب، وتجاور من الشمال ارتيريا، ومن الجنوب الصومال، واثيوبيا من جهة الغرب والجنوب، وبحكم موقعها الجغرافي احتلت جيبوتي اهمية استراتيجية مهمة، فهي تتحكم من جانبها بحركة المواصلات البحرية التجارية والعسكرية في مضيق باب المندب، اذ يبلغ طول ساحل جيبوتي نحو (٣٧٠) كم^٢، في حين تبلغ مساحة جيبوتي نحو (٢٣٢٠٠) كم^٢، وتوجد عدد من الجزر الصغيرة في مدخل خليج تاجوره اهمها جزر موسى ومستجلي، اما ابرز موانئ جيبوتي فهما اوبوك obock وتاجوره. كانت جيبوتي قبل العام ١٩٧٧ تسمى باقليم عفر وعيسى نسبة الى القبيلتين الرئيسيتين في البلاد، اللتان تنفرعان الى قبائل عديدة انظر:-

World AtLas,1998;Thompson, Virginia and Adloff, Richard, Djibout and the Horn of Africa,U.S.A,Standford university press1968,p.83; Encyclopaedia Britannica, vol.7, p.523;

الطاهري، حمدي، جيبوتي أمن البحر الاحمر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ص ١٣-١٤.

(٢) اطلقت تسمية الصومال لأول مرة في ترنيمة تمدح الملك اسحاق بن داود (١٤١٢-١٤٢٩) ملك اثيوبيا بعد انتصاره على سلطنة اوفات الاسلامية. تحتل الصومال موقعاً جغرافياً مهماً، فهي ذلك البروز الشرقي في افريقيا المعروف بالقرن الافريقي، وتشكل سواحلها نقطة التقاء البحر العربي بالمحيط الهندي في راس غردافوي، وتداخل البحر الاحمر مع خليج عدن، ولذلك تمتلك الصومال اطول ساحل في افريقيا بعد دولة جنوب افريقيا، حيث يبلغ طول سواحل الصومال نحو (١٩٥٠) ميل، وعلى الرغم من طول السواحل الصومالية، فهي تعاني من قلة الموانئ قياساً بسواحلها الطويلة، بسبب كون سواحلها انكسارية وتقل التعاريج فيها، ومن ابرز موانئ الصومال Zelia زيلع، Berbera وبربره، Mogadishu ومقديشو، Merca ومركا، Kismayo وكسمايو. تبلغ مساحة الصومال التي تشكل معظم مساحة منطقة القرن الافريقي (٦٥٧ر٦٣٧) كم^٢، وتجاور من جهة الشمال جيبوتي، ومن الغرب اثيوبيا، ومن الجنوب الغربي كينيا. ويتمثل سكان الصومال بقومية واحدة، وهي من اكبر القوميات المتماسكة في افريقيا، حيث تصل درجة التجانس الى ٩٢%، ويعود ذلك التجانس وبشكل كبير الى عوامل الدين واللغة والثقافة، اذ تصل نسبة المسلمين الى ٩٨%، واللغة الصومالية هي لغة حامية تنتمي الى مجموعة اللغات الكوشية الشرقية، وتنقسم الى عدة لهجات متشابهة بوجه عام، ومع ذلك تضم اللغة الصومالية العديد من الالفاظ العربية انظر:-

Touval, Saadia, Somali Nationalism, International Politics and the Drive for unity in the horn of Africa, U.S.A,Havard university press, 1963,P.10;The Encyclopaedia Americana, U.S.A, American Corporation International,1979, vol.25,pp.211-215; Encyclopaedia Of the third world,London,1982, vol.2, p.314; Gorolir Multimedia Encyclopaedia,2001;

سعودي، محمد عبد الغني، الصومال عضو جديد بالجامعة العربية، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد الخامس، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٤، ص^٨؛ بغدادي، عبد السلام ابراهيم، الوحدة

الوطنية ومشكلة الاقليات في إفريقيا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣، ص ٣٢ ؛ الطويل، عثمان، الصومال تاريخاً وحضارة، الامارات العربية المتحدة، ١٩٨٨، ص ١٠ ؛ البابلي، محمد زهير حامد، في ربوع الصومال، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت، ص ٣٤-٣٦.

والدول المحيطة به، دون ان ننسى الدور الاثيوبي^(١) في تحقيق الامن في القرن الافريقي، اذ تشكل هذه المناطق حلقة وصل للامتداد العربي بين قارتي آسيا وأفريقيا، خاصة وان اقصر مسافة تربط بين ساحلي البحر الأحمر الشرقي والغربي هي (٤٠) ميلاً بين مينائي عصب الارتيري ومخا اليميني^(٢). كما تمثل هذه المنطقة الحدود الجنوبية للوطن العربي بكل ما تحمل من انعكاسات على الأمن القومي العربي والإسلامي. اما الساحل الصومالي المطل على المحيط الهندي، فيعد حلقة وصل بين شرقي إفريقيا وأوروبا وبالعكس، وقاعدة متقدمة لخط المواصلات بين المحيط الهندي وشرقي إفريقيا.

(١) تعد اثيوبيا من الناحية الجغرافية دولة قارية، فهي لا تملك أي منفذ بحري تطل من خلاله على العالم الخارجي، ولذلك تشترك بحدود برية مع دول الجوار الجغرافي، حيث تجاور السودان من جهة الشمال والشمال الغربي، وجيبوتي وارتيريا من جهة الشمال الشرقي، والصومال من جهة الشرق والجنوب الشرقي، وكينيا من جهة الجنوب الغربي، وبذلك تكون غالبية الدول التي تحيط بأثيوبيا دول اسلامية.

تمثل اثيوبيا نموذجاً لعدم التجانس العرقي، لوجود خليط من الجماعات العرقية المتباينة في اللغة والدين والعادات، حيث يشير العديد من الباحثين والمتخصصين بشؤون اثيوبيا، الى انها تضم حوالي مئة جماعة عرقية، تتوزع على ديانات عديدة منها المسيحية، والإسلام، واليهودية، وديانات وثنية، اذ يشكل المسيحيون نحو ٤٥% من السكان، والمسلمين ٤٠%، اما اتباع الديانات الاخرى فتصل نسبتهم الى ١٥% من السكان.

اما ابرز الجماعات العرقية في إثيوبيا فهي، Amhar الامهره، Tigreans التجرينيه، Gala والغالا، Sidamo والسيدامو، Anoak والانواك، Gruge والكروج، Afer والعفر وغيرهم من الجماعات الاقل شأناً من الجماعات المذكوره. اما اللغة تلك الاصره المهمه والمعبره عن تاريخ تلك القومية، فابرزها هي اللغة الامهرية، والتجرينيه، والامورويه (الغالية) انظر:-

Encyclopaedia of the Third World, vol.I, p.593; The New Encyclopaedia Britannica, U.S.A, William Benton, 1986, VOL.4, P.579; Markakis, John, Ethiopia Anatomy of Atraditional Polity, Oxford, Greenwood press, 1974, p.57; Hannce; William, The Geography of Modern Africa, New york, Macimllan, 1975, p.346; Blackhurst, Hector, Ethnicity in Southern Ethiopia, The General and The Particular, Journal of International Africa, Vol.50, N0.I, London, 1980, PP.55-65.

(٢) محمود، محمود توفيق، المدخل الجنوبي للبحر الاحمر، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٢٣.

ولذلك كانت منطقة القرن الافريقي في تاريخ العلاقات الدولية العربية والافريقية والاوربية، وبسبب موقعها الاستراتيجي والتجاري، هدفاً للعديد من الدول التي حاولت السيطرة على اجزاء من المنطقة، وتأتي البرتغال في مقدمة الدول الاوربية التي توجهت للسيطرة على هذه المنطقة في مطلع العصر الحديث، وتزامن ذلك مع دخول البرتغال الى مجال الاستكشافات الجغرافية والتجارة العالمية مع الشرق، التي انجز القسم الاكبر منها في العقد الاخير من القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر،

تميزت توجهات البرتغاليين تجاه الشرق عامة بهدفين متداخلين في الدوافع والابعاد وهما، الهدف الاقتصادي الذي تمثل بمحاولة احتكار النظام التجاري في الشرق باكماله من خلال الهيمنة على تجارة الافاويه بين الشرق الاقصى واوروبا، والقضاء على سيطرة التجار المسلمين على أنشطة التجارة الاسيوية، والهدف الديني الذي كان البرتغاليون يمنون انفسهم فيه بنشر المسيحية^(١) من خلال اجبار سكان البلاد المكتشفة على اعتناق المذهب الكاثوليكي، والبحث عن الاراضي

(١) تؤكد العديد من الادلة الرسمية ان الغزو البرتغالي للمياه الشرقية كان استمراراً للغزو الصليبي، فقد كانت القرارات البابوية، التي بلغت سبعة وستون قراراً بحق الملوك البرتغاليين، تؤكد اهتماماتهم بالحملة الصليبية، فقد اصدر البابا مارتن الثاني، وعلى سبيل المثال، والذي عاصر الامير هنري الملاح (١٣٩٤-١٤٦٠)، قراراً جعل البلاد التي يسيطر عليها البرتغاليون منحة دائمة للتاج البرتغالي، وتغفر خطايا من يموت او يقتل خلال تلك الحملات. كما ان البابا نيقولا الخامس (١٤٤٧-١٤٥٥) وضع خطة عرفت بـ (خطة الهند) للقضاء على الاسلام وبعث بها الى الامير هنري الملاح في حالة تحقيق الكشف البرتغالية اهدافها. لمزيد من التفاصيل انظر:-

بو شرب، احمد، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الاحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة الخليج العربي، العدد ١، المجلد ١٦، البصره، ١٩٨٤، ص٣٤؛ محمود، حسن احمد، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٢، بغداد، ١٩٨٠، ص٢١٩.

الخرافية لـ (بريسترجون) Prester John^(١) التي حددت الروايات الاوربية الشائعة في القرن الخامس عشر موقعها في اثيوبيا، ورأى البرتغاليون فيما لو امكن الوصول إليها، امكانية عقد تحالف مع أثيوبيا لمهاجمة جيش الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف، واناقد الاماكن المسيحية^(٢)، وتدمير الاماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز^(٣).

ولتنفيذ هذه الطموحات البرتغالية الواسعة، استثمرت القيادة البرتغالية مخترعاتها الحديثة في فن الملاحة للبحث والتقصي عن طريق بحري جديد يربط اوربا بالشرق مباشرة بدلاً من الاعتماد على قنوات الاتصال التقليدية بينهما^(٤).

(١) أبدى الأوروبيون منذ مطلع القرن الخامس عشر اهتماماً متزايداً بشؤون اثيوبيا، فقد شاعت الاساطير حينذاك عن وجود ملك مسيحي يحكم في افريقيا وهو القس يوحنا اوبريسترجون. كما حدد البعض الآخر مكان وجوده بين الصين وغامبيا، بل وتمكنت بعض الدراسات الاجتماعية والدينية، عن طريق البعثات التبشيرية في روما، من اجراء المزيد من الاتصالات والتشاور مع الحجاج الاثيوبيين الذين يقصدون بيت المقدس. لمزيد من التفاصيل انظر:-

Trimingham, Sepencer, Islam in Ethiopia, London, Cass, 1965, p.77.

(2)Marston, Thomas, Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800-1878, New york, The shoe string Press, Hamden Connecticut, 1961, p.18.

(3) Hodges, Mary, East African history, London, Allen, 1971, p.29

دفي، جيمس، البرتغال في إفريقيا، ترجمة جاد طه، بيروت، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٧٢، ص ص ٣٨-٤٥.

(٤) كانت التجارة الشرقية تسلك طرق عديدة الى اوربا في العصر الوسيط منها: طريق الخليج العربي حيث كانت السفن تحمل السلع الى البصرة ومنها الى بغداد ثم الى الشام، وطريق البحر الاحمر الذي تجتازه السفن طوياً الى ميناء السويس ثم تنقل البضائع الى ميناء الاسكندرية او دمياط، وكانت السفن الايطالية تنقل البضائع من موانئ الشام ومصر الى المدن الايطالية ومنها الى الدول الاوربية الاخرى، أما الطريق الاخر فكان ينقل برّاً بالقوافل من اواسط اسيا الى القسطنطينية ومنها الى انحاء اوربا. لمزيد من التفاصيل انظر:- الربيعي، اسماعيل نوري، المرحلة الثانية من التافس بين طريق رأس الرجاء الصالح وطريق القوافل التقليدية، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد التاسع والعشرون، السنة الخامسة عشرة، يناير/كانون الثاني ١٩٩٦، ص ص ٤١-٤٦.

وقد قام الملك جوان الثاني Joan II (١٤٨١-١٤٩٥) بمتابعة الجهود اللازمة لتنفيذ ذلك المشروع الكبير^(١)، عندما بعث رحلة استخبارية الى الهند في منتصف ١٤٨٧، تألفت من اربعة اشخاص، هم جون بدروكوفلهام John Pedro Covilham، والفونسو دي بيفا Alphonso de Payva، والحاخام ابراهام Rabbi Abraham، وجوزيف اوف لاميجو Joseph of Lamego، وكانت اهداف الرحلة قد تحددت بجمع المعلومات عن المناطق المنتجة للتوابل والطرق المؤدية لها، والاتصال باثيوبيا^(٢)، فضلاً عن هدف الرحلة الرئيس، وهو معرفة امكانية الوصول الى الهند بحراً عبر الطواف حول افريقيا.

ابحرت المجموعة من ميناء لشبونه نحو مصر، ونزلت في ميناء الاسكندرية، ثم توجهت الى القاهرة، حيث بقى فيها اليهوديان، وتابع كل من كوفلهام وبيفا رحلتهم الى البحر الاحمر. وفي عدن افترق كوفلهام عن بيفا^(٣)، حيث واصل رحلته الى الهند، وزار مينائي كليكوت GliGut، وكوا Goa، ثم توجه نحو سفالا Sofala، ثم عاد الى القاهرة، اذ علم ان بيفا قد مات في اول الرحلة. بعث كوفلهام بالمعلومات التي حصل عليها بخصوص تجارة المحيط الهندي الى الملك جوان الثاني الذي وافاه الاجل قبل ان يكمل تجهيز حملة جديدة الى المحيط الهندي^(٤).

(١) قدم الامير هنري الملاح وهو الابن الثالث للملك جوان الاول (١٣٨٥-١٤٣٣) بعداً مهماً لهذه العملية عندما طور، باهتماماته الملاحية وروحه الصليبية من نشاط الحركة، التي حققت في عهده انجازات استكشافية على الساحل الغربي لافريقيا الذي عرف بساحل غينيا. انظر:-

Collins Concise Encyclopaedia, London, Peerage Books, 1985, P.262; Morby, John, Dynasties Of The World, Oxford, Oxford University Press, 1989, P.120.

(2) PlayFair, Robert, A history of Arabia felix or Yemen, Nether Land, Jail Press, 1970, p.96;

حسن، يوسف فضل، الصراع حول البحر الاحمر منذ اقدم العصور وحتى القرن الثامن عشر، مجلة الدار، العدد الثالث، السنة الخامسة، الرياض، ١٩٨٣، ص ٣٦.

(3) Penrose, Boies, Travel and Discovery in the Renaissance 1420-1620, London, 1967, pp.48-49.

(4) Coupland, Reginald, East Africa and its Invaders, From The Earliest Time to the death of Said in 1856, London, Clarendon Press, 1938, p. 42.

اضافت رحلة كوفلهام 'بعداً مهماً' لحركة الاستكشافات الجغرافية البرتغالية، التي كانت تشهد كشفاً جغرافياً مهماً في ذلك الوقت، اثر وصول حملة بارثلميو دياز Bartolomeu Diaz الى الطرف الجنوبي لافريقيا في كانون الاول ١٤٨٧ والذي كان يسمى برأس العواصف، واطلق عليه الملك جوان الثاني أسم رأس الرجاء الصالح The Cape Of Good Hope تيمناً بالكشف الجديد، عاد دياز الى لشبونه في كانون الثاني ١٤٨٨^(١). وكانت محصلة رحلتي دياز وكوفلهام هي الحقيقة التي مفادها، أن توخي الوصول الى الهند من خلال الطواف حول رأس الرجاء الصالح لا يتم الا بعد الوصول الى ساحل شرقي إفريقيا.

ادت وفاة بيغا الى تغيير خطة الرحلة، اذ كان على كوفلهام ان يقوم بمهمة بيغا، وهي التوجه الى اثيوبيا، التي كانت اشبه ما تكون بمهمة استخبارية خلاصتها مراقبة احوال المنطقة عامة واثيوبيا خاصة، اذ كان على كوفلهام ان يبعث بالتقارير الكاملة عن تجارة المحيط الهندي الى القاهرة لترسل من هناك الى البرتغال^(٢). وفي العام ١٤٩٠ وصل كوفلهام الى اثيوبيا واستقبله الملك اسكندر Eskender (١٤٧٨ - ١٤٩٤) ملك اثيوبيا في قصر شوا، الكائن جنوبي اثيوبيا، ودارت المحادثات بين الطرفين حول تعزيز الروابط المشتركة بين البلدين، وتسهيل مهمة كوفلهام في الحصول على معلومات عن اثيوبيا، فوافق الملك اسكندر على تسهيل مهمة كوفلهام، كما منحه امتيازات مادية عديدة^(٣).

وبذلك كان كوفلهام اول الرحالة الأوروبيين الذين زاروا اثيوبيا في العصر الحديث، واجرى اول اتصال من نوعه بين اثيوبيا واوربا، بعد محاولات عديدة لتحقيق ذلك الاتصال^(٤). كما وضع كوفلهام نواة العلاقات البرتغالية-الاثيوبية

(١) Ibid, P.41 & PlayFair, op.cit, p.96.

(2) PlayFair, op.cit, p.96 & Penrose, op.cit, p.49.

(3)Trimingham, op.cit, p.83.

(٤) ارسل البابا يوحنا الثاني والعشرين سفارة من الدومنيكان الى اثيوبيا في العام ١٣١٦ ولكن وقعت في قبضة المماليك في مصر، وكذلك كان مصير سفارة اخرى من الرهبان الدومنيكان ارسلها شارل السابع (١٤٢٢ - ١٤٦١) ملك فرنسا الى اثيوبيا في العام ١٤٣٨. انظر:-

الحديثة، ليفتح المجال واسعاً امام البرتغاليين ومن ثم الدول الأوربية الأخرى، لاقامة تحالف عسكري مشترك ضد مسلمي المنطقة. هذا فضلاً عن اثر الرحلة المهمة في تتابع الحملات الاستكشافية البرتغالية الى الهند، بعد إرساله المعلومات المتعلقة بشؤون التجارة الهندية وامكانية الوصول بحراً الى الهند مباشرة.

مهدت رحلتا دياز وكوفلهام الطريق امام رحلة فاسكودي غاما Vasco da Gama (١٤٦٩-١٥٢٤) لاكمال الجزء الاخير من مشروع الوصول الى الهند. تألفت الرحلة ما بين (٤-٥) سفن و(١١٨-١٥٠) بحار. وفي ٨ تموز ١٤٩٧ بدأت الرحلة من ميناء ريستلو Restelo البرتغالي^(١)، وبعد الطواف حول رأس الرجاء الصالح، وصلت الحملة الى ماليندي في اذار ١٤٩٨، وبتوجيه وارشاد عربي^(٢)، وصل فاسكودي غاما الى كليكوت في ٢٠ آيار ١٤٩٨. ثم عاد الى لشبونه عام ١٤٩٩ من الطريق نفسه، وفي طريق عودته هاجم مقديشو واحرقها^(٣).

أذن وصول فاسكودي غاما الى الهند بفتح افق ومنحى جديداً في تاريخ العالم، اذ لم يكن العام ١٤٩٨ مجرد تاريخ لنشاط ملاحي دأب عليه البحارة البرتغاليون والمغامرون، بل كان مرحلة جديدة في تاريخ العالم الاقتصادي والسياسي، فقد قام

عاشور، سعيد عبد الفتاح ، بعض اضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر ، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣٠ .

(1) Playfair, op.cit, p. 97.

(٢) عند وصول فاسكودي غاما الى ماليندي رحب به اهل المدينة نكابة بأهالي مومباسا، الذين كانوا على خلاف معهم، فقدموا له كل انواع المساعدة بما فيها تزويده بدليل بحري وهو الملاح احمد بن ماجد انظر: - غرابيه، عبد الكريم، مقدمة في تاريخ العرب الحديث، دمشق، ١٩٦٠، ص ٩.

(٣) جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية، ترجمة يوسف كمال، القاهرة، ١٩٢٧، ص ٢٣١ ؛ الجمل، شوقي، المراكز العربية على ساحل افريقية الشرقي والجزر القريبة منه، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد ٢٩، السنة الخامسة عشرة، يناير ١٩٩٦، ص ١٠٦ .

ولم تذكر المصادر معلومات عن هجوم فاسكودي غاما على مقديشو، بسبب تأخر تسجيل الاحداث التاريخية في مدينة مقديشو الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلا القليل منها. انظر:- سالم، حمدي السيد، الصومال قديماً وحديثاً ، مقديشو، ١٩٦٠، ج ١، ص ٣٠٢ .

الملك مانويل الاول Manual 1 (١٤٦٩-١٥٢١/١٤٩٥-١٥٢١)^(١)، بعد نجاح دي غاما، بأرسال حملات اخرى الى الهند تهدف الى اتخاذ كليكات قاعدة للبرتغاليين في الشرق. تم اعداد حملة في العام ١٥٠٠ وتألفت من ثلاث عشرة سفينة بقيادة بدرو الفاريز كبرال Pedro Alvares Cabral (١٤٦٠-١٥٢٦)، ومع ان الحملة لم يصل منها سوى ست سفن، الا انها هاجمت كليكات وتمكنت من تدميرها^(٢). ولكي يحقق البرتغاليون موطئ قدم لهم في الهند واصل مانويل الاول حملاته البحرية الى الهند، اذ قام في ١٠ شباط ١٥٠٢ بأرسال حملة أخرى الى الهند تألفت من عشرين سفينة بقيادة فاسكودي غاما، وكانت التعليمات الصادرة إليه تقضي بغلق مدخلي البحر الاحمر والخليج العربي بوجه السفن جميعها لضمان احكام سيطرتهم على تجارة الهند. ولتحقيق هذا الهدف ترك دي غاما خمس سفن من الاسطول في المحيط الهندي لحماية المحطات التجارية البرتغالية في كوشين Cochin و كانانور Cannanore^(٣) ولغلق مدخل البحر الاحمر امام السفن العربية الداخلة والخارجة منه^(٤).

وجد البرتغاليون انفسهم، بعد الرحلة التي قام بها فاسكودي غاما الى الهند، على عتبة مرحلة جديدة في الشرق، اذ تطورت اهدافهم بعد اكتشاف الطريق البحري الى الهند في اواخر القرن الخامس عشر، من مجرد الرغبة في الكشف

(1) يشير التاريخ الاول الى فترة حياة الشخص، والتاريخ الثاني الى فترة حكمه، وشهد عهده مرحلة مهمة من الاستكشافات الجغرافية، والتوسع فيما وراء البحار، اذ وصل حدود حكمه الى الهند وافريقيا. تزوج مانويل من ايزابيلا بنت فرديناند وايزابيلا اميري ارغون وكاستل، وبعد وفاة ايزابيلا في ١٤٩٨، تزوج اختها ماريا Maria وخلفه في الحكم ابنه جوان الثالث الابن الاكبر من زوجته ماريا التي انجبت له جوان الثالث. انظر:-

The Encyclopedia Americana, vol.18, p.240.

(٢) بانينكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٨؛ الاحبابي، نايف محمد حسن، الموقف العربي والاقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج العربي ١٥٠٧-١٦٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت الى كلية الاداب-جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص ص ٨٧-٩٠.

(3) Sergeant, R, The Portuguese of the South Arabian Coast, Oxford, Clarendon Press, 1963, pp.14-15.

(4) Ibid, p. 169.

الجغرافي لتحقيق بعض المكاسب الاقتصادية، الى الرغبة في احتكار التجارة الهندية، واقامة حكومة استعمارية برتغالية في الهند، أثر تعيين فرانسكودا الميدا Francisco de Almede (١٤٥٠-١٥١٨) اول نائب لملك البرتغال في الهند (١٥٠٥-١٥٠٩)^(١).

ولا شك ان تطور موقف البرتغال السريع تجاه الشرق، كان مدفوعاً بعوامل عديدة، ولعل ابرزها تفوق البرتغال العسكري والتقني، فقد كانوا يمتلكون سفناً حربية مزودة بالمدافع الحديثة، التي شكلت القوة الضاربة الرئيسة لقواتهم، وهي اسلحة لم تكن معروفة في الهند حينذاك^(٢). كما شكل الفراغ السياسي الناشئ عن غياب قوة محلية او اقليمية في المنطقة تقرض بأمكانياتها المختلفة السيطرة على تجارة الهند وبمستوى يفوق الامكانات البرتغالية، عاملاً اخر في تطور سياسة البرتغال تجاه البحار الشرقية، فقد كان كل من العرب والهنود منقسمين على انفسهم ومتنازعين مع بعضهم. كما كان من المألوف في سواحل القرن الافريقي مثلاً، ان مشايخ العرب هناك كانوا كلما ازدادت سلطتهم لا يقنعون بلقب شيخ، بل يلقبون انفسهم بالسلطين ويتنافسون في توسيع نطاق سلطتهم على بعض جهات الساحل^(٣).

وجد البرتغاليون في هذه المنافسات والخلافات ثغرة استطاعوا ان ينفذوا منها لتحقيق اهدافهم، فقد كانت خطة البرتغاليين الجديدة بعد تعيين دالميدا، هي مهاجمة الملاحة العربية الاسلامية في مختلف اوجه نشاطاتها، التي كانت التجارة الهندية تحت سيطرتها، ودفع العرب الى بحارهم الداخلية، الخليج العربي والبحر الاحمر، واغلاقها عليهم. كما قرر البرتغاليون الاستيلاء على مفاتيح الشرق، بالاستحواذ

(١) ولسن، ارنولد، الخليج العربي، مجمل تاريخي من اقدم الازمنة حتى اوائل القرن العشرين، ترجمة الدكتور عبد القادر يوسف، الكويت، دت، ص ٢٠٤.

(٢) محمود، صالح رمضان، الصراع البرتغالي في اليمن ١٥١٧-١٥٣٥، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد السابع والاربعون، السنة الثانية عشرة، البصرة، تموز، ١٩٨٦، ص ١٤٤.

(٣) حراز، رجب، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٥.

على مراكز المسلمين في شاطئ مضيق هرمز وعدن، تمهيداً لتحويل التجارة الى المراكز البرتغالية^(١).

وقد كلف بتنفيذ تلك المهمة، القائد البرتغالي الفونسودي البوكيرك Alfhonso de Albuquerque (١٤٥٣-١٥١٥)، الذي كان يحلم بتأسيس امبراطورية في الشرق، وحصل على تفويض من ملك البرتغال بالتوسع في المياه العربية^(٢)، وقد بدأ البوكيرك تحركاته العسكرية في ١٥٠٦، عندما قاد مع نائبه ترستاو داكنها Tristao da Cunha أسطولاً تألف من اربعين سفينة، لتثبيت اقدام البرتغاليين على شواطئ المحيط الهندي، من خلال غلق منافذ المحيط الهندي التي تصل العالم الاسلامي، مثل مضيق هرمز عند مدخل الخليج العربي ومضيق عدن عند مدخل البحر الاحمر، وموانئ شرقي افريقيا^(٣)، التي رأى البوكيرك فيها انه فيما لو تمت السيطرة على تلك الحصون الممتدة من مومباسا الى غردافوي، فأن من الممكن الحد من التهديد للممتلكات البرتغالية في الهند للطريق البحري المباشر الذي يربط ما بين اوربا واسيا. ولهذا اهتمت هذه الحملة بإخضاع السلطنات الواقعة على ساحل الصومال المطل على المحيط الهندي، وكانت مدينتا براوه ومقديشو^(٤) الصوماليتين جزء من تلك العملية. وبالفعل تمكن البوكيرك من احتلال مدينة براوه

(١) ولسن،المصدر السابق،ص٢٠٤ ؛ الشناوي،عبد العزيز محمد،المراحل الاولى للوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية، البحوث المقدمة الى مؤتمر دراسات شرقي الجزيرة العربية، قطر، ١٩٧٦، ج٢، ص٦١٦ .

(2) Serjeant, op.cit, p.57.

(3) Ibid, 136.

لمزيد من التفاصيل حول نشاط البرتغاليين الاستعماري في شرقي وجنوبي شرق افريقيا. انظر:- Axelson, Eric, Portuguese Activities in South-East Africa, The Journal of African history, vol.XI, NO.2, Cambridge university Press,1975, pp.148-172.

(٤) للاطلاع على دور العرب والمسلمين في هاتين المدينتين انظر:-

امين، محمد محمد، الصومال في العصور الوسطى والاسلامية، مجلة الدار، العدد الثاني، السنة العاشرة، الرياض، سبتمبر/ايلول ١٩٨٤، ص ص ٢٠٢-٢٣٢.

ولكنه فشل في الاستيلاء على مدينة مقديشو، بسبب استعداد سكانها لمقاومة البرتغاليين بعد سماعهم انباء الجرائم البرتغالية في براوه^(١).

حتم مجيء البرتغاليين الى الهند والقيام بالعمليات العسكرية لإغلاق البحر الاحمر أمام السفن العربية، الى ظهور العديد من التحولات المهمة في منطقة البحر الأحمر، التي شهدت بدورها اختلالاً واضحاً في ميزان القوى ولمصلحة البرتغاليين، بعد تحقيق الانتصار على المماليك في مصر في موقعة ديو Diu في ١٥٠٨، التي ضمن البرتغاليون على أثرها السيطرة على التجارة والبحار الشرقية^(٢)، وجعلوا سفن السلطان قانصوه الغوري (١٥٠١-١٥١٥) تتسحب نحو البحر الاحمر وتتبنى سياسة دفاعية، وتأخذ الاجراءات اللازمة لحماية المنطقة، عندما بدأ بتحسين الموانئ التي تقع على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر، لمواجهة البرتغاليين في حالة هجومهم على البحر الاحمر، والاستيلاء على ميناء زيلع في ١٥١٠^(٣)، الذي كان تحت سيطرة اثيوبيا منذ ١٤١٥^(٤).

اثار استيلاء المماليك على زيلع هاجس الاثيوبيين، وغضب الملكة هلينا Helena (١٥٠٨-١٥٢٥)، الوصية على ولدها لبنا دنقل Lebna Dengel ويعرف بديفيد الثاني David II (١٥٠٨-١٥٤٠)، الذي عدته تهديداً لبلادها وخطراً قد

(١) جيان، المصدر السابق، ص ٢٣٥؛

Bakker, Jarig, Somalia Democratic Republic, 1999, p. 4.

(2) Serjean, op.cit, p.14;

عبد الحليم، عبد المنعم، صوماليا، دراسة لبيئتها الطبيعية وامكانياتها الاقتصادية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٩٣؛ السلطان، عبد الله عبد المحسن، البحر الاحمر والصراع العربي - الاسرائيلي التنافس بين استراتيجيتين، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٩.

(3) Marston, op.cit, p.20.; Playfair, op.cit, p.98

(٤) بعد صراع طويل بين الاثيوبيين والسلطنات الاسلامية السبع التي سميت ببلاد الطراز الاسلامي، الواقعة على الساحل الصومال المقابل لعدن، وهي كل من اوفات، ودوارد، وارينبي، وهويه، وسترخا، وبالي، وداره، تمكن اسحاق بن داود ملك اثيوبيا من القضاء على امارة اوفات التي كانت تقع في المنطقة المحيطة بميناء زيلع في العام ١٤١٤. لمزيد من التفاصيل انظر:-

Trimingham, Spencer, The Influences of Islam upon Africa, London, Longman, 1980, p.126;

نوري، دريد عبد القادر، تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء، مصر، ١٩٨٥، ص ٣٢.

يتطور في ضوء الصراع بين البرتغال والمماليك الى حرب تشمل اثيوبيا، كونها جزءاً من حرب صليبية شاملة. كما كان ذلك يعني، ان المماليك سيشكلون تحالفاً مع سلطنة عدل الاسلامية التي تقع في دكار Dakar شرقي هرر^(١)، مما يسبب عاملاً ضاغطاً في محاصرة اثيوبيا قد يصعب التخلص من وطأته، لا سيما في ضوء الصراع المستمر بين المسلمين والأثيوبيين في تلك المنطقة، ولهذا وجدت الملكة هلينا ان عملية السلام لم تعد سهلة، وان بإمكان البرتغاليين، القوة البحرية الصاعدة، السيطرة على الساحل المقابل لاثيوبيا، وتحقيق هدف الأثيوبيين في الوصول الى البحر الاحمر، وانقاذ الاقتصاد الاثيوبي من الضرر الذي تتعرض إليه من جراء سيطرة المماليك والمسلمين على موانئ الساحل.

كان وجود كوفلهام في اثيوبيا قد اثر وعلى نحو مهم في تحريك العمل الدبلوماسي الاثيوبي نحو البرتغال، عندما اخذت الملكة هلينا بنصيحة كوفلهام حول حث اثيوبيا على طلب المساعدة من ملك البرتغال، والاستعداد لدعم القوات البرتغالية بالمقاتلين والمؤن اللازمة^(٢). ويبدو ان العامل الاكثر اهمية في دفع الملكة هلينا الى القبول بنصيحة كوفلهام، هو ظهور البرتغال كقوة بحرية في البحار الشرقية في العقد الاول من القرن السادس عشر، التي لم تقهر امام المماليك في موقعة ديو، ولذلك كان من مصلحة اثيوبيا الدخول في تحالف مع البرتغاليين يثمر عن استغلال الوضع المضطرب في منطقة البحر الاحمر وساحل الصومال المقابل لعدن.

(١) بعد سقوط امارة اوفات توجه ابناء سعد الدين امير اوفات الى اليمن لطلب المساعدة لاعادة امارتهم، فقام ناصر الدين ملك اليمن بتجهيزهم بالعدد اللازم حتى تولى سعد الدين العرش، باعتباره اول سلاطين امارة عدل في العام ١٤١٥. انظر:-

صلاة، بشير احمد، التاريخ السياسي لسلطنة عدل الاسلامية في القرن الافريقي ٨١٨ / ١٤١٥ - ٩٤٩ / ١٥٤٣، رسالة ماجستير غير منشوره قدمت الى معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص ٧٨.

(2) Sergeant, op.cit, p.4.

ولتنفيذ تلك المشاريع بعثت الملكة هلينا برسالة الى الملك مانويل الاول عن طريق نائب الملك في الهند في العام ١٥١٢، حملها رجل ارميني يدعى ماثيو Mathew، تدعو فيها الى عقد حلف ضد المسلمين ليكون بداية لتخريب مكة، التي كانت وعلى حد تعبيرها، تعيش في وضع متدهور عام^(١)، والاستعداد لتقديم المساعدات الاثيوبية لقوات الاسطول البرتغالي للسيطرة على الساحل المقابل لاثيوبيا وشن حرب مقدسة ضد مسلمي المنطقة^(٢).

تزامن وصول ماثيو الى الهند في كانون الاول ١٥١٢ مع استعدادات الحملة العسكرية البرتغالية بقيادة البوكيرك للخروج الى منطقة البحر الاحمر للسيطرة على عدن، وتدمير القواعد العسكرية للمماليك في المنطقة، للحيلولة دون قيامهم بالهجوم على البرتغاليين في الهند مستقبلاً، هذا مع الاخذ بعين الحسبان فتح الاتصال مع اثيوبيا. ابهرت الحملة من كوا في ١٨ شباط ١٥١٣^(٣)، وتوجهت نحو البحر الاحمر، لكن سرعان ما تلاشت امال البرتغاليين المنشودة، اثر فشل البوكيرك في الاستيلاء على عدن، فبعد اربعة ايام من الحصار، تمكن العدنيون وبحكم دفاعات عدن واستبسال اهلها في الدفاع عن مدينتهم فك الحصار، مما اضطر البرتغاليين الى التوجه الى جزيرة قمران Komeran والاستيلاء عليها، واحتلال جزيرة بريم التي شيدت عليها بعض الحصون العسكرية، ولكن لم يبق البرتغاليون فيها طويلاً لعدم توفر الماء الصالح للشرب^(٤)، وفي طريق العودة الى الهند قام البوكيرك بمهاجمة ميناء زيلع واحرقه في ١٥١٣^(٥).

(١) بو شرب، المصدر السابق، ص ٣٨.

(2) Costa, Manuel, Jeronimo lobo Reveals Ethiopia to Europe in the Middle of the XVIth Century , Proceedings of theThird InternationalConference of the Ethiopian Studies, AddisAbaba,1969, p.123.

(3) Hunter, F, M, An Account of the British Settlement at Aden, London, Frank Cass, 1968, p.102.

(4) Bury, Wyman, Arabia Infelix or the Turks in Yemem, London, Macmillan and Co, 1970, p. 12.

(5) Abir, Mordechai, Ethiopia and The Red Sea, Great Britain, Frank Cass, 1980, p p. 112-113;

جراتات، وليد محمد، الامة الاستراتيجية للبحر الاحمر بين الماضي والحاضر، الدوحة، ١٩٨٦، ص ٣٥.

وعلى الرغم من فشل حملة البوكيرك في تحقيق الاهداف المذكورة، الا انها مهدت الطريق امام حملات برتغالية جديدة الى البحر الاحمر، بعد اطلاعهم على تفاصيل المنطقة وظروفها، وهو ماشجع البرتغاليون على اعادة المحاولة مجدداً، ومواصلة التخطيط لتحقيق اهدافهم. فقد قام لوبو سواريز Lopo Soares نائب الملك في الهند، الذي تسلم منصبه في ١٥١٥، بتجهيز حملة عسكرية الى البحر الاحمر في ١٥١٧، التي بدورها فشلت في احتلال عدن، واحرقت ميناء زيلع مجدداً^(١)، وميناء بربره^(٢)، وكان ذلك الحدث الوحيد الذي خرجت به حملة لوبوسواريز. أما تركيز البرتغاليين على ميناء زيلع، فكان هدفه اضعاف الميناء الذي كان يقع تحت سيطرة المماليك منذ ١٥١٠، الذي كان المنفذ الرئيس لسلطنة عدل الاسلامية، وتهيئة الظروف امام الاثيوبيين للسيطرة عليه.

رد المسلمون في الساحل الصومالي الشمالي على الغزو البرتغالي، بقيام احمد محفوظ سلطان عدل بأرسال مبعوثين عنه الى شبه الجزيرة العربية، لتلقي المساعدات اللازمة وتنظيم قواته لمواصلة القتال ضد الاثيوبيين. جاءت نتيجة تلك البعثة بمقاتلين لمساعدة قوات عدل وتدريبهم على السلاح، ولكن تلك الحملة اصيبت بهزيمة كبيرة بمقتل احمد محفوظ^(٣)، واستيلاء الاثيوبيين على ميناء زيلع^(٤).

انطوت حملة لوبوسواريز على مينائي زيلع وبربره، على العديد من المضامين المهمة، التي عكست بمجملها اهداف البرتغاليين في المنطقة، وكانت على النحو الآتي: ضمان وجود برتغالي-اثيوبي على الجانب الغربي لخليج عدن بعد فشلهم في السيطرة على عدن، وتدمير المراكز التجارية فيها وتحطيم اية وسيلة للتجارة مع الهند، فضلاً عن اشاعة الذعر في نفوس مسلمي المنطقة من شدة بطش البرتغاليين لاضعاف حركة المقاومة المحلية تجاه رد العدوان مستقبلاً.

(1) Hunter, op.cit, p. 163; Thompson and Richard, op.cit, p. 5.

(2) Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 82 ; PlayFair, op.cit, p. 100.

(3) Jones and Monroe, Elizabeth, history of Ethiopia, Oxford, Oxford University Press, 1955, p. 8 ; Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 83.

(4) PlayFair, op.cit, p. 100.

تزامن مجيء البرتغاليين الى البحار الشرقية في مطلع القرن السادس عشر، مع ظهور قوتين إقليميتين متصارعتين ، وهما الدولتان العثمانية والصفوية، في تركيا وايران، فبعد انتصار العثمانيين على القوات الصفوية في معركة جالديران في ٢٢ آب ١٥١٤^(١)، بدأ العثمانيون يهتمون بالسيطرة على سواحل البحر الاحمر بعد احتلالهم لمصر في ١٥١٧، فاصبح السلطان العثماني هو حامي حمى الحرمين الشريفين، ويتحمل مسؤولية الدفاع عن منطقة البحر الاحمر من الغارات البحرية البرتغالية المتعاقبة عليه منذ مطلع القرن السادس عشر.

كان رد فعل البرتغاليين تجاه هذا المتغير الدولي في منطقة البحر الاحمر، الذي تمثل بسيطرة العثمانيين على مصر ووجودها في مينائي السويس وجده، ان قام الملك مانويل الاول، واستجابة لطلب الملكة هلينا^(٢)، بارسال بعثة الى اثيوبيا بقيادة رودريجو دالما Roderigo dalima يرافقه عدد من المبعوثين، كان منهم الاب فرانسيسكو الفاريز Francisco ALvarez^(٣)، للسيطرة على مصوع وجعلها

(١) سيطرت قوات الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٠-١٥٢٤) على العراق في ١٥٠٨، فتوجه العثمانيون بمشاريعهم التوسعية على اثره نحو الشرق، وقاد السلطان العثماني سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠) جيشاً لمحاربة الشاه اسماعيل والقضاء على دولته. وفي ٢٢ آب ١٥١٤ وعند وادي جالديران قرب تبريز التقى الجيشان في معركة عرفت باسم جالديران، حيث تمكن السلطان العثماني سليم الاول من احتلال تبريز عاصمة الدولة الصفوية، وهزيمة قوات الشاه. لمزيد من التفاصيل انظر:-

انيس، محمد، الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤، القاهرة ، د.ت.

(٢) في العام ١٥١٥ أرسل الملك مانويل الاول بعثة برتغالية الى اثيوبيا بقيادة دوراتي كلفان Duarte Galvan بصحبة ماثيو ضمن اسطول لبوسوايز، ونظراً لكبر سن كلفان توفي في طريق الحملة المتجهة الى البحر الاحمر، ودفن في جزيرة قمران. انظر:-

Costa, op.cit, p. 123.

(٣) سجل فرانسيسكو الفاريز مشاهداته عن الاوضاع العامة في الحبشة في كتاب حمل عنوان " حكاية البعثة البرتغالية في الحبشة ١٥٢٠-١٥٢٦" الذي نشر في العام ١٥٤٠، ولاقى اقبالاً واسعاً في اوربا. انظر:-

Luther, Ernest, Ethiopia today, California, Stanford university press, 1961, p.86.

قاعدة برتغالية في منطقة البحر الاحمر، وبحث مشروع اتفاق بين البرتغال ولبننا دنقل ملك اثيوبيا لنشر المذهب الكاثوليكي بدلاً من المذهب الارثوذكسي^(١). وقد تم تحقيق الهدف الاول بمظهر تجاري عندما قدم البرتغاليون الى السلطان احمد بن اسماعيل سلطان مصوع ودهلك وملحقاتهما بطلب اقامة علاقات تجارية مع سلطنته. ولكن ما لبث هذا الاتفاق السلمي ان تحول الى غزو مسلح واحتلال في ٩ نيسان ١٥٢٠^(٢). ثم توجهت البعثة لملاقاة الملك لبناندنقل لتنسيق العمل المشترك بين الطرفين، وكانت ظروف اثيوبيا ملائمة لذلك، خاصة بعد احتلال البرتغاليين لمصوع، وظهور توجه لدى ملوك اثيوبيا في تلك المرحلة، يهدف تبديل مذهب اثيوبيا الارثوذكسي الى المذهب الكاثوليكي، رغبة في الحصول على دعم البرتغال الكاثوليكية والاسلحة لقتال مسلمي الصومال. ولهذا تركز عمل البعثة على النشاط التبشيري لربط الكنيسة الاثيوبية بالكنيسة البرتغالية^(٣).

عاد داليم الى لشبونه في ١٥٢٦ حاملاً معه بشرى الاتفاق مع اثيوبيا والحصول على موطن قدم في مصوع. وفي ١٥٢٧ اندفع الاثيوبيون الى غزو سلطنة هرر الاسلامية للسيطرة عليها، فقام احمد بن ابراهيم سلطان هرر (١٥٠٦- ١٥٤٣) والملقب بالجري^(٤)، بقيادة حملة جهاد اسلامية وابتداءً من العام ١٥٢٧ على اثيوبيا، مثلت رأس حركة الجهاد الاسلامي في منطقة القرن الافريقي

(1)Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 86.

(٢) وثائق الخارجية الايطالية حول احتلال اريتريا، باشراف كارلو جوليو، ترجمة ونشر البعثة الخارجية لجبهة التحرير الارترية، قوات التحرير الشعبية، دمشق، مطابع الادارة السياسية للجيش، ١٩٧٨، ص٧؛ عبدالله، جبار علي، التطورات السياسية في اريتريا منذ الاحتلال الاستعماري حتى عام ١٩٩٨، رسالة ماجستير غير منشوره، قدمت الى كلية العلوم الساسية/جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص٩.

(3) Abir, Ethiopia and the Red Sea, p. 86 ; Jones and Monroe, op.cit, p. 86.

(٤) كلمة صومالية تعني الاعسر، لانه كان يستخدم يده اليسرى، وتذكر العديد من الكتب التاريخية كلمة جران (Garan) او كران (karan) ، وهي في حقيقتها تحريف حبشي للكلمة الاولى، بل ان بعضهم يحرف الكلمة اكثر فيطلقون كلمة جرانج (Graneje) كما اشار بذلك مارستون. انظر:- Marston, op.cit, p. 22.

ككل، خاصة وان فكرة الجهاد ضد الأثيوبيين كانت قائمة لدى تلك السلطنة، على الرغم من تعرضها الى العديد من الاضطرابات الداخلية وتغير عواصمها من اوفات فعدل ثم هرر وتبدل حكامها. فقد تمكن احمد بن ابراهيم وبعد انضمام قبائل العفر، والعيسى، والصومال^(١)، من هزيمة الأثيوبيين في بداية هذا الحملة، ووضع حد للغارات الخاطفة، وتجهيز الحملات للسيطرة على اثيوبيا ذاتها. فقد حقق في ١٥٢٩ انتصاره على الأثيوبيين، ودخله الى شوا وتيجري في ١٥٣١، ثم نجاحه في السيطرة على جنوبي اثيوبيا في العام ١٥٣٧، ليتمكن احمد بن ابراهيم وعلى مدى اربعة عشر عاماً (١٥٢٧-١٥٤١) من السيطرة على اغلب اقاليم اثيوبيا وهي شوا، وتيجري، وجوجام، وبجمدار، فضلاً عن الساحل الغربي لخليج عدن^(٢)، وهو الامر الذي جعل الملك لبنادنقل يضطر إلى اللجوء الى حصن امبا الذي يقع في منطقة جبلية وعلى الحدود الغربية الشمالية تمهيداً للفرار خارج اثيوبيا^(٣).

مما سبق يتبين عدم الاهتمام البرتغالي الواضح بسير التطورات في منطقة القرن الافريقي، وبموقف اثيوبيا الحرج، التي بدورها قام لبنادنقل بارسال الطبيب برمودز بطريك اثيوبيا الكاثوليكي، الذي قام بتعيينه كعربون ولأئه للكنيسة الكاثوليكية الى لشبونه، والذي قابل الملك جوان الثالث Joan III، ووصف له موقف اثيوبيا، فزوده الملك بخطاب الى نائبه في الهند يكلفه بأرسال اسطول برتغالي مزود بـ (٤٥٠) جندياً لمساعدة اثيوبيا ومقاتلة المسلمين^(٤).

(1) Steiner, Martina Isabella interthnic Relations and Colonialism in Somalia, Ph. D- Thesis in Modern history, university Wien (Austria), 1991, p. 42.

(٢) سجل المؤرخ العربي احمد بن عبد القادر شهاب الدين المعروف بعرب فقيه تاريخ حملات احمد بن ابراهيم في اثيوبيا، وهو الكتاب الوحيد باللغة العربية الذي ذكر تفاصيل واسعة ودقيقة عن تلك الحملات، وقد نشره رينيه باسيه مع ترجمة فرنسية في باريس وفي ثمانية اجزاء. انظر:-

Basset, Rene, Histoire De la Conquete De L' Abyssinie, Paris, 1897 .

(3)Trimingham, Islam In Ethiopia, p. 86.

(٤) الحيمي، الحسن بن احمد، سيرة الحبشة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٩٥٨، ص ٣٣ .

من جانب اخر، دفعت التطورات في المشرق العربي بعد سيطرة العثمانيين على العراق في ١٥٣٤ وامتداد نفوذهم الى المناطق الشمالية للخليج العربي المجاورة للنفوذ البرتغالي في جنوبي الخليج^(١)، الى اعادة العثمانيين النظر بوضع البحر الاحمر بمنظور شامل انطلاقاً من وجودهم في مصر، الهادف الى تثبيت دعائم النفوذ العثماني في منطقة البحر الأحمر، وحمل لواء الحرب ضد البرتغاليين، خاصة بعد تحالفهم مع الصفويين اعداء العثمانيين في ايران^(٢)، والأثيوبيين في منطقة القرن الافريقي. وكان العثمانيون قد ادركوا اهمية اليمن الاستراتيجية في تحقيق اهدافهم في منطقة البحر الاحمر او في حربهم ضد البرتغاليين، فاليمن بحكم موقعها المتميز في جنوب غربي الجزيرة العربية. واشرفها على مضيق باب المندب، تمثل منطقة دفاع مهمة عن حدود الدولة العثمانية في الجنوب، وقاعدة ارتكاز للتحكم بالبحرين الاحمر والعربي، ونقطة انطلاق عسكرية للوثوب الى منطقة القرن الافريقي لمنع البرتغاليين من الوصول اليها، وكذلك على القواعد البرتغالية في البحار الشرقية^(٣).

وقد حتمت تلك الاحداث على السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) اتخاذ خطوات عملية وحاسمة لحماية حدود الدولة العثمانية من الجنوب، والحفاظ على سلامة الاماكن الاسلامية المقدسة، لينال شرف حماية الحرمين

(١) لمزيد من التفاصيل عن سيطرة العثمانيين للعراق انظر: - لونكريك، ستيفن هيمسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٦٨.

(٢) عقدت معاهدة التحالف الصفوية-البرتغالية في العام ١٥١٥ واستمرت الى اوائل القرن السابع عشر، وكانت نتيجة لهزيمة الصفويين في معركة جالديران عام ١٥١٤ امام العثمانيين، فاتفقت تطلعات شاهات ايران مع البرتغاليين في اقامة امبراطورية استعمارية واسعة. انظر: -

نورس، علاء، السياسة الايرانية في الخليج العربي ابان عهد كريم خان ١٧٥٧-١٧٧٩، الكويت، ١٩٨٢، ص^٨.

(٣) اباطه، فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص ص ١٦-١٧.

الشريفين وزعامة العالم الاسلامي^(١)، وذلك كجزء من تصور استراتيجي اشمل اخذ في عين الحسبان الجمع بين الاماكن المقدسة في الحجاز وكل من اليمن والبحر الاحمر والقرن الافريقي والخليج العربي والمحيط الهندي والهند، التي حرص العثمانيون على نيل نصيب من تجارتها من التوابل لترويجها في اوربا، ولهذا امر سليمان القانوني بتجهيز حملة بحرية كبيرة بقيادة سليمان باشا الخادم والي مصر، تألفت من سبعين سفينة وعشرون الف مقاتل^(٢)، للسيطرة على اليمن وتدمير المراكز البرتغالية في الهند. وفي آب ١٥٣٨ تمكن سليمان الخادم من احتلال عدن واسقاط حكم اسرة بني طاهر فيها، وعند مغادرته لعدن توجه الى الهند وحاصر جزيرة "ريو" لمدة من الوقت بهدف اخراج البرتغاليين منها، الا انه فشل في ذلك، فانسحب الاسطول عائداً الى عدن ومنها الى السويس^(٣).

ارادت القيادة البرتغالية ان ترد على الحملة العثمانية المرسلة الى الهند في العام ١٥٣٨، التي هددت الوجود البرتغالي في الهند، وشكلت خطراً بعد احتلال عدن على المراكز البرتغالية في الهند وساحل شرقي افريقيا، وان يثبتوا للعثمانيين انهم قوة مهيمنة على البحار الشرقية، وان في مقدورهم التوغل داخل البحر الاحمر ويدمروا القواعد البحرية العثمانية، حتى لا تشكل خطراً على وجودهم في الهند والخليج العربي^(٤). ارسل البرتغاليون في اوائل عام ١٥٤١ حملة بحرية بقيادة إستافو دي غاما Estevao de Gama نائب الملك في الهند، وهو الابن الاكبر لفاسكودي غاما، وكانت الاوامر الصادرة اليه تقضي بتدمير القواعد البحرية

(١) أباطه، الحكم العثماني، ص ١٧؛ صالحيه، محمد عيسى، التدخل العثماني في اليمن ١٥٣٩-١٥٥٥، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، العدد ٢٤، السنة السادسة، البصرة، تشرين الاول، ١٩٨٠، ص ٩١.

(٢) اختلفت المصادر في تحديد بعض الارقام الخاصة بالحملة، فيذكر بلايفير ان الحملة تألفت من (١٧) سفينة، في حين يذكر مارستون ان الحملة تألفت من (٢٠) الف مقاتل و (٧٦) سفينة. اما سرجينيت فيؤكد انها تألفت من (٤٠) الف مقاتل و (١٠٠) سفينة. انظر:-

PlayFair, op.cit, p.101 ; Marston, op.cit, p.21 ; Serjeant, op.cit, p.94.

(3) PlayFair, op.cit, pp. 101-102 ; Hunter, op.cit, p.163.

(٤) محمود، المصدر السابق، ص ١٤٨.

العثمانية وتحطيم سفن الاسطول العثماني الراسية في ميناء السويس، فقام استافو دي غاما وهو في طريقه الى السويس بمهاجمة ميناء سواكن، وجزر دهلوك، بالمدافع واحرق بعض السفن الشراعية في القصير وطور^(١). كما قام إستافو دي غاما وهو في طريق عودته الى الهند في اواخر نيسان ١٥٤١ بانزال اخيه كريستوفو دي غاما Christovao da Gama على رأس قوة قدرت بـ (٤٥٠) جندي في حرقيقو، وتقع جنوبي مصوع، وهم مزودون بالاسلحة والمدافع لمساعدة الأثيوبيين في صراعهم ضد احمد بن ابراهيم وقواته^(٢)، وقد تمكن كريستوفو دي غاما من الوصول الى داخل اثيوبيا^(٣)، مما ادى الى تغيير ميزان القوة في اثيوبيا، فبعد ما كانت قوات احمد بن ابراهيم تسيطر على معظم اجزاء اثيوبيا، فان وصول المساعدة البرتغالية المسلحة اوقفت التفوق الاسلامي في المنطقة.

وعليه كانت للحملة البرتغالية عام ١٥٤١ اثاراً بعيدة على الجانبين العثماني والبرتغالي، فقد ترك العثمانيون سياستهم الهجومية واكتفوا بتطوير خططهم الحربية الدفاعية في منطقة البحر الاحمر لإغلاقه امام السفن البرتغالية^(٤)، وقطع الاتصال بين البرتغاليين والأثيوبيين، لا سيما بعد ان ادرك العثمانيون العواقب الوخيمة المترتبة على دعم كريستوفو دي غاما لاثيوبيا، ولذلك قرر العثمانيون الاسراع بدعم وجودهم في مصوع وسواكن وجده، وتشديد قبضتهم على ارجاء اليمن بسواحل بصفة خاصة لتكون قاعدة عسكرية لضرب المراكز البرتغالية في شرقي الجزيرة العربية وللسيطرة على البحر الاحمر^(٥). اما البرتغاليون فقد اضطروا الى ايقاف محاولاتهم لدخول الى البحر الاحمر، نظراً لكثافة النشاط العثماني البحري في مضيق باب المندب وساحل ارتيريا^(٦)، حتى لا يعرضوا أساطيلهم للدمار في داخل البحر الاحمر الذي اصبح حينئذ بحيرة عثمانية.

(1) Serjeant, op.cit, p.103 ; Jones and Monroe, op.cit, p. 83.

(2) Abir, Ethiopia and the Red Sea, p.119 ; Jones and Monroe, op.cit, p. 87.

(3) Trimingham, Islam in Ethiopia, p.97.

(٤) حسن ، المصدر السابق، ص ١٢٢ .

(٥) سالم، مصطفى، الفتح العثماني الاول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٤٠٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٠٥ .

ادى صراع القوتين العثمانية والبرتغالية للسيطرة على منطقة القرن الافريقي ذات الأهمية الاستراتيجية، الى انتقال الحرب في المنطقة من محورها الاقليمي الى المحور الدولي، عندما دار صراع بري في القرن الافريقي بين قوات احمد بن ابراهيم وجنود كريستوفو دي غاما والأثيوبيين انتصرت فيها قوات احمد بن ابراهيم في معظم تلك المعارك، ولكن ما لبث ذلك الانتصار ان تحول الى هزيمة عام ١٥٤٢ اثر معركة عنيفة حدثت في المنطقة الواقعة بين امبالاجي Amba ALagi وبحيرة الشانجي^(١)، اسفرت عن استنجد احمد بن ابراهيم بالوالي العثماني في زبيد مصطفى النشار الذي قام بتجهيزه بـ (٥٠٠) مقاتل مع (١٠) مدافع نزلت في بيلول Bailul جنوبي مصوع^(٢). وفي ظل تلك الظروف ظهر التحالف العثماني مع احمد بن ابراهيم وقواته^(٣)، الذي أيدته الدولة العثمانية بالمال. والمقاتلين والسلاح، واتخذت من تدينه وسيلة لاثهاره امام مسلمي المنطقة قائداً دينياً يجمع كلمة المسلمين ويسير بهم الى محاربة البرتغاليين^(٤)، وبذلك اتخذ طابع الصراع الظاهري صيغة التحالف الديني والحرب الصليبية.

كانت اثيوبيا ميداناً للمعركة، وبدأت الأرجحية للقوات المسلمة، حيث تمكنت قوات احمد بن ابراهيم والقوات العثمانية من هزيمة القوات البرتغالية والاثيوبية، وقتل القائد البرتغالي كريستوفو دي غاما في معركة قرب بحيرة تانا^(٥)، لكن نشوة الانتصار جعلت احمد بن ابراهيم يرتكب خطأً عسكرياً كبيراً، عندما أمر بتسريح معظم المتطوعين الذين قاتلوا الى جانبه، وباعادة بعض المدافع والاسلحة التي

(1) Abir, Ethiopia and the Red Sea, p.49 ; Jones and Monroe, op.cit, p 87.

(2) Serjeant, op.cit, p. 103.

(٣) تذكر بعض المصادر ومنها الحيمي وزاهر رياض ان دعم العثمانيين لاحمد بن ابراهيم كان سبباً في استئناف حملاته ضد اثيوبيا منذ العام ١٥٢٩، في حين لم يذكر المصدر المعاصر لهذه الحقيقة وهو شهاب الدين المعروف بعرب فقيه شيئاً عن دعم العثمانيين واسلحتهم في المراحل الاولى من جهاد احمد بن ابراهيم انظر:- فقيه، عرب، فتوح الحبشة، باريس، ١٩٠٩؛ الحيمي، المصدر السابق، ص ص ٢٤-٢٥؛ رياض، زاهر، تاريخ اثيوبيا، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٨٣.

(٤) الحيمي، المصدر السابق، ص ٣١.

(5)Trimingham, Islam in Ethiopia, p.87 ;

جيبوتي دراسة مسحية شاملة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠٠٠، ص ٣٥.

امده بها العثمانيون، ولعله اقدم على ذلك لأنه اقتنع بأن خصمه قد قضى عليه عسكرياً وضمن السيادة على الهضبة الاثيوبية المعقدة، فضلاً عن خشيته من تزايد النفوذ العثماني وهيمنته على المنطقة، كما حدث في مصر واليمن، وهو تفكير لم يكن في محله آنذاك، فقد كانت الدولة العثمانية لا تبدي اهتماماً كبيراً بتحقيق وجود عثماني في اثيوبيا، بقدر ما كانت توجهاتها تنصب نحو السيطرة على الساحل الارتريري وسواكن، لضمان اغلاق مضيق باب المندب امام الاساطيل البرتغالية.

وعلى اية حال فان اقدام احمد بن ابراهيم على هذه الخطوة المتسعة يكون قد حجز تذكرة انتحاره بيده، اذ استغل الاثيوبيون والمقاتلون البرتغاليون خطأ احمد بن ابراهيم لمصلحتهم، عندما خططوا لعمليات عسكرية مشتركة بين قوات الملك كلوديوس Cludius ملك اثيوبيا (١٥٤٠-١٥٥٩)، ابن لبناندقل، وبين جنود الفصيل البرتغالي لشن هجوم مشترك على خيمة احمد بن ابراهيم، الذين تمكنوا بالفعل من قتله في ١٥٤٣^(١)، فقاتل الاثيوبيون بمعنويات عالية حتى تمكنوا من تطويق قوات احمد بن ابراهيم المبعثرة، والتي انكسرت شوكتها باستشهاد احمد بن ابراهيم، ولذلك سرعان ما انهزمت القوات الاسلامية امام الاثيوبيين الذين تمكنوا من اخراجها من البلاد بعد تكبيدها خسائر جسيمة، فتراجعت القوات الاسلامية الى قاعدتها في هرر^(٢).

ادى التحالف العثماني مع احمد بن ابراهيم دوراً مهماً في قرار السلطان العثماني سليمان القانوني، الذي استجاب للنصائح التي وجهها له قاداته البحريون، لاسيما من خدم منهم في اليمن، ومنهم اوزدمير باشا والي اليمن السابق

(1) Abir, Ethiopia and the Red Sea, p. 38 ; Huggins, Willis, An Introduction to Africa civilization, New york, 1973, p. 10 ;

صلاة، المصدر السابق، ص^{٤٩}؛ عابدين، عبد المجيد، بين الحبشة والعرب، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ١٤٩.

(2) Jones and Monroe, op.cit, p. 98 ;

العارف، ممتاز، ارتيريا بين احتلالين، دراسة في تطورها السياسي والاقتصادي مع إشارة خاصة بعلاقتها باثيوبيا، بغداد، دار الجاحظ، ١٩٧٩، ص^{٤٧}؛ احمد، يوسف، الاسلام في الحبشة، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٩٣٥، ص^{٤٠}.

(١٥٤٩-١٥٥٠)، بضرورة تدعيم الوجود العثماني في ساحل البحر الاحمر الافريقي، بعد الفراغ الذي تركه الرحيل المفاجئ لاحمد بن ابراهيم، فتقرر تأسيس ولاية عثمانية في المنطقة، عرفت بأسم "ولاية الحبش"، لانها تمثل مخارج اثيوبيا، وتعيين اوزدمير باشا أول حاكم عثماني لها بلقب "بكلربك"، وقد شملت هذه الولاية بعد الحملة العسكرية التي قادها اوزدمير باشا في ١٥٥٦، سواكن، ومصوع، وحرقيقو، وجزر دهلك، وزيلع، وبربره، واصبحت مصوع مركزاً للولاية الجديدة في ١٥٥٧^(١)، ووضعت تحت اشراف والي جده، وهو حاكم الحجاز، على ان يعين من جانبه قائمقاماً على كل منهما^(٢).

حاول اوزدمير، بعد ان اصبح الساحل الافريقي للبحر الاحمر وخليج عدن من ركائز الحكم العثماني في المنطقة ويدين بالولاء للسلطان العثماني بصفته رمزاً لوحدة المسلمين في مواجهة القوى الاجنبية، متابعة حركة التوسع العسكري العثماني في المنطقة، لاسيما بعد ان وجد في تلك المناطق قاعدة ارتكاز للهجوم على اثيوبيا، ولذلك توجه اوزدمير باهتماماته نحو المناطق الشمالية لاثيوبيا، لأهميتها السوقية والتجارية لاريتريا والسودان، ولقرب العامل الجغرافي لتيجري من مصوع مركز الولاية العثمانية الجديدة، فضلاً عن الهدف الاهم للحملة، وهو قطع الاتصالات البرتغالية-الاثيوبية وحماية المناطق الساحلية من التهديد الاثيوبي مستقبلاً. كما كان للحملة هدف اخر تمثل في منع نور الدين بن مجاهد حاكم عدل (١٥٥١-١٥٦٧)^(٣) من السيطرة على اثيوبيا فيما لو توفرت الظروف لذلك مجدداً، كما فعل احمد بن ابراهيم، ولذلك قامت قوات اوزدمير بمهاجمة تيجري

(1) Abir, Ethiopia and the Red Sea, p. 124;

الحيمي، المصدر السابق، ص ٣٤ .

(٢) حراز، رجب، ارتريا الحديثة ١٥٥٧-١٩٤١، القاهرة، معهد البحوث الدراسات العربية، ١٩٧٤، ص ٣٢؛ الاسعد، رشيد جبر، اضواء على القضية الارتيرية، بغداد، دار النذير للطباعة والنشر، ١٩٦٩، ص ٤٠ .

(٣) وهو احد اقارب احمد بن ابراهيم، تزوج من ارملة احمد بن ابراهيم، بعد ان تعهد لها بالانتقام له، قام بعدة محاولات للسيطرة على اثيوبيا، لكن كانت غير موفقة. انظر:- العارف، ممتاز، الاحباش بين مأرب واكسوم، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٦١ .

وتمكنت من السيطرة عليها في ١٥٥٩، في وقت كان الملك كلوديوس وجيشه يقاتلون قبائل الغالا في مقاطعة بالي قرب الحدود الجنوبية الشرقية وعندما سمع كلوديوس بالانباء، ارسل قسماً من قواته الى تجري لمعالجة الموقف، فتمكنت من هزيمة قوات اوزدمير القليلة العدد والعدة، مما اضطر اوزدمير وقواته الى الانسحاب الى سواكن^(١). وبذلك فشلت المحاولات العثمانية في السيطرة على المناطق الشمالية وجعلها تابعة لادارة الدولة العثمانية، وتحددت السيطرة العثمانية على ارتيريا، والساحل الصومالي المقابل لعدن.

كان الجهد العسكري العثماني على الساحل الصومالي المطل على المحيط الهندي محدوداً للغاية، مقارنة بتلك الحملات البحرية العثمانية الاخرى، وكان ذلك في العقد التاسع من القرن السادس عشر، عندما بدأ كأنه جهد فردي من جانب القائد البحري ميرال بك، وليس جهداً رسمياً من الدولة العثمانية. ففي ١٥٨٦ توجه ميرال بك الى مقديشو، بناءً على طلب والي اليمن حسن باشا (١٥٨٠-١٦٠٥)^(٢)، لاحتضار بعض الاخشاب اللازمة لاسطول البحر الاحمر، فرحب به اهالي الساحل عند وصوله الى مقديشو، وسارعوا بالاعتراف بالسيادة العثمانية عليهم لتقوية جانبهم في مقاومة السيطرة البرتغالية. شجعت تلك النتائج ميرال بك على ان يقوم برحلة ثانية^(٣) في ١٥٨٨، عندما أرسل مراد الثالث السلطان العثماني (١٥٧٤-١٥٩٦) ميرال بك على رأس قوة عسكرية للقضاء على السلطة البرتغالية هناك، فاستقبله بالترحاب سكان مقديشو وبراه وكسمايو لكونه المنقذ من السيطرة البرتغالية^(٤). لكن مع ذلك لم يستطع العثمانيون الاحتفاظ بقواتهم هناك، بل تركوا امر ادارتها للشيوخ والسلاطين المحليين الذين ما لبثوا، بسبب ولائهم

(1) Abir, Ethiopia and the Red Sea, p. 125 ; keller, Edmond, Revolutionary Ethiopia From Empire to People's Republic, U.S.A, Indiana University Press, 1988, p. 19.

(٢) ويعد فاتح اليمن الثاني، نظراً للجهود التي بذلها لاختتام الثورات التي نشبت في اليمن مثل "ريمة" و "وهاب" و "يانع" وغيرها، واهتمامه ببناء وتعمير المنشآت العمرانية المختلفة. لمزيد من المعلومات انظر:- سالم، مصطفى، المصدر السابق، ص ص ٣١٧-٣١٨.

(٣) جيان، المصدر السابق، ص ٢٧٨؛ سالم، مصطفى، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(4) Coupland, op.cit, p. 59.

للعثمانيين، ان تعرضوا لانتقام البرتغاليين الذين أعادوا سيطرتهم على المنطقة من جديد^(١).

اما بالنسبة لطبيعة العلاقات البرتغالية-الاثيوبية، فقد مرت بمرحلة حرجية، لاسيما بعد ان تبني البرتغاليون سياسة مذهبية، تؤكد على استبدال المذهب الارثوذكسي لاثيوبيا بالمذهب الكاثوليكي، وقد نجحت بعثات الجزويت^(٢) البرتغالية في تأسيس وجود لها في البلاد^(٣). ولكن الملك كلوديوس رفض احداث اية تغييرات مذهبية في الكنيسة كما رغب البرتغاليون، فبدأ الصدام بين ملوك اثيوبيا والبرتغاليين، واخذ شكل الصدام المسلح في عهد الملك ميناس Minas (١٥٥٩-١٥٦٣)، الذي خلف اخاه كلوديوس بعد مقتله في اذار ١٥٥٩. أدت هذه الخلافات المذهبية في اثيوبيا، الى ضعف النفوذ البرتغالي، فلم يعد البرتغاليون الحلفاء الاوفياء لاثيوبيا، ويطلبون منهم المساعدة، بل عملوا بعد ذلك على التخلص منهم وطردتهم من اثيوبيا في ١٦٣٢^(٤). وأضافة الى الصراعات المذهبية وتأثيرها في فتور العلاقات الاثيوبية-البرتغالية، ادى تطور الاحداث في اوربا، وانشغالها في

(١) جيان، المصدر السابق، ص ص ٢٧٨-٢٨٣ ؛ حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ١٩ ؛ يحيى، جلال، العلاقات المصرية الصومالية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٢.

(٢) ادت جمعية الجزويت (جمعية الاباء اليسوعيين) دوراً مهماً في حركة الاصلاح الديني الكاثوليكي المضاد، اسس الجمعية النبيل الاسباني (اكتاتيوس ليولا) ١٤٩١-١٥٥٦، واعترفت البابوية بالجمعية في العام ١٥٤٠. كان هدف الجمعية تأمين سيادة الكاثوليك بكل الوسائل الممكنة، وكان شعار الجمعية الغاية تبرر الوسيلة، اسهمت الجمعية في اعادة فرض المذهب الكاثوليك في جنوبي المانيا وبولندا وهنغاريا.

Erass, F. H, The Dictionary of the Christan Church, London, 1963, p. 668.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن دور الجزويت في اثيوبيا انظر :-

Jones and Monroe, op.cit, pp. 88-107.

(4) Luther, op.cit, p.15 ; Clapham, Christopher, Hail-Selassie's Government, Great Britain, Longmans, 1969, p.12.

حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨-١٦٤٨)^(١)، دوراً كبيراً في انشغال البرتغال عن اثيوبيا، لسبب واحد، هو ان اوربا ذاتها كانت في بحر من دماء الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت.

وبذلك، لم يكد يبرز القرن السابع عشر، حتى هيمن العثمانيون على البحر الاحمر ومنعوا السفن الاوربية كافة من دخوله، وان عجزوا في الوقت ذاته عن تقرير مصير البرتغاليين في الشرق، تاركين تلك المهمة الى الهولنديين، ولعل الامر الذي ساعدهم في ذلك، هو دخول البرتغال في حكم اسبانيا لمدة سنتين عاماً (١٥٨٠-١٦٤٠)، نتيجة توحيد تاجي اسبانيا والبرتغال في تاج واحد، عندما توج فيليب الثاني Philip II ملك اسبانيا (١٥٥٨-١٥٩٨) ملكاً للبرتغال (١٥٨١-١٥٩٨)^(٢)، اذ اثر ذلك بشكل واضح في مصالح البرتغال في الشرق، عندما فقدت قوتها البحرية في ١٥٨٨، بعد ان فرضت عليها الاشتراك

(١) انقسمت حرب الثلاثين عاماً الى اربع مراحل: وهي الحرب البوهيمية (١٦١٨-١٦٢٥) وفيها انتصرت قوات الامبراطورية الرومانية المقدسة بقيادة فرديناند الثاني على حاكم بوهيميا البروتستانتي، والدور الثاني الحرب الدنماركية (١٦٢٥-١٦٢٩) وانتصر فيها ايضاً الامبراطور فرديناند الثاني على قوات كرسثيان ملك الدنمارك، والدور السويدي (١٦٣٠-١٦٣٥) وفيه تدخل جوستاف ادولف ملك السويد، وانتهت بهزيمة السويد، والدور الاخير هو الدور الفرنسي السويدي (١٦٣٥-١٦٤٨) وفيه انتصرت القوات الفرنسية-السويدية على قوات الامبراطورية الرومانية المقدسة، وعقد صلح وستفاليا في العام ١٦٤٨. لمزيد من التفاصيل انظر:-

Pennington, D, 17Th Century Europe, London, 1964, pp.282-302.

(٢) تبنى الملك فيليب الثاني المذهب الكاثوليكي كعقيدة رسمية لاسبانيا، وكان ذلك عاملاً مهماً في الحاق البرتغال الى اسبانيا رسمياً في نيسان ١٥٨١، عندما استغل فيليب الثاني وفاة ملك البرتغال الكاردينال انريكي في كانون الثاني ١٥٨١ الذي خلف الملك سباستيان الاول بعد وفاته في ٤ آب ١٥٧٨، فارسل فيليب الثاني بقواته الى البرتغال لضمها الى اسبانيا، في وقت كان دعي آخر وهو انطونيو قد اعلن نفسه ملكاً على البرتغال. انظر:-

Encyclopaedia Britannica, Vol.14, p.283.

مع الاسطول الاسباني، الذي عرف بالارمادا في الهجوم على انكلترا، فتحطم امام الشواطئ الانكليزية^(١)، وبذلك فقدت اسبانيا والبرتغال سيطرتهم على البحار. جاء الانكليز الى الشرق في اوائل القرن السابع عشر، وكان الهدف الرئيس لقدمهم هو الحصول على جزء من السلع الشرقية لتموين السوق الانكليزية، مستغنين عن الدور الذي يقوم به البرتغاليون او التجار في هذا المجال. وبسبب عدم قدرة الحكومة الانكليزية على تبني مشاريع تجارية احتكارية على عاتقها، منحت الملكة اليزابيث الاولى Elizabeth I (١٥٣٣-١٦٠٣/١٥٥٨-١٦٠٣)^(٢) امتيازاً الى شركة الهند الشرقية الانكليزية The English East India Company في اليوم الاخير من القرن السادس عشر، الذي يوافق ٣١ كانون الاول ١٦٠٠^(٣)، تضمن حق الشركة في احتكار التجارة الانكليزية في المناطق الواقعة الى الشرق من رأس الرجاء الصالح^(٤).

(١) وجد فيليب الثاني انه لا يستطيع حكم هولندا وبعض اجزاء امريكا والمحافظة على الطرق التجارية الا باخضاع انكلترا، التي كانت تهاجم السفن الاسبانية، فأعدّ اسطولاً كبيراً تألف من (١٣٠) سفينة ضخمة و (٨) الاف بحار، و (١٩) الف جندي، انظر:- الشناوي، عبد العزيز محمد، اوربا في مطلع العصر الحديث، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٣٤.

(٢) ملكة انكلترا وايرلندا، وابنة الملك هنري الثامن Henry VIII زوجته ان بولين Ann Boleyn. خلفت الحكم بعد اختها ماري (١٥٥٣-١٥٥٨)، وهي من اشهر الملكات في تاريخ انكلترا، قادت بلادها خلال مرحلة الاصلاح الديني، ووطدت اساس الكنيسة الانكليكانية، وقامت بتوسيع النشاط البرلماني، وهزيمة الاسبان في حرب الارمادا في ١٥٨٨ التي انتقلت انكلترا على اثرها الى قوة رئيسة بين القوى الاوربية، لمزيد من التفاصيل انظر:-

Encyclopaedia Britannica, 2000.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن شركة الهند الشرقية انظر:-

Chadhuri, K.N, The English East India Company, The Study an early Joint Stock Company 1600-1640, London, 1965 ;

القيسي، محمود عبد الواحد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند، رسالة ماجستير غير منشوره قدمت الى كلية الاداب-جامعة بغداد، ١٩٩٣.

(٤) امين، عبد الامير محمد، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني عشر، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٨٥.

وتعد شركة الهند الشرقية من اهم الشركات الانكليزية التي تاجرت مع الشرق^(١)، ومثلت على مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر مرحلة نمو المصالح البريطانية في الهند والمناطق المحيطة بها. وفي خضم تلك المصالح التجارية البريطانية، لم يبد، مدراء شركة الهند الشرقية الانكليزية أي اهتمام بأسواق منطقة القرن الافريقي، وللأسباب الآتية:

- (١) كان هدف التوجه الانكليزي الى الشرق، هو التجارة مع الهند والحصول على السلع الهندية، كالافاويه والعطور وغيرها من المواد التي تفتقر اليها الاسواق الانكليزية والاوربية، ولم تمثل بضائع منطقة القرن الافريقي سوقاً لجذب الانكليز اليها، كما هو الحال مع الحرير الايراني أو البن اليمني.
- (٢) كانت السياسة الاقتصادية في انكلترا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، تقوم على اساس المذهب الماركنتلي Mercantilism^(٢)، الذي يؤكد على تنمية الصناعة الوطنية وزيادة الصادرات وتقليل الواردات. ونتيجة

(١) ومن بين تلك الشركات، شركة روسيا (The Russia Company)، التي منحتها الحكومة الانكليزية سنة ١٥٥٣ امتياز تاسيسها، وفي ١٥٥٥ الحق المطلق في المتاجرة مع روسيا. وشركة الشرق (Levant Company) التي تاسست في ١٥٨١ وحصلت على الحق المطلق في التجارة مع ارجاء الامبراطورية العثمانية المختلفة، ومن ثم التجارة البرية مع الهند عبر الامبراطورية العثمانية في ١٥٩٢. ومع ان الشركتين المذكورتين دخلتا مجال التجارة الشرقية قبل شركة الهند الشرقية بوقت طويل، فقد كانت الاخيرة اوفر حظاً منهما، فقد قدر لها ان تلعب دوراً خطيراً ومهماً في الحياة السياسية والاقتصادية في اوربا والشرق على حد سواء، خاصة وانها قد حققت مكاسب تجارية مهمة وارباحاً مغرية منذ الايام الاولى من تاسيسها. لمزيد من المعلومات. انظر:-

Hoskins, Halford Lancaster, British Routes to India, London, 1966;

امين، المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٢) نظام اقتصادي شاع في اوربا منذ القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر، أي خلال مرحلة تفسخ النظام الاقطاعي، يهدف الى تنظيم الشؤون الاقتصادية من تجارة وصناعة واحتكارات خارجية من قبل الدولة، ويقوم ذلك على اساس ان الفضة والذهب هما عماد الثروة بالنسبة للدولة، ولهذا يجب توفيرهما بكميات كبيرة في خزانة الدولة لزيادة هيبة الدولة ورخاء وأمن البلاد. انظر:-

The New Encyclopaedia Britannica, Vol.8, p.26.

للتطور الكبير في تجارة الانسجة القطنية، قامت الشركة بزيادة صادرات الانكليز التي تشمل على الاقمشة الصوفية بالدرجة الاولى^(١). ونظراً لحرارة طقس منطقة القرن الافريقي ولفقر السكان، لم تكن المنطقة ضمن مناطق صرف البضائع الانكليزية.

ومع مطلع القرن التاسع عشر شهدت المصالح البريطانية تحولاً نوعياً كبيراً تجاه منطقة القرن الافريقي، مقارنة بالقرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث ادت التجارة والأهمية الاستراتيجية الى اتصال البريطانيين بمنطقة القرن الافريقي لأول مرة في العصر الحديث، لاسيما انهم هم الذين بادورا بالاتصال، بفعل عوامل عديدة، اهمها، النتائج التي ترتبت على الغزو الفرنسي غير المتوقع لمصر (١٧٩٨-١٨٠١)، الذي حمل تهديداً خطيراً للمصالح التجارية البريطانية في الشرق، حيث كانت الخطط الفرنسية لتلك الحملة تستهدف تحويل مصر الى مستعمرة فرنسية، وقاعدة للتوسع في البحر الاحمر للزحف الى الهند، والتصدي للسفن والتجارة البريطانية الواقعة في البحر الاحمر والمحيط الهندي^(٢). ولكن بعد جلاء الفرنسيين عن مصر في ١٨٠١^(٣)، وزوال التهديد الفرنسي عن المصالح البريطانية في الهند، ادركت بريطانيا أن العلاقات التجارية غير المنتظمة بينها

(1) (امين، عبد الامير محمد، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الاوربي في اسيا ١٦٠٠-١٨٠٠، عمان، ١٩٨٧، ص ٣٢ .

(1)Anderson, Mathew Smith, The Eastern Question 1774-1923, A study in International Relations, London, 1966, p.25 ; Mackay, D, Direction and Purpose in British Imperial Policy, 1783-1801, The Historical Journal, Cambridge University Press, Vol. XVII, No, 3, 1964, pp.495-496.

(٢) وافقت فرنسا على الجلاء من مصر بصورة كاملة، بموجب معاهدة العريش التي عقدت بين فرنسا والدولة العثمانية في ٢٤ كانون الثاني ١٨٠٠، التي تضمنت رحيل القوات الفرنسية على سفن عثمانية وفرنسية دون قيد او شرط، وقد اعترضت الحكومة البريطانية ان يستلم الفرنسيون اسرى الحرب، فرفضت الحكومة الفرنسية ذلك، وبعد تغيير الموقف الاوربي، دخل الفرنسيون في مفاوضات مع البريطانيين، وتم الاتفاق على الجلاء في العام ١٨٠١ انظر:-

شكري، محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، د.ت، ص ص ١٥٧-٣٩٤.

وبين منطقة البحر الاحمر، يجب ان تتحول الى علاقات ثابتة في السياسة والاستراتيجية البريطانية، وطبيعة هذا التحول يتلخص ان بريطانيا قد لا يعينها مباشرة ان تسيطر على البلاد، ولكنها لا تستطيع ان تنتظر بأرتياح تجاه أية محاولة تقوم بها دولة اخرى لتهديد هذه المنطقة واستخدامها قواعد للاضرار بمصالحها الحيوية في الشرق^(١).

ولتنفيذ تلك السياسة، أرسلت الحكومة البريطانية الفايكونت فالنتيا Viscount Valentia الى البحر الاحمر، لجمع المعلومات الجغرافية عن المنطقة، والعمل على زيادة حجم التجارة البريطانية، وايجاد افضل السبل لتدعيم القوى البريطانية في المنطقة، فقام فالنتيا وبرفقة سكرتيره هنري سالت Henry Salt، بزيارة موانئ البحر الاحمر بدءاً من ميناء عدن، في رحلة استغرقت اربع سنوات (١٨٠٢-١٨٠٦)^(٢)، وكان ميناء مصوع من بين الموانئ الرئيسية، حيث نزل فالنتيا فيه في ٢٤ آيار ١٨٠٤، واستقبل من قبل النائب ادريس، وكانت التجارة في مصوع من وجهة نظر فالنتيا، مهمة للمصالح التجارية البريطانية، على الرغم من تناقص حجم النشاط التجاري في مصوع حينذاك^(٣).

قرر فالنتيا في زيارته الثانية الى ميناء مصوع في ٥ آذار ١٨٠٥^(٤)، وبدون علم الحكومة البريطانية، الاتصال باثيوبيا، باعتبارها منطقة لم تدخل ضمن برنامج البعثة الى البحر الاحمر. ويبدو أنه كان مدفوعاً في اتخاذ قراره هذا، بعوامل عديدة منها حجم الصراع البريطاني-الفرنسي في تلك المرحلة، ومحاولة احتكار تجارة اثيوبيا بعيداً عن التنافس الفرنسي، فضلاً عن موقع اثيوبيا الجغرافي، الذي يمثل العمق الاستراتيجي لمضيق باب المندب من جهة الغرب، بكل ما يحمل من نقاط حيوية للمصالح التجارية البريطانية. كما كان للمكانة الدينية

(1) وليمز، سيتون ، بريطانيا والدول العربية، عرض للعلاقات الانكليزية العربية ١٩٢٠-١٩٤٨، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٢.

(2) Rubenson, Sven, The Survival of Ethiopian Independence, Great Britain, Heinemann, 1976, p.36.

(3) Ibid, p.36.

(4) Ibid, p.37.

لاثيوبيا عامل مؤثر اخر لاقامة علاقات مشتركة بين الطرفين، وعلى اساس تعزيز روابط الصداقة والتبادل التجاري.

واجه مشروع فالنتيا في البداية عقبة رئيسة، تمثلت في ضعف المعلومات العامة والمتيسرة عن اثيوبيا، وخاصة في المجالين السياسي والاقتصادي، حيث شهدت اثيوبيا بعد مقتل اخر ملوكها يواس Yoas في ١٧٦٩، انهياراً في الحكومة المركزية، وخلافات وحروب اهلية، تجزأت اثيوبيا على اثرها الى ثلاثة اقاليم وهي الامهرة، وشوا، وتيجري، فضلاً عن غوندار عاصمة المملكة الاثيوبية سابقاً، وكان كل حاكم من تلك الاقاليم يسمي نفسه "بالرأس" ويدعى بانه ملك الملوك على حكام اثيوبيا الاخرين، لتصبح اثيوبيا وكما اطلق عليها بعضهم بـ "دولة فوضى"^(١)، وتبدأ بمرحلة عرفت في تاريخ اثيوبيا بعهد الامراء Era of The Princes، التي سميت ايضا عند الاثيوبيين بـ: زمن ما سيفنت Zaman Masafent ، والتي امتدت بين ١٧٦٩ و ١٨٥٥^(٢).

مع ذلك أصر فالنتيا على وضع الخطط اللازمة لزيارة اثيوبيا، واستكشف معالمها المختلفة تمهيداً لاقامة علاقات تجارية بين الطرفين، اذ قام بكتابة رساله الى ولد سيلاسي Wolde Selassie حاكم تيجري يطلب فيها المجيء الى اثيوبيا. وفي حزيران ١٨٠٥ أجاب ولد سيلاسي بالموافقة على طلبه، فبعث فالنتيا سكرتيه هنري سالت مع مرافقيه ولیم كوفن William Coffin وناثانييل بيرس Nathaniel Pearce الى تيجري. وفي ٢٨ آب ١٨٠٥ وصل هنري سالت الى تيجري حاملاً رسالة من فالنتيا تبدي رغبته بتعزيز اواصر الصداقة بين الدولتين، هذا دون ان تشير الرسالة الى المصالح التجارية بين الجانبين، ويبدو ان هدف فالنتيا كان حماية هنري سالت ومرافقيه في تلك الزيارة، والاطلاع وبشكل مباشر على احوال اثيوبيا السياسية والاقتصادية، ومعرفة توجهات الرأس العامة

(1) Jones and Monroe, op.cit, pp.120-128 ; Ethiopian History, Era of The Princes 1769-1855, January 2002.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر:-

Abir, Mordehai, The Era of the Princes, The Challenge of Islam and Re-Unification of the Christian Empire 1769-1855, New york, Praeger, 1968.

تجاه تلك الزيارة. هذا وقد تناولت محادثات هنري سالت وولد سيلاسي من جانب اخر معوقات التبادل التجاري المباشر بين الطرفين، حين أشار هنري سالت الى محاولة فتح الاتصال بين ساحل البحر الاحمر واثيوبيا، بعيداً عن السيادة العثمانية على الساحل، وطرح فكرة السيطرة على شبه جزيرة بري Buri، الواقعة غربي جزر دهلك بين مينائي مصوع وحنفيله، بوصفها مكاناً ملائماً لنقل البضائع على الساحل الى اثيوبيا مباشرة^(١).

ومن الواضح ان هذه الزيارة تمثل بداية مرحلة من المحاولات البريطانية لتأمين المصالح البريطانية في اثيوبيا، وعهداً جديداً في تاريخ اثيوبيا، اذ اشارت زيارة سالت للأثيوبيين الى ان ثمة دولة مسيحية كبرى ترغب في ابداء المساعدة للأثيوبيين وتأمين موقع لهم على ساحل البحر الاحمر الغربي الذي يسيطر عليه المسلمون. وفي نهاية الزيارة استعد هنري سالت للتوجه الى الساحل في ١٠ تشرين الاول ١٨٠٥، حاملاً معه رسالة من ولد سيلاسي الى جورج الثالث George III ملك بريطانيا (١٧٣٨-١٨٢٠/١٧٦٠-١٨٢٠)^(٢)، يطلب فيها تقديم المساعدة لتحقيق الامن والاستقرار في اثيوبيا بعد الحرب الاهلية التي عمت ارجاء البلاد^(٣).

كان فالنتيا قد قدم في ختام زيارته الى منطقة البحر الاحمر تقريراً مهماً الى وزارة الخارجية البريطانية في ١٨٠٨، فكان اول تقرير عن تجارة البحر الاحمر، أوصى فيه بأهمية احتلال عدن باعتبارها "جبل طارق الشرق" للمصالح

(١) Rubenson, The Survival, pp.38-40; Marston, op.cit, p. 35.

(٢) حاول الملك جورج الثالث خلال مدة حكمه تعزيز سلطة التاج على الحكومة، عندما قام بتأسيس حزب في البرلمان يدعى اصدقاء الملك، ليفرض من خلاله السيطرة على الوزراء. كما دخل في صراع مع حزب الويك Whig، ولكن تلك المحاولات لم تثمر بنتيجة، فقد اصيب جورج الثالث بسلسلة من الانهيارات العصبية، مما اضعفت دوره السياسي بعد ١٧٨٨، ثم اصيب بالجنون في ١٨١١، وفي المدة الباقية من حكمه، اصبح ولده امير ويلز وصياً على العرش، الذي اصبح ملكاً بعد وفاة والده في ١٨٢٠ وسمي بجورج الرابع. انظر:-

Encyclopaedia Britannica, Vol. 10, p. 209.

(3) Rubenson, The Survival, p. 49.

البريطانية. كما حث فالنتيا حكومته على انشاء وكالة تجارية فيها وتعيين مقيمين بريطانيين دائمين، ليتمكن البريطانيون من احتكار التجارة هناك، وبالذات مع بربره التي كان التجار الهنود حريصون على التعاون معها لشراء مادة المطاط^(١). كذلك اشار فالنتيا في تقريره الى ضرورة سيطرة البريطانيين على جزيرة قمران بهدف السيطرة على تجارة اثيوبيا، والتحالف مع الوهابيين^(٢) من الجانب الشرقي للبحر الاحمر والأثيوبيين من الجانب الغربي للبحر الاحمر. وأكد فالنتيا ايضاً ان اثيوبيا تحقق الكسب السريع والفائدة لبريطانيا بالقدر الذي تحققه عدن للمصالح البريطانية^(٣).

من جهة اخرى، حاول فالنتيا وبشتى الوسائل لفت انتباه شركة الهند الشرقية البريطانية الى تجارة اثيوبيا، باعتبارها المسؤولة عن تجارة المنطقة في ذلك الوقت، عندما اشار الى اهمية اثيوبيا التجارية والاستراتيجية للمصالح البريطانية، خاصة في حالة حصولها على منفذ على الساحل، ليصبح الاتصال مباشراً مع اثيوبيا، ويتخلص التجار البريطانيون من دفع الضرائب على البضائع التي تدخل الى ميناء زيلع^(٤). اصبحت توصيات فالنتيا الواردة في التقرير المذكور عن منطقة البحر الاحمر فيما بعد من اهم ركائز السياسة البريطانية في منطقة البحر الاحمر في القرن التاسع عشر، ومع ذلك، لم تلق وزارة الخارجية البريطانية حينذاك أي اهتمام به، ولم تقم بتنفيذ أي من توصياته، وكان كل ما قامت به هو ردع المحاولات الفرنسية لانشاء قاعدة في جزيرة قمران^(٥).

ولذلك بقيت مقترحات فالنتيا على ما هي عليه حتى ١٨٠٩، عندما تم ارسال هنري سالت الى اثيوبيا، للعمل على اقامة علاقات تجارية بينها وبين بريطانيا والهند^(٦). وكانت مهمة هنري سالت تتلخص في نقطتين الاولى وتتمثل بتسليم

(1) Kour, Z.H, The history of Aden 1839-73, Great Britan, Frank Cass, 1981, p.6.

(٢) لمزيد من المعلومات عن الدعوة الوهابية انظر:-

بشر، عثمان بك، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، الرياض، ١٩٦٥، ص ٦-١٢.

(3) Marston, op.cit, p.35 ; Kour, op.cit, p. 6.

(4) Rubenson, The Survival, p. 42.

(5) Marston, op.cit, p.35 . ; Kour, op.cit, p. 6.

(6) Marston, op.cit, p.35.

رسالة الملك جورج الثالث، الذي اجاب على رسالة ولد سيلاسي، والهدايا الى حاكم غوندار شخصياً ، والثانية الاطلاع على وضع تجارة اثيوبيا العامة من حيث نوعية وكمية البضائع الاثيوبية لفتح ابواب اثيوبيا امام تجارة بريطانيا في الهند أو اوربا^(١).

وفي ١٥ آذار ١٨١٠، وصل هنري سالت الى قصر ولد سيلاسي، وعلم انه لا يستطيع الوصول الى غوندار، بسبب اوضاع الحرب فيها، فوضع هنري سالت الهدايا عند ولد سيلاسي^(٢). وبذلك فشلت زيارة هنري سالت الثانية في تحقيق هدفها، بسبب الفوضى السياسية في اثيوبيا، فاصبحت مقترحات فالنتيا وزيارتا هنري سالت الاولى والثانية اللتين وضعتا الحجر الاساس للسياسة البريطانية تجاه اثيوبيا، على مدى عشرين عاماً (١٨١٠-١٨٣٠) لا تثير اهتمام الدوائر السياسية البريطانية بالنسبة لاثيوبيا، اذ لم تظهر محاولات من تلك المدة لاقامة علاقات تجارية بريطانية-اثيوبية، او تطورات على مستوى تنشيط الاهتمام البريطاني باثيوبيا، كما فعل فالنتيا وسالت، ويعزى ذلك وبشكل رئيس إلى غياب التهديد الفرنسي للمصالح البريطانية في الشرق، اثر سقوط حكم نابليون بونابرت (١٧٩٩-١٨١٤/١٨١٥) في فرنسا^(٣)، الذي عاشت على اثره التجارة والاساطيل البريطانية في الشرق بسلام في تلك المرحلة.

(1) Rubenson, The Survival, p.44 ; Kour, op.cit, p.7.

(2) Rubenson, The Survival, p.45 ; Pankhurst, Richard, Travellers in Ethiopia, London, Oxford university press, 1965, pp. 82-86.

(٣) في معركة لايبزك ١٦-١٩ تشرين الاول ١٨١٣ بدأت نهاية نابليون بونابرت، وادت الى تراجعه الى فرنسا بعد ان سيطر على معظم القارة الاوربية. وفي ٣١ آذار ١٨١٤، تمكنت قوات الحلفاء من السيطرة على باريس، وبعد ١٣ يوم وقع نابليون على تنازله عن العرش، ونفي الى جزيرة البا، وفي ٢٦ شباط ١٨١٥ هرب نابليون من جزيرة البا وعاد الى فرنسا، ولكنه هزم في معركة واترلو في ١٨ حزيران ١٨١٥، ونفي الى جزيرة سانت هيلانة. انظر:-

فيشر، هـ . أ. ل. تاريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٠٥، ترجمة احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط٢، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٢، ص ص ٥٣-٧٠.

ادى ظهور محمد علي باشا الوالي العثماني في مصر (١٨٠٥-١٨٤٩)، الى حدوث العديد من التحولات المهمة في المشرق الغربي، واطاف بعداً جديداً لأهتمام الأوربيين بالمنطقة، بسبب تنفيذ مشاريعه العسكرية في المنطقة على حساب الدولة العثمانية. فقد بدا طموحه بالظهور تجاه منطقة القرن الافريقي، عندما عين محمود الثاني السلطان العثماني (١٨٠٨-١٨٣٩)^(١)، ولده ابراهيم باشا على باشوية جده في تموز ١٨٢٠^(٢)، مكافأة له على خدماته في الحجاز واليمن بعد انتصار قواته على الحركة الوهابية^(٣). ولما كانت باشوية جده تشمل ولاية الحبش، اصبح ابراهيم باشا يلعب بمتصرف جده والحبش، وتبعاً لذلك اصبح لوالي مصر، ومنذ ذلك التاريخ، نوع من السيادة على ولاية الحبش في ظل التبعية العثمانية^(٤).

(١) يمثل عهده مرحلة مهمة من تاريخ الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، الذي شهد اجراءات عديدة لتعزيز السلطة المركزية، وذلك بالقضاء على المماليك في بغداد في ١٨٣١، والاسرة القرمانية في طرابلس في ١٨٣٥، والشهابيين في جبل لبنان في ١٨٤١. كما حصل على تأييد الرأي العام عند قضاءه على الانكشارية انظر:-

فريد بك، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، ١٩٨٢، ص ص ٥٢-٥٤.

(2) Dodwell, Henry, The Founder of Modern Egypt Astudy of Muhammed Ali, London, 1931, p.53 ; Mansfield, Peter, The Middle East, Apolitical and Economic Survey, 4th, London, CambridgeUniversity Press, 1973, p.422.

ويذكر ان ابراهيم باشا سيطر على الحجاز بعد سقوط الدرعية في ٩ آيلول ١٨١٨، ومن ثم توجه الى اليمن في ١٨٢٠، ونتيجة لذلك كافأه السلطان محمود الثاني في تموز ١٨٢٠، وهو عكس ما ذكره كل من روبنسون الذي يحدد العام ١٨١٣ بداية الحكم المصري لمصوع، وترمنغهام العام ١٨١٨ لذلك. انظر:-

Rubenson, The Survival, p. 57 ; Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 114.

(٣) عند قيام الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية، وتعرض حقوق السيادة العثمانية في الحجاز للضياع، كلف الباب العالي الوالي محمد علي باشا لاختداد تلك الحركة، ويعود سبب ذلك التكليف الى المشاكل التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية واختلال النظام الانكشاري، باعتبارها القوة العسكرية الضاربة. لمزيد من المعلومات انظر:-

Bury, op.cit, p. 18.

(٤) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ص ١٨٧-١٨٨.

شهدت ولاية الحبش في ظل ايلة الحكم المصري (١٨٢٠-١٨٤٠) نقطة تحول في طبيعة الادارة، اذ أرسل الى مصوع حاكم جديد، هو عابدين بك، على رأس قوة عسكرية تألفت من (٦٠٠) جندي فتغير الوضع بالنسبة الى النائب، فلم يعد يتقاضى راتباً شهرياً. كما لم يعد مسؤولاً عن الانفاق على الحامية، وبالتالي تقلص نفوذه الفعلي في الولاية، التي كان وضعها اشبه بالحكم الذاتي. وفي ١٨٢٦ حاول محمد علي باشا بسط نفوذه على ساحل البحر الاحمر الافريقي كله، عندما أرسل قواته الى مصوع، بهدف السيطرة على عسير، وتقع بين الحجاز واليمن، والاستيلاء على الساحل اليمني، لاحكام سيطرته على سواحل البحر الاحمر، الا ان الدولة العثمانية لم توافق على هذه العملية، لخوفها من ان يؤدي ذلك الى توطيد النفوذ المصري في البحر الاحمر، فاضطر محمد علي باشا الى سحب قواته من مصوع^(١).

كان انتصار القوات المصرية على الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية، قد حفز محمد علي باشا وقواته على تنفيذ مشاريع جديدة ومهمة، كان من بينها السيطرة على السودان بهدف حماية منابع النيل وضمان تنفيذ مشاريعه الاقتصادية والسياسية. وخلال السنوات ١٨٢٠ و ١٨٢٢ تمكنت قواته من السيطرة على سنار وكردفان ووصلت حدود مصر الى المناطق الشمالية لاثيوبيا، وتاخمت ولايتي تيجري وغوندار^(٢).

ويذكر ان محمد علي باشا قد قال لهنري سالت القنصل البريطاني في القاهرة، الذي تسلم منصبه في ١٨١٥، بأنه ينوي الهجوم على اثيوبيا بعد سنار، فأجابه هنري سالت محذراً: "بان القوى الاوربية لن تسمح بالهجوم على الدولة الافريقية الوحيدة التي حافظت على مسيحيتها"، وان هذا التحذير حمل محمد علي

(١) حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ٣٦؛ العارف، ارتيريا بين احتلالين، ص ٨٩.

(2)Marston, op.cit, p. 38.

(3)Trimingham, Islam in Ethiopia, p.115 ;

حجار، جوزف، اوربا ومصير الشرق العربي حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة بطرس الحلاق، ماجد نعمه، بيروت، ١٩٧٦، ص ٢٢.

باشا على التخلي عن خطته في اثيوبيا لكي لا يتورط مع بريطانيا^(٣). ويمكن القول ان التحذير اعلاه لم يشكل التهديد الصريح الذي على اثره امتنع محمد علي باشا من متابعة خطته ومشاريعه للاستيلاء على اثيوبيا، وللأسباب المبينة في ادناه:-

(١) ان التحذير يعكس وجهة نظر هنري سالت الشخصية اكثر مما هي وجهة نظر الحكومة البريطانية الرسمية، اذ كان هنري سالت مدفوعاً باعتباره الصديق الاول للاثيوبيين، تجشم عناء التعب واقامة العلاقات الودية مع حكامها خلال زيارته في الاعوام ١٨٠٥ و ١٨٠٩-١٨١٠. كما كان هدفه ان تكون اثيوبيا منطقة نفوذ تجارية بريطانية بعيدة عن أي تهديد خارجي، للمصالح البريطانية فيها مستقبلاً.

(٢) لم يطرح محمد علي باشا خلال حملاته في منطقة البحر الاحمر او اثيوبيا اهدافاً دينية، اذ كانت دوافع توسعته اقتصادية وسياسية وسترراتيجية. ولما كانت اثيوبيا لا تمثل منطقة جذب لمشاريعه، وعائقاً جغرافياً معقداً امام تقدم القوات المصرية، فقد توقف عند الحدود الشمالية لاثيوبيا، لحماية امتداد الحدود المصرية في المناطق الاثيوبية، وللضغط على حكام اثيوبيا لتأمين منابع النيل ومجره الطويل في كل من السودان ومصر، وللحيلولة دون قيام اية محاولة اثيوبية لتغيير مجرى نهر النيل عن السودان ومصر كورقة سياسية اثيوبية ضاغطة على تلك الدولتين^(١).

(١) ومن الروايات التاريخية حول هذا الموضوع، رسالة الفونس الخامس ملك ارغون الى ملك اثيوبيا في اواخر العام ١٤٥٠، وفيها يؤكد رغبته للعمل على تحويل مجرى النيل ومهاجمة مصر من الجنوب. انظر:-

عاشور، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٣) انشغال قوات محمد علي باشا بمشاكل الدولة العثمانية، فقد شارك الاسطول المصري مع الاسطول العثماني في محاولة اخماد الثورة اليونانية^(١).

(٤) كان هدف تدخل القوات المصرية في المناطق الشمالية من اثيوبيا، هو الحد من الهجمات الاثيوبية على الحاميات المصرية في السودان الشرقي، وتصفية جيوب التمرد على السلطة المصرية في السودان، التي اتخذت من تلك المناطق ملجأ لها وقاعدة للهجوم على القوات المصرية، لا سيما بعد مقتل اسماعيل بن محمد علي باشا قائد الحملة المصرية على يد نمر شيخ قبيلة الجعليين في السودان في ١٨٢٢^(٢).

شكلت السيطرة المصرية على السودان، تهديداً مباشراً لاستقلال اثيوبيا الذي بات، ومنذ القرنين السابع عشر والثامن عشر، بمأمن من التهديد العثماني لها، لا سيما بعد انسحاب العثمانيين من شمالي اثيوبيا. كان موقف الاثيوبيين حرجاً، عندما حاصرت القوات المصرية اثيوبيا من ثلاث جهات، مصوع في الشرق،

(١) استتجد السلطان محمود الثاني بمحمد علي والي مصر لخماد الثورة اليونانية في الفترة ما بين ١٨٢٤-١٨٢٧، وقد تمكنت قوات ابراهيم باشا من تحقيق نصر كبير. لكن كان لتدخل كلا من روسيا وبريطانيا في اليونان، ومنعها للسفن العثمانية والمصرية من قمع الثورة اليونانية الى حدوث معركة نفارينو في العام ١٨٢٧، والتي دمر فيها الاسطول المصري انظر:-

Anderson, op.cit, pp. 53-87 ;

جرائنت، ا. وهارولد تمبرلي ، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة محمد ابو درة ولويس اسكندر، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٥٠، ص ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٢) عندما توقف اسماعيل بن محمد علي باشا في بلدة شندي، جاءت وفود المنطقة مهتئة بسلامة العوده، وكان من بينهم الشيخ نمر، احد ابرز شيوخ المنطقة، ولكن ما ان دخل القاعة، حتى طلب منه تسليم الاموال وستة الاف من العبيد خلال (٤٨) ساعة، وعندما رفض الشيخ نمر ذلك بأدب، غضب اسماعيل وقام بضربه على وجهه بغليونه امام الحاضرين من قومه. لم يسكت نمر على هذه الاهانة، فشهدت تلك الليلة هجوماً من نمر وجماعته على مقر اسماعيل، على اثرها قتل اسماعيل وغالبية مرافقيه. انظر:-

العارف، الأحباش بين مأرب واكسوم، ص ١٠٣-١٥٥ ؛

Hill, Richard, Egypt in the Sudan 1820-1881, Oxford, Oxford University Press, 1959, pp. 12-15.

وتاكه في الغرب، وكردفان في الشمال، وفي ظل اختلال ميزان القوى في المنطقة ولمصلحة المصريين، أصبحت اثيوبيا امام عدو قوي في الادارة والجيش، ويحمل اهدافاً توسعية، في الوقت الذي كانت فيه اثيوبيا تعاني من الانقسامات السياسية وضعف الامكانيات العسكرية.

وإزاء تطور الاوضاع في منطقة البحر الاحمر، توخى الاثيوبيون القيام بمبادرة تهدف الى معادلة ميزان القوى في المنطقة الشمالية من بلادهم، والحفاظ على أمن واستقرار البلاد، وتعزيز هويتهم الدينية والسياسية المستقلة، اذ قام ديجازماج سيبا جديز Dejjazmach Sebagadis حاكم ولاية تيجري (١٨٢٣ - ١٨٣٢)، وبحكم تماس ولايته مع الحدود المصرية السودانية، وشعوره بأنه ملك الملوك في اثيوبيا، باول مبادرة اثيوبية للاتصال ببريطانيا، عندما بعث وليم كوفن، وكان قد تقرر بقاءه في اثيوبيا، الى جورج الرابع George IV ملك بريطانيا (١٧٦٢ - ١٨٣٠ / ١٨٢٠ - ١٨٣٠)^(١) في ١٨٢٧، لطلب المساعدة والوقوف بوجه القوات المصرية^(٢). كما بعث في الوقت ذاته وفداً الى محمد علي باشا يؤكد على روابط الصداقة بين الطرفين، ويطلب مساعدته في بعض المسائل الدينية، كتعيين اسقف جديد لبطرياركية اثيوبيا ليقود مشروع حملة عسكرية ضد قبائل الغالا الوثنية^(٣).

وصل وليم كوفن الى لندن في حزيران ١٨٢٨، وقدم رسالة سيبا جديز الى وزارة الخارجية البريطانية، والتي تضمنت ثلاثة مطالب: الاول تمثل برغبة سيبا جديز في الحصول على مئة فارس من قوات الخيالة الملكية لمدة سنة اوسنتين، في حين ركز الثاني على ارسال طبيب وحرفي ومواد لبناء الكنائس في

(١) جورج اوغسطس فريدريك George Augustas Frederick الملقب بجورج الرابع، ملك بريطانيا وايرلندا، شهد عهده تركه لمقاليد الحكومة بايدي وزراءه، وضعف مكانة الملكية. قادت بريطانيا في عهده دوراً رئيساً في السياسة الاوربية نتيجة لسياسة جورج كاننك George Canning الذي كان وزيراً للخارجية ثم رئيساً للوزراء. لمزيد من التفاصيل انظر :-

Encyclopaedia Britannica, vol.10, pp. 212-213.

(2) Rubenson, The Survival, p. 58.

(3) Abir, Ethiopia: The Era Of The Princes, p.98 ; Keller, op.cit, p.20.

اثيوبيا، اما **الثالث** فيطالب بتدخل بريطانيا لاحتلال ميناء مصوع من الدولة العثمانية والاحتفاظ به او منحه للأثيوبيين، لان بلاده تفتقر لذلك^(١). ويتبن لنا مما سبق ان رسالة سيبايديز الى الملك جورج الرابع قد أكدت على الاستعانة بالخبرة والمهارة الفنية البريطانية لتحديث بلاده، وتعزيز موقف اثيوبيا العسكري امام تفوق القوات المصرية المجاورة لهم، من خلال تعزيز العلاقات بين الطرفين، بحكم رابطة الدين المشتركة، وصداقة والده ولد سيلاسي للملك جورج الثالث.

تأخر الرد على رسالة سيبايديز مدة خمسة اعوام (١٨٢٨-١٨٣٢)، وعلى الرغم من دعم فالنتيا الذي اصبح اللورد مونتوريس Mountoris، فقد واجه كوفن صعوبات عديدة من اجل الحصول على جواب رسمي من الحكومة البريطانية الى حاكم تيجري^(٢). وكان من الطبيعي ان تهمل هذه الرسالة مدة خمسة اعوام من التاجي البريطاني، لاسيما باعتباره طلباً من حاكم اثيوبي محلي غير متحضر كغيره من الطلبات التي تصل الى العرش البريطاني، اما اهمال الجهات البريطانية الرسمية لشؤون اثيوبيا، فقد كان يعزى لكونها بعيدة عن تهديد مشاريع محمد علي باشا العسكرية، الذي كانت توجهاته نحو المشرق العربي. فضلاً عن ان اثيوبيا لم تكن بمستعمرة بريطانية تقع ضمن مسؤولية وزارة المستعمرات او ضمن اهتمامات شؤون وزارة الخارجية، فيكون من واجبها الاجابة على تلك الرسالة.

قام اللورد مونتوريس بحكم صداقته للأثيوبيين وتصميمه على اقامة علاقات تجارية مع اثيوبيا، باقناع الحكومة البريطانية للموافقة على تكليف شركة الهند الشرقية بتجهيز اثيوبيا بالذخيرة اللازمة. وفي آيار ١٨٣٢ وافقت الحكومة البريطانية على شحن (١٨٥٠) بندقية من ذخائر الهند وتخصيص مبلغ قدره (٢٥٠) جنيه هدايا ومواد اخرى الى كنائس اثيوبيا^(٣)، وتكليف كوفن بأرسال

(1) Rubenson, The Survival, p.57.

(2) Marston, op.cit, p. 112.

(3) Rubenson, The Survival, pp. 64-65 ; Abir, Ethiopia: The Era Of The Princes..., p.98.

الهدايا والذخيرة من بومباي الى ميناء مخا^(١)، وعند وصول كوفن الى ميناء مصوع في نهاية ١٨٣٢، علم ان سييا جديز قد توفي وان الاسقف الجديد لم يصل الى اثيوبيا^(٢). وعلى الرغم من فشل بعثة كوفن في تحقيق اهدافها الثلاثة، الا انها كانت في الواقع انعكاساً لزيارة هنري سالت الاولى في ١٨٠٥، فقد حاول سييا جديز كسر حاجز العزلة من حوله والاتصال ببريطانيا، ووضع أسس التحالف البريطاني-الاثيوبي ضد القوى الاسلامية التي تحيط بها. كما اشارت البعثة بمجمل اهدافها الى ظهور بعض ملامح الروح القومية الاثيوبية في القرن التاسع عشر، التي كان التهديد المصري لها احد اسباب انبعاثها.

استمر توتر العلاقات المصرية-الاثيوبية في عهد الوالي محمد علي باشا، وتساعد الى مرحلة الاضطرابات والفتن على الحدود السودانية-الاثيوبية، التي سببتها القبائل النازلة في مناطق الحدود الشمالية الغربية لاثيوبيا، فمنذ بداية ١٨٣٠ وحتى ١٨٣٤، كان ضغط القوات المصرية على المنطقة الواقعة بين نهر عطبرة ورحات Rahat مستمراً الى جانب منطقة متمه وولكايت Wolkait^(٣)، وهي تمثل ملجأً لنمر بن نمر وجماعته، ومنطقة القلابات، المركز التجاري المهم وطريق القوافل التجارية بين غوندار وسنار. وفي بداية ١٨٣٧ أرسلت وحدة مصرية صغيرة لجمع الضرائب من القلابات، وعلمت ان قوة اثيوبية تتقدم باتجاه القلابات للغرض نفسه، فدخلت قوة مصرية كبيرة الى منطقة متمه الاثيوبية وبدأت تتقدم باتجاه غوندار، حتى شاعت الاخبار ان قوات محمد علي تتوي الهجوم على اثيوبيا^(٤). وان اتفاقاً قد تم التوصل اليه ما بينه وبين قبائل الغالا المسلمة، لتمهيد

(1) Marston, op.cit, p. 15.

لمزيد من المعلومات عن دور النشاط التجاري لشركة الهند الشرقية البريطانية في ميناء مخا انظر:-
Baldry, John, The English East India Company's Settlement Of Al-Mukha 1719-1739.

مجلة الخليج العربي، المجلد ٣، العدد ٢، البصرة، ١٩٨٠.

(2) Rubenson, The Survival, p. 65 ; Abir, Ethiopia: The Era Of The Princes..., p.98.

(3) Hill, op.cit, pp. 35-36 ;

شقيير، نعم، جغرافية وتاريخ السودان، بيروت، ١٩٧٢، ص ص ٥١٦-٥٢٠.

(4) Abir, Ethiopia: The Era Of The Princes..., pp. 100-101.

الطريق للهجوم على اثيوبيا، فقام الرأس اوبي Ras Oubie حاكم تجري (١٨٣٢- ١٨٥٥) بتقديم الشكوى الى الحكومتين البريطانية والفرنسية احتجاجاً على الاعتداء المصري على حدودها الشمالية^(١).

وفي ضوء دبلوماسية التدخل البريطانية، قام باتريك كامبل Patrick Campbell القنصل البريطاني في مصر بمفاتيحة محمد علي باشا لتوضيح سياسته تجاه اثيوبيا. فأشار محمد علي بـ "عدم رغبته بالانتقام، وانه سيقنع بقدر قليل من التعويضات والاعتذار من جانبهم"^(٢). ويبدو ان هدف محمد علي كان تجارياً، وهو حماية طريق القوافل التجارية بين السودان واثيوبيا في منطقة القلابات.

اما بالنسبة لبداية المصالح التجارية البريطانية في الساحل الصومالي المقابل لعدن فتعود الى العام ١٨٢٧، عندما أرسلت بريطانيا مبعوثاً الى قبيلة حبراول Habar Awal الصومالية للتفاهم على دفع التعويض اللازم لضحايا السفينة ماري ان Mary Anne، بعد ان قام افراد من هذه القبيلة بنهب السفينة في ميناء بربره^(٣) في نيسان ١٨٢٥. وقد دخل شيوخ القبيلة في اتفاقية سلام وتجارة مع المبعوث البريطاني في ٦ شباط ١٨٢٧، تضمنت موافقة شيوخ القبيلة على دفع التعويض لبريطانيا وعدم التعرض للسفن التي تحمل العلم البريطاني، في مقابل معاملة سفن قبيلة حبر بالمعاملة نفسها في الموانئ البريطانية^(٤)، مما يوضح ان الاتفاقية البريطانية مع شيوخ بربره، قد مثلت بالنسبة للبريطانيين الحجر الاساس في

(1) Rubenson, op.cit, p. 69 ; Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 116.

(2) Rubenson, op.cit, p. 69 ; Hamilton, David, Imperialism Ancient and Modern: a study of British attitudes to the claims to sovereignty to the Northern Somali Coast Line, Journal Ethiopian Studies, vol.v, no.2, Addis Ababa, Ethiopia, July 1967, p.15.

(٣) يسكن بربره الواقعة على خليج عدن شرقي تاجوره بحوالي (١٣٠) ميلاً قبيلة حبراول الصومالية. وتشتهر بربره منذ اقدم العصور بسوقها الذي ينعقد حوالي ستة اشهر (من تشرين الاول الى اذار) من السنة وفي هذا السوق يتم تبادل المنتجات الاسيوية والافريقية بين التجار. انظر:-

Touval, op.cit, p. 22.

(4) P.R.O.F.O. 195/ 1052, North brook and Others to Marquis of Salisbury, Memorandum on the Subject of the Relation between the British Government and the Tribes on the African Coast of the Red Sea and the Straits of Babe-el-Mandeb and the Preceedings of the Egyption Government to Wards The Somalee Tribes, Fort William, The 5 th Match 1875, p.1.

علاقاتهم مع الصوماليين في مطلع القرن التاسع عشر، وبداية لسلسلة من الاتفاقيات البريطانية مع شيوخ المنطقة، بدون مراعاة لحقوق السيادة العثمانية عليها.

كان امتداد النفوذ المصري في الجزيرة العربية الى أقصى مداه في عهد محمد علي باشا وتهديده للمصالح البريطانية في البحر الاحمر والخليج العربي، وما رافقه من محاولات معادية قامت بها كل من فرنسا^(١) وروسيا لمنافسة بريطانيا، قد دفع بريطانيا الى بذل قصارى جهدها لتصفية هذا النفوذ حفاظاً على اهم طريقين لمواصلاتها الى الهند. فقررت بريطانيا احتلال عدن لكونها افضل موقع ستراتيحي عند المدخل الجنوبي للبحر الاحمر للدفاع عن مصالحها ولبسط نفوذها الاستعماري في منطقة البحر الاحمر. وفي ١٩ كانون الثاني ١٨٣٩ بدأت القوات البريطانية بقصف الميناء لمدة ساعتين، اسفر عن سقوط عدن بأيدي القوات البريطانية^(٢).

-

(1) عادت فرنسا الى ميدان المنافسة بعد احتلالها الجزائر في ١٨٣٠، وكانت تفكر في ذلك الوقت تسخير صديقها محمد علي باشا لمطامعها الخاصة في مصر.

Coupland, op.cit, pp. 362-365.

(2) PlayFair, op.cit, p. 163 ;

ناجي، سلطان، الخلفية التاريخية للاحتلال البريطاني لعدن، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد الثاني، السنة الاولى، الكويت، ابريل/ نيسان، ١٩٧٥، ص ص ٤٠-٤١ ؛ الحلي، محمد عبد الحسين، عدن والصراعات الدولية في البحر الاحمر ١٧٩٨-١٨٣٩، رسالة ماجستير غير منشوره قدمت الى معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص ص ٤٣-٤٧ .

موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الصومال ١٨٣٩-١٨٦٩

تمكن البريطانيون بعد احتلالهم عدن في العام ١٨٣٩، ان يفرضوا مسارات سياستهم الجديدة في منطقتي البحر الاحمر والقرن الأفريقي، التي تمثلت في حماية المصالح التجارية البريطانية من التوسع المصري، وتوطيد دعائم نفوذهم في منطقة خليج عدن باتباعهم سياسة مرنة، للشروع بتنفيذ سياسة توسعية للهيمنة على المواقع والجزر الحيوية عند ساحل الصومال المقابل لعدن، وللحد من السيادة العثمانية عليه، والدفاع عن الطريق الملاحي الذي يربط ما بين الهند والسويس ضد أي تهديد اجنبي قد تتعرض له.

ولا ننسى ان الاستراتيجية البريطانية هذه التي ظهرت في اواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر، قد جاءت نتيجة ظهور النشاط الفرنسي في منطقة البحر الاحمر، الذي كان يمثل جزءاً من التنافس البريطاني -الفرنسي في المحيط الهندي، والذي كان على حد تعبير مارستون

"مباراة كبرى اشبه بمباراة للشطرنج، لعبها الساسة البريطانيون والفرنسيون في وزارتي الخارجية بلندن وباريس على خريطة العالم، وكان القصد منها هو التحكم في المياه الجنوبية من رأس الرجاء الصالح الى جنوبي المحيط الهندي"^(١).

وكان من مظاهر الاستعمارين البريطاني والفرنسي في المحيط الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، "ظهور اية سفينة صغيرة وعلى ظهرها احد الموظفين الرسميين يعني انها تتجه للسيطرة على جزيرة من الجزر أو على منطقة من المناطق المحيطة بها"^(٢).

تعود بداية النشاط الفرنسي في الساحل الصومالي المقابل لعدن الى اواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر، عندما توجهت عدة بعثات استكشافية اتخذت مظهرياً الصفة العلمية للتعرف على ساحل المنطقة، ومراقبة النشاط البريطاني في البحر الاحمر. وكان من بين هذه الرحلات الاستكشافية الفرنسية، بعثة كومب

(1) Marston, op.cit, p. 134.

(2) Ibid.

Combes وتاميزيه Tamisier بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٣٧، التي كان من نتائجها المهمة انها مهدت الطريق امام بعثات فرنسية اخرى، منها بعثة فيريه Ferret وجالينييه Gallinier في المدة بين عامي ١٨٣٩ و ١٨٤١، وأشارت تقارير هذه البعثات الى ضرورة عدم ترك الدول الاخرى تسبق فرنسا في احتلال تلك المناطق. الا ان هذه البعثات الفرنسية فشلت في تحقيق اهدافها، كما اوضح الملازم فيريه الذي التحق برحلة كومب وكتب عنها قائلاً:-

"لقد فشل في زيلع، واستحال عليه كذلك اقامة وكالة فرنسية في مصوع، نظراً لان ادارة ذلك الميناء، عارضت محاولته بشدة، لانها لم تكن قد استلمت اية تعليمات من والي مصر حينذاك"^(١).

وأصر فيريه في تقريره الذي رفعه الى حكومته وبخاصة على ابراز اهمية النشاط البريطاني في تلك المناطق، ذلك النشاط الذي بدأ واضحاً بعد احتلالهم عدن في ١٨٣٩، عندما اشار فيريه الى ان البريطانيين "لن يتراجعوا امام اية تضحيات، ولن يهملوا أي شئ في سبيل دعم نفوذهم على جانبي البحر الاحمر"^(٢).

قرر المسؤولون الفرنسيون بعد ان دفعت البعثات الفرنسية بعجلة النشاط الفرنسي في ساحل الصومال الشمالي نحو الامام، الذي كان نتيجة طبيعية لسيطرة البريطانيين على عدن، تغيير سياستهم اتجاه منطقة البحر الاحمر، والانتقال من النشاط ذي الطابع الفردي الى نشاط بدأ كأنه عمل من اعمال المخابرات الفرنسية^(٣). اذ كلفت الحكومة الفرنسية قيادة الاسطول الفرنسي في جزيرة بوربون Bourbon^(٤) الواقعة في المحيط الهندي، ان ترسل سفناً حربية الى

(١) نقلاً عن يحيى، جلال، التنافس الدولي في بلاد الصومال، القاهرة دار المعرفة، ١٩٥٩، ص ١٢؛

اباضه، فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٨٣٩-١٩١٨، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ١٢.

(3) Marston, op.cit, p. 134.

(٤) وهي الجزيرة التي اعادتها بريطانيا الى فرنسا بعد الحروب النابليونية، بعد ان فقدتها فرنسا في

العام ١٨١٠، وقد اطلق الفرنسيون عليها اسم جزيرة ريونيون Reunion في العام ١٨٤٨ انظر:-

Coupland, op.cit, p. 434.

البحر الاحمر، للحصول على المعلومات اللازمة عن النشاط البريطاني في عدن والبحر الاحمر، والعثور على مكان ملائم لاقامة محطة للفحم في البحر الاحمر^(١). مما دفع وزير البحرية الفرنسي ارسال بعثة رسمية برئاسة شارلمان توفيل لوفيفر Charlemagne Theophile Lofebvre، لاستكشاف ساحل البحر الاحمر الغربي، استمرت البعثة من سنة ١٨٣٩ الى ١٨٤٣، وكانت التعليمات الصادرة لها، تقضي بالابلاغ عما اذا كان هناك امكانية لتغلغل استعماري فرنسي في المنطقة^(٢).

استهلت الحكومة البريطانية اجراءتها للحد من النشاط الفرنسي في الصومال، بطلب من اللورد هنري جون بالمرستون Henry John Palmerston وزير الخارجية البريطانية (١٨٣٥-١٨٤١)^(٣) من اللجنة السرية The Secret Committee لشركة الهند الشرقية في لندن، أن تضع التدابير اللازمة للحد من النشاط الفرنسي في الميدان نفسه. وفي ٢ تموز ١٨٤٠ طلبت اللجنة السرية من ستافورد هاينز Stafford Haines المقيم السياسي في عدن (١٨٣٩-١٨٥٤)، أن يرسل ضابطاً بريطانياً الى تاجورة وزيلع لمفاوضة شيوخها المحليين والحصول على موطئ قدم في هذين المينائين^(٤)، لاحباط اية محاولة فرنسية لبسط نفوذها هناك، على ان يمنح كافة الصلاحيات التي تخوله حق الانفاق والتصرف بما يراه مناسباً لشراء اية محطة تتحكم بميناء تاجورة. وكما جاء في تعليمات اللجنة السرية الى هاينز:-

(1)Water field, Gordon, Saltans of Aden, London, John Murray, 1968, p.138.

(2)P.R.O.F.O.195/1052, Bombay Gov. To C.U. Aitchison, Memorandum on The Authority of The Turkish Government over Zaila and Tajoura, No.211, dated Bombay Castle, 13th January 1875. P.1.

(٣) عين بالمرستون وزيراً للخارجية في حكومة حزب الويك برئاسة لورد جارس كاري (١٨٣٠-١٨٣٤) و(١٨٣٥-١٨٤١)، وكان لسياسته اثراً في استقلال بلجيكا ١٨٣٠، والتدخل مع روسيا والنمسا وبروسيا الى جانب الدولة العثمانية ضد محمد علي باشا (١٨٣٩-١٨٤١). وخلال حكومة روبرت بيل (١٨٤١-١٨٤٦) اصبح بالمرستون في صفوف المعارضة، ثم عاد الى وزارة الخارجية (١٨٤٦-١٨٥١) في حكومة لورد رسل، وبعد ذلك اصبح رئيساً للوزراء (١٨٥٥-١٨٥٨) و(١٨٥٩-١٨٦٥) انظر:-

The New Encyclopaedia Britannica, Vol.9, pp.94-95.

(4)F.O..195/1052,Bombay Gov.to C.U.Aitchison, 13th January 1875, p.1.

"...اننا نرغب في عدم استخدام اية وسائل قسرية او أية محاولة للحصول على موطن قدم في المناطق مدار البحث من خلال التهديد بالقوات المسلحة او من خلال وسائل الترهيب الاخرى... واننا نؤكد انه اذا ما تعرض هذا الساحل لاي احتلال من قبل اية قوة اوربية فان ذلك من شأنه ان يشكل تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية في منطقة البحر الاحمر"^(١).

توضح تعليمات اللجنة السرية لهانز بداية تبلور السياسة البريطانية نحو التوسع والهيمنة في منطقة القرن الأفريقي، واهمية الحصول على مواقع متحكممة في مينائي تاجورة زيلع، لتدعيم ركائز النفوذ البريطاني في منطقة البحر الاحمر، وتعزيز الوجود البريطاني على الساحل الأفريقي المقابل لعدن، وتوفير مستلزمات الحماية له، من خلال توثيق الروابط البريطانية بين ساحلي خليج عدن، بشكل لا يسمح بوجود اية قوة اجنبية فيه، لتحقيق المصالح التجارية البريطانية في الصومال واثيوبيا من خلال زيلع وتاجورة اللتين تعدان من اهم المنافذ التجارية الرئيسية في المنطقة.

توجه هانز الى تنفيذ تلك التعليمات بدقة عالية وساعده في ذلك، الاوضاع العامة في عدن وساحل الصومال، اذ كانت عدن تعيش في ظل سلام مؤقت بعد فشل هجوم القبائل العربية على البريطانيين في عدن في ٧ تموز ١٨٤٠، فيما يتعلق بالوضع العام في ساحل الصومال المقابل لعدن، فمن وجهة النظر البريطانية، كان في موقف ملائم لامتداد النفوذ البريطاني اليه، لا سيما بعد الفوضى التي عمت المنطقة اثر انسحاب القوات المصرية من اليمن في ١٣ آذار ١٨٤٠^(٢)، وتسليمها للشريف حسين بن علي بن حيدر شريف

(1) Marston, op.cit, p.121 ; Waterfield, op.cit, p.138.

(٢) على أثر انتصار جيش محمد علي على القوات العثمانية في موقعة نصيبين في ٢٤ حزيران ١٨٣٩، واقترب القوات المصرية من اسطنبول، تحالفت الدول الاوربية الكبرى الخمس وهي: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، والنمسا، وبروسيا ضد محمد علي، واصدرت مذكرة مشتركة الى الباب العالي، تنص فيها على ألا يبرم امر بشأن محمد علي الا بعد اطلاعهم عليه. فادرك محمد علي انه مقبل على حرب ضد الحلفاء، وشعر بأنه في أشد الحاجة الى قواته في الجزيرة العربية واليمن، وتحت ضغط الحكومة البريطانية على جلاء قواته

مخا (١٨٤٠-١٨٤٩) الذي لم يتمكن من بسط نفوذه الفعلي على الساحل الأفريقي المواجه لليمن^(١). وقد ترتب على ذلك، خضوع زيلع وتاجوره تدريجياً لشيوخهما المحليين، الذين لم يخضعوا لاية قوة خارجية لها حق السيادة عليهم، مما جعل في مقدورهم التنازل عن اية قطعة من اراضيهم^(٢).

ارسل النقيب روبرت مورسبي Robert Moresby ممثلاً عن شركة الهند الشرقية الى تاجورة^(٣)، برفقة كل من الملازم باركر Barker والملازم كروتدين Grutteden، والحاج عبدالله رسول وكيل شركة الهند الشرقية في مخا، والحاج علي شيرماركي Ali Shirmarke الذي عمل مترجماً لمورسبي^(٤). وفي الوقت نفسه قام هاينز في ٢٢ تموز ١٨٤٠ بابلاغ هودجس Hodges، قنصل بريطانيا في الاسكندرية، عن نشاط الفرنسيين في خليج عدن وسواحل البحر الاحمر، موضحاً له ان ظهور السفن الفرنسية في البحر الاحمر يعكس رغبتهم في وضع اقدامهم في الصومال واثيوبيا^(٥)، غير ان السفن الفرنسية واصلت نشاطها في البحر الاحمر، حتى ان هاينز تلقى رسالة من حاكم ميناء عيد، الواقع جنوبي حنفيلة على الساحل الارتيري، اخبره فيها بان الفرنسيين ارادوا شراء هذا الميناء، وانهم قاموا

من المنطقة، اصدر امره بالانسحاب من اليمن والجزيرة العربية. انظر:-
الرافعي، عبد الرحمن، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٤٧، ط٢، ص ٢٥٧.

(١) عند انسحاب العثمانيين من اليمن بعد الحكم العثماني الاول (١٥٣٨-١٦٣٥)، وقعت زيلع وتاجورة تحت سلطة امام صنعاء، ولكن ظلت الدولة العثمانية تؤكد انها صاحبة الحق في تلك المناطق. وفي العام ١٨٣٥ احتل الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا مخا واغلب المدن الساحلية، فاصبحت تاجوره وزيلع ضمناً تحت الحكم المصري، وبذلك جرد امام صنعاء من ممتلكاته في تلك المناطق. انظر:-

F.O. 195/ 1052, Memorandum Northbrook and others to Marquis of Salisbury, 5th March 1875, p. 1.

(2) Ibid, p. 2; PlayFair, op.cit, p.165.

(٣) كانت تاجورة تتكون من حوالي ١٠٠-١٢٠ بيتاً ومن ٤٠٠ نسمة، وهي سوق تتجمع فيه القبائل الصومالية والدنقلية في تشرين الاول من كل سنة، لبيع العبيد والاصماغ والجلود والعاج واعداد كبيرة من الماشية. انظر:-
Water Field, op.cit, p,140.

(4) Hamilton, op.cit, p. 15.

(5) Marston, op.cit, p. 123.

بعد ذلك بالتفاوض لشراء حنفيلة نفسها، الواقعة جنوبي مصوع، من حاكمها مقابل (٢٠٠٠) كرون^(١).

وصل مورسبي الى تاجوره في ١٧ آب ١٨٤٠، وتمكن بعد ثمانى واربعين ساعة من عقد معاهدة صداقة وتجارة مع الشيخ محمد بن محمد شيخ تاجوره على ظهر السفينة سوسوستريس Sosostris^(٢). تالفت المعاهدة من ثمان فقرات تعهد الشيخ بموجبها ان يبذل قصارى جهده لنقل البضائع من المناطق الداخلية في اوفات وشوا وبقية اجزاء اثيوبيا الى الساحل^(٣)، وتحديد نسبة الضرائب الجمركية بـ ٥% فقط من قيمة البضائع على التجارة البريطانية^(٤)، مقابل تعهد السلطات البريطانية في عدن بتشجيع التجارة الداخلية في تاجورة. والى هنا فان بنود المعاهدة تشير الى التبادل التجاري بين الطرفين، الا ان المادتين الثانية والرابعة من المعاهدة حددتا حاكم تاجورة بعدم الدخول في اية علاقات سياسية او تجارية مع اية دولة اوربية اخرى، في حالة ما اذا كانت هذه العلاقات تضر بالمصالح البريطانية، دون الرجوع في ذلك الى السلطات البريطانية في عدن. وفي مقابل ذلك تعهدت شركة الهند الشرقية بعدم القيام بأي عمل عدائي ضد تاجورة وبمراعاتها واخذ مصالحها بنظر الحسبان^(٥). وقد تزامن عقد هذه المعاهدة مع قيام

(١) اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٣٢٦.

الكرون Kron قطعة ذهبية المانية قيمتها عشرة ماركات، الغيت عام ١٩٢٤، وهي وحدة النقد السابقة في النمسا والمجر، وبذلك يكون مبلغ التفاوض الفرنسي لشراء حنفيلة (٢٠) ألف مارك الماني تقريباً. انظر:- قاموس المورد، بيروت، دار العلم، ٢٠٠١، ص ٤٣١.

(2)P.R.O.F.O.881/2432 Confidential, Memorandum on the Turkish claim to Sovereignty over the Eastern shores of the Red sea and the whole of Arabia, and the Egyptian claim to the whole of the western shores of the same sea, including the African Coast from Suez to Cape Cuadafui printed for the use of the foreign office, E-Hertslet, 5th March 1974, pp.9-10.

(3)Ibid, p.10.

(4) Coupland, op.cit, p.468.

(5)F.O.195/1052 Memorandum North brook and others to Marqu is of Salisbury, 5th March, 1875,p.2.

الشيخ محمد بن محمد بتوقيع عقد سري لبيع جزر موسى^(١) للحكومة البريطانية لقاء (١١٠٠) كرون و (٣٢) كيساً من الرز، ولم يشر في المعاهدة الى عقد البيع ولا قيمته، لان حاكم تاجورة حرص، مبدئياً رغبته تلك للبريطانيين، على اخفاء ذلك عن افراد قبيلته، لتحاشي ما يترتب على ذلك من ملابسات ومخاطر، فاعد نص عقد البيع بصورة منفصلة عن المعاهدة^(٢).

كان هدف بريطانيا من شراء جزر موسى، ذات الموقع الاستراتيجي المهم، هو التحكم بالمدخل الرئيس لطريق القوافل الذي يسير مع وادي الحواش من الساحل الى داخل اثيوبيا عبر بلاد الدناكل، لتحقيق المحاولات البريطانية الرامية الى فتح الاتصالات التجارية مع اثيوبيا، الا ان الحكومة البريطانية لم ترسل الى هذه الجزر حامية عسكرية، بل تركتها خالية، واقتصرت على الاحتفاظ بسندات بيعها^(٣)، لان هذه الجزر كانت مرسى ملائماً للسفن المحلية الصغيرة، وموقعاً لسوق يستمر ثلاثة اشهر من السنة^(٤). وانها تفتقر الى المياه الصالحة للشرب^(٥). ويبدو ان هدف بريطانيا الحقيقي من المعاهدة كان عرقلة الجهود الفرنسية في حالة السيطرة عليها مستقبلاً.

توجه مورسبي بعد ذلك الى زيلع لمفاوضة الشيخ محمد البار حاكم زيلع وقائد حامية الشريف في مخا، من اجل عقد معاهدة تجارية عدّها هاينز على جانب كبير من الاهمية، وذلك لوجود اشارات عن توجه بعثة استكشافية فرنسية الى المنطقة^(٦)، ولكن مورسبي واجه بعض الصعوبات في عقد المعاهدة، فقد كانت زيلع تابعة للشريف حسين بن علي بن حيدر، الذي استلم ادارة مخا التي كانت زيلع احدى توابعها من محمد علي باشا، بعد انسحاب القوات المصرية من اليمن

(١) تتكون جزر موسى من ثلاث جزر كبيرة بعض الشئ وخمس جزر صغيرة، وتقع داخل خليج تاجورة . انظر:-
Plai Fair, op.cit, p. 165.

(2) F.O.881/2432 Memorandum on Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874, p.11.

(٣) طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٢١؛ المنشدي، خلف، ارتيريا من الاحتلال الى الثورة، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٧٣، ص ٢٧.

(4) Hamilton, op.cit, p. 16.

(5) Water Field, op.cit, p. 140.

(6) Marston, op.cit, pp. 119-121.

في ١٨٤٠، وبموجب هذا التنازل كان على الشريف حسين ان يدفع (٩٠) ألف ريال سنوياً الى محمد علي باشا^(١). ولذلك وكما يذكر باركر "لم يكن في زيلع وما حولها شيوخ مستقلين"، ولم يكن في مقدور مورشبي فعل شئ للحصول على موطئ قدم في زيلع من دون العودة الى الشريف حسين، والذي كما سجل باركر "ان اية محاولة لعقد معاهدة مع زيلع لن تكون لها اية قيمة طالما ظل الشريف حسين ممسكاً بزمام الامور في مخا"^(٢). وكانت ملاحظات باركر عن الشريف حسين تنطلق من المواقف العدائية التي اتخذها الشريف حسين ضد البريطانيين في عدن، الذي كان متأثراً من موقف السياسة البريطانية في التامر على محمد علي باشا، فسلك سلوكاً سلبياً ضد بريطانيا في ميناء مخا، عندما رفع الضرائب فيها بنسبة ٧% عما كانت عليه، ورفض ارسال المؤن الى عدن، وانزل علم القنصلية البريطانية^(٣).

وعندما علمت شركة الهند الشرقية بالتصرفات العدائية التي قام بها الشريف حسين ضد البريطانيين في مخا وعدن، ازداد اهتمامها بزيلع، لما تحمل من عوامل تهديد للمصالح البريطانية في المنطقة، لا سيما ان البريطانيين كانوا يخشون من تأمر الفرنسيين مع شريف مخا^(٤)، ومن شدة التنافس مع فرنسا في منطقة خليج عدن، الذي قد يتطور تحت تاثير التصورات المبالغ بها عن النشاط الفرنسي في تلك المياه، الى نزاع فعلي على المواقع البحرية الرئيسة في الساحل الصومالي المقابل لعدن. ولذلك توجه مورشبي، وحسب الاوامر الصادرة اليه من شركة الهند الشرقية، الى مخا لاسترضاء الشريف حسين وعقد معاهدة مع زيلع، ونجح في عقد معاهدة تجارية مع الشريف حسين في ١٨٤٠^(٥)، ولكن هذه المعاهدة لم تقرها الحكومة البريطانية، ونصوص اخرى لم ينفذها الشريف. وهكذا

(1) F.O.881/2432Memorandum on Sovereignty byHertslet,5thMarch 1874,p.14.

(2)Ibid, p. 15 ; Hamilton, op.cit, p. 16.

(3)F.O.881/2432Memorandum on Sovereignty byHertslet,5thMarch 1874, pp.12-14 ;

طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، ص ص ٢٢١-٢٢٢.

(4)F.O.881/2432Memorandum on Sovereignty byHertslet,5thMarch 1874,p.14.

(5)Ibid, p. 15 ; Water Field, op.cit, pp. 141-142.

فان المعاهدة لم تبرم ولم يصادق عليها ابداً^(١)، ثم توجه مورسبي الى زيلع في ايلول ١٨٤٠ للتفاوض مع محمد البار وتمكن من عقد معاهدة مشابهة لمعاهدة تاجورة من الناحيتين التجارية والسياسية في ٣ ايلول ١٨٤٠، ولاسيما فيما يتعلق بعدم اقامة علاقات مع اية جهة كانت من دون العودة الى حاكم عدن، في مقابل تعهد بريطانيا بتقديم الدعم لزيلع من اجل تحسين مواردها التجارية. وتم ايضاً بموجب هذه المعاهدة ايضاً تعهد شيخ زيلع بوضع جزيرة باب، التي تتحكم في مدخل ميناء زيلع، تحت تصرف الحكومة البريطانية من دون اية تحفظات، كما استولى البريطانيون على جزيرة ايبات Eibat التي تقع قرب قبة الخراب^(٢).

كانت السياسة البريطانية تجاه ساحل الصومال، ومن خلال التنازلات التي قدمها كل من شيخي تاجورة وزيلع، اشبه بسياسة "رجل شرطة" حيث كان على البريطانيين تهيئة حماية مناسبة للتجار الهنود الذين يقومون باعمالهم التجارية، وكان عليهم وضع حد لاية اضطرابات من القبائل المحلية من شأنها أن تمنع وصول الامدادات من المواد الغذائية والماشية وغيرها الى عدن^(٣). اما مهمة ادارة عدن فكانت تتلخص بمتابعة الاشراف على التبادل التجاري ما بين عدن وزيلع وتاجورة^(٤). فضلاً عن والبحث عن الفحم^(٥)، ولم تقم بريطانيا بتأسيس تمثيل سياسي، او تشكيل وكالة تجارية تعني بترسيخ النفوذ البريطاني في المنطقة.

ومن جانب اخر تواصل النشاط الفرنسي الذي لم يكن محدوداً على ساحل الصومال المقابل لعدن، بل شمل ساحل الصومال الجنوبي، بصفته ميداناً من ميادين التنافس البريطاني-الفرنسي في تلك المرحلة. وكان من بين البعثات الفرنسية التي توجهت الى جنوبي الصومال، بعثة النقيب شارل جوليان Charles

(1) Aitchison, C.U, A collection of treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Neigh bouring Countries, Calcutta, 1933, Vol.XI, p.32.

(2) F.O.195/1052, Memorandum Bombay Gov. to C.U. Aitchison, 13th January 1975, p.1.

(3) Marston, op.cit, p.113.

(4) Grahame, Gerald, Great Britain in the Indian ocean, A study of Maritime Enterpris, 1810-1850, Oxford, Oxford University Press, 1967, p. 302 ; Kour, op.cit, p.69.

(5) Marston, op.cit, p.125.

Guillain بين عامي ١٨٤٦ و ١٨٤٨^(١)، التي زارت معظم موانئ شرقي أفريقيا من زيلع الى مومباسا، لدراسة الاوضاع السياسية والاقتصادية، واقامة علاقات مع الشيوخ المحليين، لمنح فرنسا بعض الامتيازات الاقتصادية في اراضيهم، لكن البعثة الفرنسية ابحرت دون ان تحقق شيئاً^(٢). كما وصلت سفن حربية فرنسية الى زنجبار - كان جنوب الصومال تابعاً لها- طلب قادتها اقامة بعض الحصون والمباني في مقديشو وبرواه لخدمة اغراضهم التجارية، لكن سلطان عمان وزنجبار السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦-١٨٥٦) اعتذر عن تلبية طلبهم^(٣). وعليه لم تسفر المحاولات الفرنسية في جنوب الصومال عن اية نتيجة ايجابية تجاه سياسة بريطانيا بسبب توطد علاقات بريطانيا مع السيد سعيد منذ العام ١٨٣٩، لدرجة أن السيد سعيد قام بتقديم وثائق المفاوضات السرية مع جوليان الى حكومة بومباي، حول منح منطقة من اراضي زنجبار للمهاجرين الفرنسيين من بوروبون الذين يرغبون بالاستيطان في السلطنة^(٤).

ولتوثيق العلاقات التجارية البريطانية بين خليج عدن وساحل شرقي أفريقيا، قامت حكومة الهند بتوجيه بعثة استكشافية مؤلفة من اربعة ضباط من عدن الى الساحل الافريقي الممتد ما بين بربرة وزنجبار، للحصول على معلومات جغرافية واقتصادية عن المنطقة، وفتح الطريق امام التجارة البريطانية، وحماية الطريق

(١) يعد شارل جوليان محرك السياسة الفرنسية التوسعية في شرق أفريقيا. اصبح فيما بعد قائداً لمحطة بوروبون البحرية، وهو صاحب مؤلف قيم عن شرق أفريقيا وهو:-

Documents Sur L'Histoire, La géographie et le commerce de L'Afrique Orientale Tmes, I-III, Paris, 1954.

وقد نقله الى العربية يوسف كمال بعنوان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية.

(2)Lewis, M, The Modern history of Somaliland, Great Britain, West view Press, 1965, p.33.

(٣) يحيى، جلال، التنافس الدولي في شرق افريقية، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٥٩، ص ١٥؛

الجمال، شوقي، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٨٠، ص ٥٣٠.

(٤) العقاد، صلاح، وقاسم، جمال زكريا، زنجبار، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٥٩، ص ١١٤؛

محمود، عمر علي، الاطماع الاستعمارية في الصومال في الفترة ١٨٦٢-١٩٠٨، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى معهد البحوث والدراسات العربية/ بغداد، ١٩٨٧، ص ٦٣.

الملاحي بين ساحل شرقي افريقيا والبحر الاحمر. وكان على رأس هذه البعثة ريتشارد بيرتن Richard Burton وبرفقته كل من سترويان Stroyan وجون سبيك John Speke وهرن herne. وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٨٥٤ تقدم بيرتن الى هرر^(١)، فكان اول اوروبي يدخل هرر في ذلك الوقت^(٢). وتوغل سبيك في المنطقة التي تسكنها قبيلة وارسنجلي الصومالية، ومكث هرن وسترويان في بربرة خلال اقامة السوق السنوية، لكي يجمعوا معلومات كافية عن هذا الميناء. وفي بداية نيسان التقى اعضاء البعثة في بربرة لمرافقة القافلة العائدة الى اوغادين، الا انه في ليلة ١٩ نيسان ١٨٥٥، هاجمت جماعة كانت غالبيتهم من قبيلة عيسى موسى، افراد البعثة، وقد نجم عن هذا الهجوم مقتل سترويان وأصابة سبيك وبيرتن^(٣).

جاء الرد البريطاني على هذا الهجوم بقيام الاسطول البريطاني بمحاصرة بربرة، لاجبار شيوخ القبائل على معاقبة المعتدين على البعثة. لكن بسبب تضرر المصالح البريطانية من حصار بربرة، لكونها احدى مصادر تموين عدن باللحوم^(٤)، وافق وليم كوجلان William Coghlan المقيم السياسي في عدن (١٨٥٤-١٨٦٣) على سحب الاسطول من بربره، بعد ان تعهد شيوخ القبائل، بموجب المعاهدة التي عقدت بين الطرفين في ١٩ تشرين الثاني ١٨٥٦، ببذل الجهود اللازمة للقبض على المتهمين الذين هربوا الى المناطق الداخلية واختفوا

(1) PlayFair, op.cit, pp. 176-177 ; Hamilton, op.cit, p.19.

(٢) وقد ألف بيرتن كتابين عن هذه الرحلة، هما:-

Narrative of atrip to Harar, London, 1855 ;First Footsteps in East Africa, London, 1856.

(3) F.O.195/1052, North brook and others to marquis of Salisbury, The 5th March, 1875, p.4 ; Pankhurst, Richard, Travellers in Ethiopia, London, Oxford University Press, 1965, p.110 ;

السيد، محمد المعتصم، دول اسلامية في شرق افريقيا، بيروت، ١٩٨٧، ص ص ٢٤-٢٧.

(4)Marston, op.cit, p. 223.

فيها، والسماح بحرية التجارة في بربره، والغاء تجارة الرقيق^(١)، وان يعاملوا باحترام أي وكيل بريطاني قد يكون مكلفاً بتنفيذ بنود المعاهدة^(٢). وقد حافظت هذه المعاهدة التجارية على مصالح بريطانيا في بربرة دون ان تكلفها نفقات مادية.

لم تثن تحركات البريطانيين المضادة للنشاط الفرنسي من عزم الفرنسيين على مواصلة البحث والتقصي عن مناطق جديدة في منطقة البحر الاحمر، خاصة وان فرنسا وفي عهد الامبراطور نابليون الثالث Napoleon III (١٨٠٨-١٨٧٣/١٨٥٢-١٨٧٠)^(٣) كانت تفكر في اليوم الذي ستفتتح فيه قناة

(١) الجدير بالذكر ان الحكومة البريطانية عقدت سلسلة من الاتفاقيات مع شيوخ القبائل الصومالية في تشرين الاول ١٨٥٥، تعهد شيوخ القبائل بموجبها بعدم السماح لرعاياهم بممارسة تجارة الرقيق، والسيطرة على اية سفينة تحتوي على الرقيق ومصادرتها واطلاق سراح الذين على متنها. وقد جاءت هذه الخطوة البريطانية تجاه الصومال انسجاماً مع سياستها الرامية الى منع تصدير الرقيق من أي جزء من افريقيا الى أي قسم اخر يقع تحت سلطتها. وكان من بين الشيوخ الموقعين على تلك الاتفاقيات، على محمد زيد شيخ قبيلة هبرغير هاجيس ومحمود محمد شيخ قبيلة هبرتالجالا، وحسن يوسف شيخ قبيلة هبرتالجالا وغيرهم. انظر:-

Aitchison, op.cit, p.52.

(2) F.O.195/1052, North brook and others to marquis of Salisbury, The 5th March, 1875, p.4 ;

طه، جاد محمد، بريطانيا والصومال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سمنار البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ابحاث الاسبوع العلمي الثالث، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٤٦٤ .

(٣) تولى لويس نابليون رئاسة الجمهورية الفرنسية الثانية في كانون الاول ١٨٤٨. وفي كانون الاول ١٨٥١ أصدر دستوراً جديداً للبلاد ينص على انتخابه رئيساً للجمهورية لمدة عشر سنوات. وفي العام ١٨٥٢ اعلن قيام الامبراطورية الفرنسية الثانية، ليصبح اسمه نابليون الثالث، الذي حاول ان يعيد امجاد عمه نابليون الاول، حيث اشترك في حرب القرم الى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية، وسعى الى تاسيس حكم فرنسي في المكسيك بين عامي ١٨٦١ و ١٨٦٧، لكنه فشل في السيطرة على البلاد، فسحب قواته من هناك، وشارك في احداث الحرب البروسية-النمساوية، وعند قيام الحرب البروسية-الفرنسية في العام ١٨٧٠ سقطت الامبراطورية الفرنسية الثانية اثر اندحار القوات الفرنسية امام بروسيا. انظر:-

Encyclopediad Britannica, Vol.13, pp. 413-416.

السويس^(١). ليكون البحر الاحمر اقصر طريق ملاحي يربط الشرق بالغرب. ولذلك كان الفرنسيون يتوخون الحصول على موطن قدم عند مضيق باب المندب، لاحكام سيطرتهم على مدخل البحر الاحمر الجنوبي، وترجيح كفتهم على المنافسة البريطانية في المنطقة. وقد توجه اهتمام الحكومة الفرنسية نحو جزيرة بريم الواقعة عند مدخل البحر الاحمر، وكرست لها جهوداً دبلوماسية كبيرة تمهيداً لاحتلالها^(٢).

وعندما علمت حكومة بومباي بتطلع الفرنسيين للسيطرة على جزيرة بريم، طلبت من كوجلان الحصول على معلومات وافية عن الجزيرة وعن امكانية تأسيس مستعمرة بريطانية فيها. وفي ٢٧ تشرين الاول ١٨٥٦ قدم كوجلان تقريره الى بومباي، موضحاً فيه اهمية احتلال بريم في دعم ركائز النفوذ البريطاني عند مضيق باب المندب، لانه في حالة "وضع قوة بحرية صغيرة في تلك الجزيرة سوف يكون ذلك كافياً لمراقبة وتفتيش اية سفينة تمر بها"^(٣). وبناء على توصيات كوجلان، أعاد البريطانيون احتلال بريم بقوة قادها الملازم كري Cray في ٢٦ كانون الثاني ١٨٥٧^(٤)، وذلك بدعوى حمايتهم لبناء فناء في تلك

(١) وقع الاتفاق المصري-الفرنسي بتنفيذ مشروع قناة السويس في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٥٤، وقد خول الاتفاق دي لسبس تاسيس شركة دولية تحت ادارته هي الشركة الدولية لقناة السويس البحرية، للاشراف على الملاحة في القناة حتى تاريخ نفاذ العقد الذي كانت مدته ٩٩ عاماً من تاريخ فتح القناة. انظر:- الشناوي، عبد العزيز محمد، ما تكلفته مصر في انشاء قناة السويس، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٣٧. لمزيد من التفاصيل عن مشروع قناة السويس انظر:-

Marlowe, John, The Miking of the Suez Canal, London, Gresset 1964 ;
مصطفى، احمد عبد الرحيم ، مشكلة قناة السويس (١٨٥٤-١٩٥٨) القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦.

(2)Marston, op.cit, p. 221.

(3)F.O.881/2432Memorandum on Sovereignty byHertslet,5thMarch 1874,p.33.

(٤) كانت بريطانيا قد احتلت جزيرة بريم في ٣ ايار ١٧٩٩، وبسبب فقر الجزيرة الى وسائل الحياة الضرورية وصعوبة الدفاع عنها، انسحبت القوات البريطانية منها في اوائل تشرين الاول ١٧٩٩. انظر:

Ibid, p.33.

الجزيرة لارشاد السفن البريطانية^(١).

اضاف الاحتلال البريطاني لجزيرة بريم عاملاً اخر في توجه فرنسا نحو الصومال والحصول على قاعدة تشرف على مضيق باب المندب، اذ استغلت الحكومة الفرنسية مقتل هنري لامبرت Henry Lambert القنصل الفرنسي في عدن قرب جزر موسى، وعدته مؤامرة دبرها شيرماركي حاكم زيلع^(٢)، بسبب خسارته لقضية رفعها ضده في الحديده الممثل الفرنسي، مما سبب قتل لامبرت في ٤ حزيران ١٨٥٩^(٣)، فأرسلت الحكومة الفرنسية السفينة الحربية لاسوم La Sommé بقيادة فلير دي لنجل Fleuriot de Lingle الى زيلع في العام ١٨٦٠، وقبض على شيرماركي وبعض السكان المحليين وعين اخر خلفاً له، ثم نقلتهم الى الحديده، لمحاكمتهم على جريمة قتل لامبرت، الا ان حاكم الحديده وحاكم اليمن العام، رفضا التدخل في الامر. وفي هذه الاثناء توفي شيرماركي الذي كان رجلاً مسناً على ظهر السفينة السوم. فاتصلت الحكومة الفرنسية بالباب العالي وطالبت بدفع جزية عن مقتل لامبرت، فوافقت الحكومة العثمانية على دفع جزية مقدارها ٣٠ ألف ليرة لفرنسا، وان تحول وارادات اليمن الى الحكومة الفرنسية الى ان ينتهي التعويض^(٤). ويشير موقف الحكومة الفرنسية من حادثة مقتل لامبرت الى اعترافها الرسمي بحقوق السيادة العثمانية على ساحل الصومال المواجه لعدن.

(1) Marston, op.cit, p.225 ;

السيد، عاطف، البحر الاحمر والعالم المعاصر، دراسة تاريخية سياسية استراتيكية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٤٠.

(٢) اصبح شيرماركي حاكماً لزيلع في ١٨٤١، بعد ان سجن حامية الشريف حسين الموجودة فيها، والمؤلفة من ثلاثين جندياً. انظر:-
Marston, op.cit, p. 108.

(٣) تشير الوثائق البريطانية واستناداً الى بلايفير مساعد كوجلان، المقيم السياسي البريطاني في عدن، الذي توجه الى مكان الحادث، انه كان ناتجاً عن اصطدام القارب الذي كان ينقل لامبرت بصخرة قرب جزر موسى عند عبوره من الحديده الى تاجوره. انظر:-

F.O.881/2432Memorandum on Sovereignty byHertslet, 5th March 1874, p.13.

(4)Ibid, p.39;

طه، بريطانيا والصومال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ص ٤٦٩.

قدم لنجل بعد عودته من موقع الحادث امام ساحل الصومال دراسة الى الحكومة الفرنسية في ٥ حزيران ١٨٦١، اكد فيها ضرورة تأسيس قاعدة بحرية او مستعمرة في المنطقة، وارفق دراسته بطلب كتبه بعض شيوخ الصومال من قبيلة حبر الجعلا الى الامبراطور نابليون الثالث، يطلبون فيه الدخول تحت الحماية الفرنسية، كما احضر لنجل معه احد شيوخ المنطقة، وهو دني احمد ابو بكر، ابن عم ابو بكر ابراهيم شيخ تاجوره وصديق الفرنسيين^(١).

رحبت الحكومة الفرنسية بالعروض التي قدمها مبعوث شيخ تاجوره، لانه على حد تعبير شاسلوب لوبا Chasseloup Loubat وزير البحرية الفرنسي (١٨٦٠-١٨٦٧) الذي كتب الى وزير الخارجية الفرنسي خطاباً في ٤ شباط ١٨٦٢ بانه

"من الناحية الدبلوماسية ليس لاية دولة اجنبية بصفة عامة والدولة العثمانية بصفة خاصة أي ادعاءات على الاراضي المذكورة"، واما فيما يتعلق بالموقف الدولي حينذاك، فيذكر ان:-

"الحكومة البريطانية التي تحتل مواقع مهمة عند المدخل الجنوبي للبحر الاحمر فانها لا تستطيع ان تعترض على الترتيبات التي يعتزم الفرنسيون القيام بها في نفس المنطقة حينذاك"^(٢).

وهذا يعني ان الحكومة الفرنسية قد أدت دوراً مزدوجاً في تعاملها مع حقوق الدولة العثمانية في الصومال، فهي تعترف بالسيادة العثمانية على تاجوره وزيلع، عندما تطالب بدفع الجزية عن مقتل لامبرت، وتتجاهل شرعية السيادة العثمانية على ابوك. اما ما يخص شيخ تاجوره فقد سعى الى ابرام معاهدة مع فرنسا، على الرغم من وجود معاهدة قائمة يرجع تاريخها الى العام ١٨٤٠، ابرمت بين شيخ تاجوره وشركة الهند الشرقية، لا تسمح بدخول شيخ تاجوره في أي اتفاق مع أي جهة اخرى دون الرجوع الى ادارة عدن او الحكومة البريطانية.

(١) حراز، رجب، التوسع الايطالي في شرق افريقيا وتأسيس مستعمرتي ارتيريا والصومال، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤٩٨؛ سالم، حمدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦.

(٢) يحيى، التناقص الدولي في بلاد الصومال، ص ص ٣٩-٤٠.

وعلى أية حال تم في باريس في ١١ آذار ١٨٦٢ التوقيع على معاهدة اوبوك من جانب ادوارد توفينيل Edouard Thouvenel وزير خارجية فرنسا (١٨٦٠-١٨٦٢)، ودني احمد عبد الرحمن ممثلاً لشيخ تاجوره^(١)، وتقضي المعاهدة بالتنازل لفرنسا عن ميناء اوبوك، الواقع في منتصف المسافة بين بريم وتاجوره، مع السهل الممتد من رأس علي في الجنوب الى رأس دوميره في الشمال، مقابل عشرة الاف ليرة عثمانية، كما تضمنت هذه المعاهدة تعهداً من شيخ تاجوره يرفض كل محاولة تقوم بها أية دولة اجنبية للتفاوض معهم ما دامت فرنسا لم تسمح لهم بالقيام بذلك^(٢). وقد تم اعلان السيادة الفرنسية على اوبوك رسمياً ورفع العلم الفرنسي عليها في ٢٠ أيار ١٨٦٢^(٣).

كان من الطبيعي ان تثير سيادة فرنسا لاوبوك استياء البريطانيين لما يترتب على ذلك من تأثير سلبي على المصالح البريطانية في منطقة البحر الاحمر، وتهديد لنمو عدن وتوسعها، فقد ازدهرت الاوضاع العامة في عدن خلال السنوات التي اعقبت الاحتلال البريطاني، بسبب ازدياد حجم تجارة البن اليمني ونشاط حركة التبادل التجاري بين عدن وزيلع وبربره، ولان اوبوك هي اقرب للمنتجات الافريقية من عدن، فقد كان باستطاعة الفرنسيين احتكار تجارة البن في هرر، الذي يتمتع بمزايا مشابهة للبن اليمني^(٤). من جانب اخر، لم يظهر البريطانيون اهتماماً كبيراً بالموقع الجغرافي لاوبوك، وهو ما يؤكد كوجلان عند زيارته الى اوبوك، بقوله:-

"ان ميزة اوبوك الوحيدة هي وفرة المياه العذبة بها، لانها من النواحي الملاحية غير ملائمة لتكون ميناء ناجحاً وانها ايضاً بعيدة عن طريق السفن التجارية في البحر الاحمر"^(٥).

(١) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ٤٣؛ Hamilton, op.cit, p. 18
(2)Marston, op.cit, p. 259 ; Govin, R.J, Aden Under British Rule 1839-1967,London, Cass, 1975, p. 96.

(٣) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ٤٥-٤٧؛ اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٣٥٣.

(5)F.O.881/2432Memorandum on Sovereignty byHertslet,5thMarch 1874,pp.46-48.

كما اثارت سيادة فرنسا لاوبوك مسألة السيادة العثمانية على الساحل الصومالي المقابل لعدن، عندما صرح بلايفير مساعد المقيم السياسي البريطاني في عدن قائلاً:-

"ان الفرنسيين قد استولوا على اراضي تابعة للامبراطورية العثمانية، وانه وان كانت الدولة العثمانية لا تباشر سلطاتها عن طريق رفع علمها وارسالها لاحد الموظفين الرسميين الى هذه المنطقة، فان احداً لا يستطيع ان ينكر انها هي الدولة صاحبة السيادة على كل هذا الساحل"^(١). وكان الرد الفرنسي على هذا التصريح، ما ذكره شيفر احد مستشاري السفارة الفرنسية في اسطنبول امام احمد باشا الحاكم العثماني للحديدة، ان البريطانيين سبق ان تصرفوا بالطريقة نفسها عند شرائهم جزر موسى^(٢). اما الموقف العثماني فكان غير منسجم مع واقع الاحداث وتطورات المرحلة، التي كانت تتجه نحو افتتاح قناة السويس، وما ستحمله من تحولات جذرية في اوضاع المنطقة، على حساب الممتلكات العثمانية فقد عبرت الدولة العثمانية عن موقفها بشكل لا يثير اهتمامها بمسألة سيادة فرنسا لاوبوك، وهو ما بينه احمد باشا للبعثة الفرنسية عند زيارتها الى الحديدة قائلاً:-

"ان فرنسا انفقت بدون أي داع ذلك المبلغ الذي دفعته لشراء الاراضي اللازمة لاقامة مستودع للفحم، لانه لم يكن هناك شك في ان السلطان هو المالك الوحيد لجميع الاراضي الساحلية... وانه اذا كانت الحكومة الفرنسية قد طلبت من الباب العالي ان تمنحها هذه الاراضي، فانه لم يكن ليرفض للفرنسيين هذا الطلب"^(٣).

(١) نقلاً عن: طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن...، ص ٢٤٠.

(٢) اباطه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٣٥٢.

(٣) نقلاً عن: المصدر نفسه...، ص ص ٣٥٢-٣٥٣.

ويبدو ان وجهة النظر العثمانية تجاه اوبوك كانت متأثرة بظروف مرحلة ما بعد حرب القرم Crimean War (١٨٥٣-١٨٥٦)^(١)، وهي ان التحالف الفرنسي-العثماني سيكون مانعاً للتنافس فيما بينهما في منطقة البحر الاحمر، وبالتالي نظر العثمانيون لمسألة أوبوك بأنه لا توجد نوايا فرنسية لحيازة اية مستعمرة في المنطقة.

لم تقم الحكومة الفرنسية ولسنوات عديده باحضار حامية عسكرية في اوبوك واحتلالها، بل اكتفت باحتفاظها بعقد الشراء لكي تجعل من نفسها منافساً لبريطانيا في منطقة البحر الاحمر، اذ ان فرض السيادة الفرنسية على اوبوك جعل فرنسا صاحبة القرار في المستقبل بخصوص المنافسة البريطانية في البحر الاحمر، وخاصة عند المنطقة المجاورة لعدن وبريم، التي تسيطر عليها بريطانيا، ولذلك لم يكن للحكومة الفرنسية سياسة مرسومة، تهدف الى تأسيس قاعدة استعمارية ثابتة في أوبوك، ولم تشر السنوات والاحداث بين عامي ١٨٦٢ و١٨٨٢ الى امكانية تنفيذ المشروع، فقد استمرت وزارة البحرية الفرنسية في رفض منح الحماية لبعض الفرنسيين الذين يرغبون في الاقامة في اوبوك او انشاء مؤسسات تجارية وفتح العلاقات الاقتصادية مع اثيوبيا، بعد ان اصررت الحكومة الفرنسية على ان

(١) بدأت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية في ١٨٥٣، ثم انضمت فرنسا وبريطانيا والنمسا وبروسيا الى جانب الدولة العثمانية، كان السبب المباشر للحرب هو المنافسة على حق حماية المسيحيين في الدولة العثمانية وحراسة بعض الاماكن المقدسة في بيت المقدس بين روسيا وفرنسا، فقد حصلت فرنسا على حق حماية المسيحيين الكاثوليك في ١٨٥٢، ووجدت روسيا ان نجاح فرنسا في الحصول على حق حماية المسيحيين الكاثوليك يهدد سياسة روسيا تجاه الدولة العثمانية، فارسل القيصر نيقولا الاول (١٨٢٥-١٨٥٥) مبعوثاً للتفاوض مع الباب العالي في محاولة لتأكيد حقه في حماية رعايا الدولة العثمانية الارثوذكس، وقد وافق السلطان العثماني على ذلك، في الوقت الذي لم يكن سفير فرنسا وبريطانيا في اسطنبول، وعندما عاد السفير البريطاني اقنع السلطان برفض تلك المطالبات، مما ادى الى اثاره نيقولا الاول الذي هدد بان قواته ستحتل ولاكيا ومولدافيا في حالة عدم اقرار السلطان المطالبات الروسية، وقد نفذ نيقولا الاول تهديده بالفعل وهكذا بدأت حرب القرم. لمزيد من التفاصيل انظر:-

هذه الإقامة في تلك المناطق ستكون تحت مسؤولية القائمين بها، وانه لن ترسل اليهم اية قوات للأمن او موظفين للإدارة^(١).

ويعود السبب الحقيقي في عدم تنفيذ الحكومة الفرنسية مشروع أوبوك، الى انشغالها باحداث الحرب البروسية- النمساوية في ١٨٦٦، والحرب الفرنسية- البروسية في ١٨٧٠-١٨٧١ اللتين كان من نتائجهما انهيار الامبراطورية الفرنسية النابليونية الثانية، وعلان الوحدة الالمانية. وبذلك لم تغد فرنسا من أوبوك لاغراضها الاستعمارية الا عند تأزم المسألة المصرية بعد الاحتلال البريطاني في العام ١٨٨٢^(٢).

ولذا، كانت سياسة بريطانيا إتجاه المنافسة الفرنسية في الصومال في المدة الواقعة بين عامي ١٨٣٩ و١٨٦٩، قد تحددت في نقطتين مهمتين هما، تكليف ادارة عدن لمراقبة النشاط الفرنسي في منطقة البحر الاحمر وعن كثب، لاحتواء أي تحرك فرنسي قد يعرقل سير المصالح البريطانية في الصومال، وتبني الاسلوب الدبلوماسي لمد النفوذ البريطاني وشراء الجزر المهمة ودخول الشيوخ المحليين تحت الحماية البريطانية.

موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في اثيوبيا وارتريريا

١٨٣٩ - ١٨٦٧

ظل الاتفاق المعقود بين فاسيلاداس Fasiladas ملك اثيوبيا (١٦٣٢-١٦٦٧) والسلطة العثمانية في مصوع في العام ١٦٤٨، بشأن منع دخول الاوربيين الى اثيوبيا، موضع التنفيذ لمدة قرن ونصف تقريباً، وبعد ان امر فاسيلاداس بطرد

(١) يحيى، جلال، البحر الاحمر والاستعمار، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٣٨.

لمزيد من التفاصيل عن موقف رجال الاعمال الفرنسيين من المستعمرات الفرنسية انظر:-
Andrew, Cand Kanya-forstner, French Business and the French Colonialists, The Historical Journal, Cambridge, University Press, Vol. 19, No. 4, December 1976, pp. 981-1000.

(٢) سنتناول ذلك بالتفصيل في الفصل الرابع الذي حمل عنوان (موقف بريطانيا من التنافس الدولي في منطقة القرن الأفريقي ١٨٨٢-١٩١٤).

الارسلالات الكاثوليكية من اثيوبيا، لم يجرؤ على العودة الى اثيوبيا سوى عدد قليل من الالباء الكاثوليك^(١). لكن في عهد ساباجاديس راس تيجري، الذي كان يعطف على الارسلالات البروتستانتية في أوائل العقد الثالث من القرن التاسع عشر، فتح باب اثيوبيا امام الارسلالات الكاثوليكية والبعثات التبشيرية الاخرى، وكان من بين هذه الارسلالات البروتستانتية، بعثة صموئيل كوبات Samuel Gobat وكرستيان كوكلر Christian Kugler، اللذين يعدان اول من دخلا من البروتستانت الى اثيوبيا في العام ١٨٣٠، في بعثة الجمعية التبشيرية الكنسية Church Missionary Society، التي استمرت بين عامي ١٨٣٠ و١٨٣٥^(٢)، أما البعثات التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية، التي اكدت ان الرحالة البريطانيين قد سبقوهم بزيارة اثيوبيا في مطلع القرن التاسع عشر، فكانت بعثة تومسون Thomson ودوبادي d'Abbadie وجستين دوجاكوبيس Justin de Jacobis ومونتوري Montouri وغيرها^(٣). وقد شرع هؤلاء المبشرون بتأسيس مراكز تبشيرية في اثيوبيا. كما قاموا بدراسة امكانيات البلاد الاقتصادية ولغات السكان وعاداتهم، فضلاً عن ان نتائج هذه البعثات التبشيرية قد مهدت الطريق امام بعثات تبشيرية واستكشافية اخرى، كانت بمثابة حركة تنوير لحكام اثيوبيا وتعريف بالحضارة الاوربية الحديثة^(٤).

(1) Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 100 ; Imperial Ethiopia Crown Council of Ethiopia, The End of Colonialism, The Twentieth Century, history part 11, The Middle Ages, 2001.

الجدير بالذكر ان فاسيلاداس قد قام بتوثيق العلاقة مع امام اليمين الموحد بالله، وبعث رسولا اليه يطلب منه طرد او قتل أي برتغالي يمر باليمن. انظر:-

Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 102.

(2) The Journals of C.W Isenberg and J.I.Krapf, detailing Their Proceeding in The Kingdom of Shoa and Journeys in others of Abyssina in the years, 1839-1840, 1841 and 1842, Great Britain, Frank, 1968, p. V.

(3) Rubenson, op.cit, p.156 ; Fetter, Bruce, Colonial Rule in Affrica, U.S.A, University of Wisconsin, 1976, PP. 36-38.

(٤) الجمل، شوقي عطا الله، تاريخ الصومال في العصر الحديث (١٤٨٦-١٩٦٩)، كتاب

المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٣٧.

حفز نشاط البعثات التبشيرية في تجري رأس شوا ساهلي سيلاسي Sahle Selassie (١٨١٣-١٨٤٧)^(١) الذي كان تواقاً للاتصال بالاوربيين، لتحقيق اهدافه السياسية، فقد دعا في العام ١٨٣٧ بعثة الجمعية التبشيرية. كما وصلت بعثة فرنسية بقيادة روشيه ديروكور Rochet d'Héri Court الى شوا في تشرين الاول ١٨٣٩، التي كان لها الاثر المهم في فتح العلاقات الاثيوبية-الفرنسية في العصر الحديث، ووضع الحجر الاساس لطبيعة تلك العلاقات. اذ لم يتمكن روشيه من كسب صداقة ساهلي سيلاسي، لاهدائه مطحنة لصنع البارود فحسب، بل وجذب ساهلي سيلاسي نفسه الى خطط روشيه الرامية الى بسط نفوذ ساهلي سيلاسي على اثيوبيا^(٢)، بعد أن اكد له ان مصدر قوته في اثيوبيا تكمن في اقامة علاقات ودية مع فرنسا، وعقد معاهدة صداقة وتعاون معها، لتجهيزه بالاسلحة الحديثة، وتأسيس جيش نظامي، ويبدو ان مشاريع روشيه قد اصابته الهزيمة، فقد تقبل ساهلي سيلاسي خطته بحماس كبير، حتى انه ارسل مجموعة من الهدايا الى لويس فيليب Louis philipp ملك فرنسا (١٨٣٠-١٨٤٨) مع روشيه عندما غادر متوجهاً الى فرنسا في ٣ آذار ١٨٤٠^(٣).

وكان روشيه قد تحدث عن خطته في اثيوبيا وبصراحة الى جوهان لودفيك كرافف John Ludwig Krapf^(٤) احد اعضاء الجمعية التبشيرية الكنسية، والمبعوث البريطاني في شوا، الذي التقى به في شوا، وذكر كما قال كرافف:

"اعتقد ان بوسعه تنظيم جيش من (٢٠٠) ألف رجل من شعب

الغالا الشجعان الكثيري العدد، وبمرور السنوات يمكن انشاء

حبشة فرنسية مقابل الهند البريطانية... واعتقد ايضاً بان هذه

(١) للاطلاع على الاسرة الحاكمة في شوا ومن ثم اثيوبيا في البحث انظر ملحق رقم (١)

(2) darkwah, KofI, Shewa, Menilek and The Ethiopian Empire 1813-1889, London, Heinemann, 1975, P.21 ; Thompson and Adloff, op.cit, P.5.

(3) Waterfield, op.cit, p. 144-145.

(٤) وهو من اصل الماني، ارسل الى شوا في ١٨٣٩، وبعث من هناك عدة تقارير مهمة الى هاينز عن

اوضاع المنطقة، عرف اللغة السواحلية ولغات عديدة اخرى في شرق افريقيا، وقام بعدة رحلات الى

مومباسا، وتمكن من تأسيس جمعية في راباي Rabai بالقرب من مومباسا في العام ١٨٤٦. انظر:-

Simpson, Donald and Dark, Companions, The African Contribution to The European exploration of East Africa, London, Longman 1975, P.5

الحبشة الفرنسية قد يتم ربطها بالامتلاكات الفرنسية في السنغال

في غرب افريقيا، وخاصة بنهر النيجر في قلب القارة الافريقية^(١).

كما اشار كرابف الى خشيته من احتمال احتلال محمد علي باشا لاثيوبيا، حيث سيكون بوسعه تجنيد جيش من الغالا بمساعدة الفرنسيين، ومن ثم تدمير النفوذ البريطاني في البحر الاحمر والمحيط الهندي، بل حتى في الهند^(٢).

حملت خطط روشيه العديد من مقاييس العلاقات الفرنسية-الاثيوبية اذ وضع روشيه أسس اتصالات تجارية وسياسية جيدة مع شوا، ألا انه على الرغم من عدم واقعية خطط وغلبة الطابع الشخصي عليها، فقد عكست حجم التطورات في منطقة البحر الأحمر، والسياسة الفرنسية التي يفترض تبنيها لمواجهة السياسة البريطانية المعاصرة للدبلوماسية الاوربية تجاه الازمة المصرية، والاحتلال البريطاني لعدن، لعدن وانسحاب القوات المصرية من مناطق الساحل الشرقي للبحر الاحمر.

وكان من الاجراءات الاخرى التي قامت بها الحكومة الفرنسية واثارت المزيد من قلق السلطات البريطانية إتجاه النوايا الفرنسية في المنطقة، هي بعثة الضابطين فيريه وجالينيه كانون الثاني ١٨٤٠، التي ارسلتها وزارة البحرية الفرنسية بهدف استكشاف اثيوبيا وساحل البحر الغربي، وتقديم تقرير يوضح مدى امكانية قيام الفرنسيين باستعمار اثيوبيا^(٣). بيد ان هذه البعثة الرسمية التي بدا مظهرها علمياً الى حد كبير وهدفها استعمار اثيوبيا من الناحية الجيوبولتيكية امراً صعب التنفيذ، فشلت في تحقيق مهمتها، عندما تحطمت آمالها لتشكك الحكومة الفرنسية في حقوق السيادة التي يدعيها رأس تيجري على الساحل المطل على البحر الاحمر وعلى خليج حنفيله الذي ابدى استعداداه للتنازل عنه للفرنسيين^(٤). هذا فضلاً عن موقع اثيوبيا البعيد عن ساحل البحر الاحمر الغربي.

اما موقف بريطانيا تجاه هذا النشاط الفرنسي في اثيوبيا، فقد بدا واضحاً عندما تحرك كرابف، الذي كان له دور مؤثر في تنسيق العمل بين بريطانيا وشوا،

(1) Waterfield, op.cit, p.145; darkwah, op.cit, p. 23.

(2) Rubenson, The Survival, p. 134.

(3) Ibid, p.150 ; Marston, op.cit, p.120.

(4) Rubenson, The Survival, p. 150.

في توجيه اهتمام الحكومة البريطانية الى اثيوبيا مجدداً، بعد أن فشلت بعثتا هنري سالت الثانية في ١٨٠٩-١٨١٠ وبعثة كوفين في ١٨٢٧ في تحقيق اهداف بريطانيا التجارية، اذ يذكر كراف كرايف لهائيز ان لساھلي سيلاسي رغبة حقيقية في تنفيذ خطط روشييه، ولاسيما فيما يتعلق بالقضايا العسكرية، ولهذا فانه كان ينتظر عودة روشييه الى شوا بشوق كبير^(١)، ولاحباط تلك الخطط الفرنسية، قام كراف بتشجيع ساھلي سيلاسي على ضرورة توطيد اواصر الصداقة مع بريطانيا، واقنعه بكتابة رسالة الى حكومة الهند البريطانية في ٦ حزيران ١٨٤٠، تبعت عن طريق هائيز، اعرب فيها عن رغبته في الاستعانة بالخبرة الاجنبية في مجال الفنون والعلوم، والحصول على مساعدات من الاسلحة الحديثة التي تقتقر اليها بلاده. كما اوصى كراف ساھلي سيلاسي ان يرسل الى هائيز وزوجته بعض الهدايا محاولة منه للتقرب اليه^(٢).

وقد بعث كراف مع رسالة ساھلي سيلاسي خطاباً الى حكومة الهند، اوصى فيه بضرورة ترسيخ النفوذ البريطاني في شوا لانه:-

"اذا ما قامت الحكومة البريطانية بدعم مملكة شوا فأنها

قد تنقذ الشعب الاثيوبي من الدمار التام... كما يمكن تدمير

خطط السيد روشييه وتدمير النفوذ الفرنسي في افريقيا

الشرقية وقلعه من جذوره"^(٣).

كما أكد على أهمية شوا التجارية وموقعها الجغرافي في شرق افريقيا، باعتبارها تتحكم في واحد من اهم الطرق التجارية التي تمر بشرق افريقيا ويمكن من خلالها

(1) Marston, op.cit, p.127.

(2) WaterField, op.cit, p. 154 ; Mazrui, Ali, European Exploration and Africa's Self Discovery, The Journal of Modern African Studies, Vol.7, No.4, Cambridge, 1969, p. 663.

وقد تضمنت هدايا ساھلي سيلاسي الى هائيز: سجاد، وصور، ومرايا، وملابس عربية، وكتب لطيفة التغليف، وقد علق هائيز على الهدايا بانها كانت المواد نفسها التي احضرها كومب من فرنسا على متن السفينة الانكوبار.

(4) Quoted in, Water Field, op.cit, p. 154 ; Rubenson, The Survival, p.152.

منع تجارة الرقيق، وبسط النفوذ البريطاني في وسط وشرقي إفريقيا، وأوصى كرايف في ختام رسالته أيضاً بعقد معاهدة صداقة مع ساھلي سلاسي وتجهيزه بالأسلحة الحديثة، بسبب المنازعات المحلية بين رؤوس اثيوبيا^(١).

كان موقف حكومة بومباي بعد ان رفع هاينز هذين الخطابين اليها في تموز ١٨٤٠، ان اوصت بارسال بعثة الى شوا لعقد معاهدة سلام وصداقة مع ساھلي سلاسي^(٢). وفي الاول من تشرين الثاني ١٨٤٠ وافقت حكومة الهند على ارسال بعثة الى شوا لتحقيق هذا الهدف، واحدى سفن الاسطول الملكي البريطاني لتعزيز قوة الحامية في عدن، وان تتوجه فوراً الى البحر الاحمر. وفي كانون الاول ١٨٤٠ تركت حكومة الهند لبومباي تفاصيل تنفيذ الاستعدادات اللازمة لدراسة الطريق الموصل الى شوا بدقة واعضاء البعثة^(٣).

تألفت البعثة برئاسة وليم كورنواليس هاريس William Cornwallis Harris وهو مهندس في شركة الهند الشرقية، وعضوية النقيب دوغلاس غراهام Douglas Graham والدكتور كيرك Kirk والملازم هورتون Horton و(١٧) حارس ونجار وخادمان^(٤). وفي ٢٤ نيسان ١٨٤١ تلقى هاريس أوامره من حكومة الهند في مذكرة تألفت من (١٧) صفحة، كلفت هاريس فيها بمحاولة الدخول في اتفاقية مع حاكم شوا لتأمين التبادل التجاري الحر مع المناطق التي تقع تحت سيطرته، وعقد اتفاقيات مشابهة مع شيوخ القبائل الواقعة على خط الطريق من تاجوره الى شوا^(٥). فضلاً عن استكشاف اثيوبيا ومعرفة اوضاعها الزراعية وتقدير منتجاتها الطبيعية او الصناعية، لمعرفة أي مدى ممكن للتجارة البريطانية الاستفادة منها. ثم تحولت الاوامر الصادرة من حكومة الهند الى هاريس نحو تلخيص النشاط الفرنسي في شوا^(٦)، وهو الهدف الرئيس للبعثة.

(1) Rubenson, The Survival, p.150 ;

(2) Marston, op.cit, p.128 ; Water Field, op.cit, p.147.

(3) Marston, op.cit, p.130 ; Rubenson, The Survival, p.152.

(4) Johnston, Charles, Travels in Southern Abyssinia, London, Madden, 1972, P.V.

(5) Harris, Cornwallis, The Highlands of A Ethiopia, London, Longman, 1968, Vol. I, P.4.

(6) darkwah, op.cit, p. 22; Thompson and Adloff, op.cit, P.5.

غادرت البعثة بومباي في ٢٦ نيسان ١٨٤١، ورافقتها من عدن مجموعة من الحراس، ثم توجهت الى تاجوره في ١٨ آيار، ووصلت الى شوا في ١٨ تموز ١٨٤١^(١)، وقد استقبل ساهلي سيلاسي البعثة بترحيب كبير، فقدمت له مجموعة من الهدايا كساعات الزينة وصناديق الموسيقى والجواهر والاقمشة التي غطت الارض، حتى بدا ساهلي سيلاسي وكأنه "في عالم اخر، وانه ليس لديه كلمات للتعبير عن سعادته"^(٢).

وجد هاريس ان النفوذ الفرنسي في شوا كان قوياً في نفوس اهالي المنطقة، على الرغم من عدم وجود احد من الفرنسيين فيها حينذاك، بسبب وعود روشيه التي قدمها لساهلي سيلاسي، التي كان لها وقع حسن في نفس الحاكم^(٣)، وأثر الرحالتين الفرنسيين ارنولد دابادي وشقيقه تومسون وغيرهما من الفرنسيين، الذين كانوا قد وصلوا الى شوا، وحسب ما يذكر واترفيلد، قاموا بنشر دعاية بين السكان مفادها أن البريطانيين كانوا يريدون احتلال البلاد وابطال تجارة الرقيق، في حين كان الفرنسيون يريدون ان يسمح الاهالي لهم بحمايتهم وحماية تجارتهم التي ستكون موضع اهتمام وتشجيع زائدين^(٤).

وعموماً قاد حسن استقبال ساهلي سيلاسي، مع وسائل الاقناع الاخرى التي مارسها هاريس خلال الاشهر الاربعة من تاريخ وصوله الى شوا، بايضاحه بان الفرنسيين كانوا يفعلون كل ما في وسعهم من اجل تهديد المصالح البريطانية في

(1) The Journals of C.W. Isenberg and J.L.Krapf, op.cit, Pxiv.

(2) Water Field, op.cit, p.153.

كانت هناك وجبة ثانية من الهدايا التي لم ترسل مع البعثة، اذ بعث هاينز الملازم كروتدين الى تاجوره، لارسال الهدايا الى شوا، إذ تم تأجير (١٣٥) جملاً يحمل الهدايا، وعندما وصلت الهدايا الى شوا، احتفظ ساهلي سيلاسي بها في خزينته.

Ibid, p.154.

(3) Marston, op.cit, pp. 132-133 ;

اباظه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ١٣٩ .

(4) Water Field, op.cit, pp. 150-151 ;

المشاخي، علي خضير عباس، السياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٧٩٨-١٨٨٢، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية الاداب/جامعة بغداد كجزء من متطلبات درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، ١٩٩٧، ص ٣٧.

هذا البلد الى توقيع معاهدة صداقة وتجارة مع ساهلي سيلاسي في ١٦ تشرين الثاني ١٨٤١، نصت على عدم فرض ساهلي سيلاسي وخلفائه أية رسوم او ضرائب اكثر من ٥% فقط من قيمة البضائع على التجارة البريطانية التي تستورد الى شوا والتي تمر عبرها. وتم الاتفاق على بذل كل ما في وسع ساهلي سيلاسي وفكتوريا Victoria ملكة بريطانيا (١٨١٩-١٩٠١/١٨٣٧-١٩٠١)^(١) لأجل ابقاء طرق التجارة مفتوحة ولا سيما طريق المواصلات بين ساحل البحر الأحمر واثيوبيا^(٢). كما تضمنت المعاهدة مادة تتعلق بحماية الرعايا البريطانيين في شوا والحفاظ على ممتلكاتهم^(٣).

ويبدو ان هذه المعاهدة كانت تهدف في شكلها الظاهري الى توطيد اواصر الصداقة والتجارة مع اثيوبيا، في حين كان الهدف الحقيقي منها هو ضمان وجود بريطاني في شوا، لمراقبة مجريات الاحداث عن كثب في المنطقة لا سيما على صعيد المنافسة الفرنسية. وعلى اية حال، فإن المعاهدة البريطانية لم تدخل حيز التنفيذ، بسبب عجز ميزانية حكومة بومباي عن تحقيق اهداف بريطانيا التجارية في اثيوبيا، اذ ذكر حاكم بومباي في تموز ١٨٤٢ "انه كان من المفروض سحب بعثة هاريس منذ زمن طويل، لان وضع الهند المالي يستوجب تقليل جميع النفقات التي لا يحتمل ان تحقق المنفعة المطلوبة"^(٤). وفي كانون الثاني ١٨٤٣

(١) ملكة بريطانيا العظمى وايرلندا وامبراطورة الهند (١٨٧٦-١٩٠١) وابنة ادوارد دوق كنت (الابن الرابع للملك جورج الثالث)، خلفت عمها وليم الرابع، اذ تولت العرش في ٢٠ حزيران ١٨٣٧ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، ويعد حكمها اطول حكم في تاريخ بريطانيا. تزوجت في ١٨٤٠ الامير البرت Albert وانجبت منه تسعة اطفال، شملت زيجاتهم معظم العوائل المالكة في روسيا، والمانيا، والدنمارك انظر:-

The American Peoples Encyclopaedia, New York, Clolier incorporated, 1962, Vol.19, pp. 304-306.

(2) Rubenson, The Survival, p.154 ;

يحيى، البحر الاحمر والاستعمار، ص ٣٢ .

(3) The Journals of C.W. Isenberg and J.L.Krapf, op.cit, Pxiv ; Darkwah, op.cit, p. 24.

(5) Water Field, op.cit, p. 155 ; Rubenson, The Survival, p. 157.

تم سحب البعثة الى بومباي بناء على اوامر صادرة من حكومة الهند الى حكومة بومباي، بسبب حالة الهند المالية حينذاك^(١).

وربما يعود عدم تنفيذ هذه المعاهدة، الى انها كانت بمثابة خطوة بريطانية لاحكام طوقها في اثيوبيا امام النفوذ المصري في حالة تقدمه نحو اثيوبيا، ضمن حلقة التآمر البريطاني على المسألة المصرية التي انتهت في العام ١٨٤١ ولصالح البريطانيين^(٢)، لاسيما بعد فشل المعاهدة الفرنسية التجارية والسياسية مع ساهلي سيلاسي، التي وقعها نيابة عن الحكومة الفرنسية روشيه في تشرين الثاني ١٨٤٢، والتي منحت الفرنسيين حقوقاً مشابهة لتلك التي نالها البريطانيون في معاهداتهم السابقة مع ساهلي سيلاسي، التي لم تدخل حيز التنفيذ أيضاً بسبب الصراعات القبلية في شوا والمناطق المجاورة لها، الامر الذي جعل التجار الفرنسيون يمتنعون عن الحضور الى بلاد شبه مجهولة لهم^(٣).

وفي خلال وجود بعثة هاريس وروشيه كانت اثيوبيا تعيش حرب أهلية بين علي جوا نجول Gwangwil رأس غوندار، وساهلي سيلاسي رأس شوا، وكوشو Goshu رأس جوجام، واوبي Oubie رأس تيجري (١٨٣٢-١٨٥٤)، التي كان لها دور مهم في عدم استئناف النشاط التجاري البريطاني والفرنسي في اثيوبيا، هذا فضلاً عن معوقات طريق المواصلات بين الساحل واثيوبيا^(٤)، الذي كان تحت السيادة العثمانية، مما جعل عملية ابقاء طرق التجارة مفتوحة وامينة بعيدة عن التنفيذ. كذلك ادت وفاة ساهلي سيلاسي في العام ١٨٤٧ الى دخول شوا في عزلة عن العالم الخارجي مرة اخرى، اذ ان الهدف الذي كان ساهلي سيلاسي يطمح اليه

(1) Johnston, op.cit, p xi

(2) Water Field, op.cit, pp. 145 ; The Journals W. Isenberg and J.L. Kyapf, op.cit, p. 264.

(3) Waterfield, op.cit, p. 155.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن نشاط التجار الاثيوبيين بين الساحل واثيوبيا ومعوقات التجارة بين تلك

المنطقتين انظر:-

Abir, Mordechai, Brokerage and Brokers in Ethiopia in the First Half of the 19th Century, Journal of Ethiopian Studies, Vol.3, No. I, institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa, Ethiopia, January 1965,

من علاقاته مع بريطانيا وفرنسا هو تحديث بلاده من خلال الاستعانة بالخبرة الأوروبية في المجالات العسكرية والفنية.

وقد طرأ على الساحل الارتيري تطور جديد ساعد على امتداد النفوذ المصري باتجاه الجنوب، وتدعيم السيادة العثمانية عليه، في وقت تزايد فيه النشاطين البريطاني والفرنسي لبسط نفوذهما على الساحل المقابل لعدن، والنشاط الإثيوبي المعادي في مصوع. فقد اصدر الباب العالي في ١٢ آيلول ١٨٤٧، فرماناً بتأخير مينائي سواكن ومصوع الى محمد علي باشا مدى حياته مقابل ٢٠ ألف ليرة^(١)، لتدعيم حقوق السيادة العثمانية على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر بعيداً عن الاطماع الأجنبية، الامر الذي اثار اللورد كاولي Cowley السفير البريطاني في اسطنبول، الذي ارسل صورة من فرمان الى اللورد بالمرستون وزير الخارجية (١٨٤٦-١٨٥١) الذي اجابه في كانون الاول ١٨٤٧ بان يلفت نظر الباب العالي الى ما ينطوي عليه من تنازل الدولة العثمانية لمحمد علي عن ادارة مينائي سواكن ومصوع من تجاوز على اثيوبيا، تلك الدولة التي يسعى البريطانيون الى اقامة علاقات تجارية معها، فضلاً عما يؤدي اليه ذلك التنازل من عرقلة لسير التجارة في المنطقة. ولذلك طلب بالمرستون من كاولي ضرورة ابلاغ الباب العالي بان حكومة جلالة الملكة تأمل ان لا يصادق الباب العالي على مثل هذه الاجراءات، لانها سوف تؤدي الى وقوع السلطات المصرية في صدام مع مصالح التجارة المشروعة للرعايا البريطانيين^(٢).

كان موقف بالمرستون المعارض وبصلابة لقرار السلطان العثماني بالتنازل عن ادارة مينائي سواكن ومصوع، نابع من حرص السياسة البريطانية الهادفة الى حصر نفوذ مصر ضمن نطاق الحدود التي رسمتها فرمانات السلطانية الصادرة

(1) الجمل، شوقي عطا الله، سياسة مصر في البحر الاحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٤٢؛

Abir, Ethiopia: The Era of the Princess..., p. 123.

(2) F.O.881/2432 Memorandum North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March 1875, p. 29.

في العام ١٨٤١^(١)، فكان فرمان السلطاني بالنسبة لبريطانيا يعني انه اذا ما اشتدت قبضة محمد علي على سواكن ومصوع، فانه سوف يوسع دائرة النفوذ المصري في اطار التجارة الافريقية، التي سوف تنشئ احتكارات تجارية وعلاقات قوية مع سكان مقاطعة سنار واثيوبيا وشرقي افريقيا^(٢)، مما يؤثر على المصالح التجارية البريطانية في منطقتي البحر الاحمر والقرن الافريقي عامة، ومصوع خاصة، التي تمثل بالنسبة للبريطانيين، ومنذ احتلال عدن، موضع اهتمام بريطانيا، لوقوعها ضمن دائرة مصالحها في المنطقة.

وقد عبرت الحكومة البريطانية عن مخاوفها من فرمان السلطاني القاضي بالتنازل عن ادارة سواكن ومصوع الى مصر، بانشاء قنصلية لها في مصوع، كان الهدف الظاهري منها اقامة علاقات تجارية مع اثيوبيا، في حين كان الهدف الحقيقي الوقوف على مجريات الامور في المنطقة^(٣). وقد جاء ذلك وبشكل واضح، عندما عين بالمرستون والتر جيغل بلودن Walter Chichele Plowden^(٤) قنصلاً لبريطانيا في مصوع في ٣ كانون الثاني ١٨٤٨، وطلب منه في التعليمات الصادرة اليه ان يحيط الحكومة البريطانية علماً بمدى ما لنائب حرقيقو من حقوق كحاكم مستقل، وان يتحقق فيما اذا كانت الحكومة العثمانية تتمتع فعلاً بسيادة شرعية في مصوع وعلى نائب حرقيقو، اذ عن طريق هذه المعلومات تتمكن الحكومة من اتخاذ قرار بشأن اختيار موقع مناسب لتأسيس قنصلية بريطانية في مصوع او في الساحل، فاذا كانت حقوق السيادة العثمانية تشمل مصوع فقط،

(1) انظر نصوص فرمانات السلطانية في : البراوي، راشد، مجموعة الوثائق السياسية، المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس، القاهرة، ١٩٥٢، ج١، ص ص ٢٢-٣٠؛

Hurwetz, Jacob Coleman, Diplomacy in the Near and Middle East A documentary Record 1535-1914, New york, 1972, Vol.I, pp.22-30.

(2) Marston, op.cit, p. 181-182.

(3)) F.O.881/2432 Memorandum on Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874 , p. 30.

(٤) وهو ابن احد المسؤولين في حكومة البنغال، قرر القيام برحلة الى اثيوبيا بين عامي ١٨٤٢-

١٨٤٦، قدم خلالها تقريراً مهماً الى وزارة الخارجية البريطانية عن تجارة اثيوبيا وقد نشر في لندن

في العام ١٨٦٨، في مجلد صغير تحت عنوان:

"Abyssinia and Its People or Life in the land of Prester John".

Marston, op.cit, p.166 ; Jones and Monroe, op.cit, pp.129-130.

فينبغي عند ذاك فتح قنصلية بريطانية على الساحل تسهياً لاقامة علاقات تجارية مع اثيوبيا، اما اذا كانت لديهم حقوق في مصوع والبر الرئيس فيجب ان تقام قنصلية في مصوع^(١). كما منح بلودن صلاحية الذهاب الى غوندار وشوا مرة كل عام، وكان هدف بالمرستون من وراء زيارة بلودن الى اثيوبيا واضحاً للغاية، وهو السيطرة على النشاط الفرنسي في تلك المنطقة، واقامة علاقات ودية تقوم على اساس تشجيع التعاملات التجارية، ولذلك منح بلودن صلاحية التوقيع على مسودة معاهدة صداقة وتجارة مع الرأس علي حاكم غوندار، على ان تحدد نسبة ضريبة استيراد البضائع بمقدار ٥%، في مقابل تعهد الحكومة البريطانية بمحاولة تأمين الطرق الساحلية وابقاءها مفتوحة^(٢).

ويتبين مما سبق ان تعليمات بالمرستون كانت صريحة في ان تكون مهمة بلودن قنصل بريطانيا في مصوع، استخدام مصوع قاعدة تجارية للتوجه نحو فتح اسواق اثيوبيا امام البضائع البريطانية، للحيلولة دون قيام اية محاولة مصرية قد تعرقل اقامة علاقات تجارية مع اثيوبيا، بحكم سيطرتها على ميناء مصوع، الذي يعد من اهم المنافذ الرئيسة التي تسيطر على تجارة اثيوبيا، ومما يؤكد ان مهمة بلودن كانت تجارية في المقام الاول، هو تصريح بالمرستون شخصياً عن هذا الموضوع في ٣٠ آب ١٨٤٨، عندما قال:

"لست ارى أي فائدة في امتلاكنا للأراضي في تلك المناطق،
فكل ما نحتاجه هو التجارة، والأرض ليست ضرورية للتجارة
...وان امتلاك الأرض يتطلب بناء المنشآت العسكرية والمدنية
ومصاريف ومسؤوليات، والبحر الأحمر ليس بالمكان الجيد
لإنشاء مستعمرة من قبل الحكومة"^(٣).

وعندما وصل بلودن الى مصوع ليتولى ممارسة مهامه القنصلية في ٥ آب ١٨٤٨^(٤)، لم يكن لمهمته أي اثر مهم في تلك المرحلة، فقد تركت الحكومة

(1) Marston, op.cit, p.180 ; Pankhursts, Travellers in Ethiopia, p. 103.

(2) Rubenson, The Survival, p. 162 ; Marston, op.cit, p. 186.

(3) Marston, op.cit, p.179.

(4) F.O.881/2432 Memorandum on Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874, p. 31 ; Jones and Monroe, op.cit, pp.129.

المصرية مشاريع التوسع في الساحل الأفريقي للبحر الأحمر جانباً، بعد أن تولى الحكم عباس الأول (١٨٤٨-١٨٥٤)^(١)، الذي استقر رأيه على إعادة إدارة مصوع وسواكن إلى الدولة العثمانية، لأن الامكانيات المصرية لم تعد بالمستوى الذي كانت عليه سابقاً، وباتت في أشد الحاجة إلى استعادة نشاطها بعد نزاعها مع الدولة العثمانية، وهي لا تستطيع أن تتحمل أعباء وتكاليف إدارية وسياسية إضافية في مناطق بعيدة عن مركز الحكم المصري في القاهرة والخرطوم، فضلاً عن أن بقاء هذين المينائين بحوزة مصر قد يسبب احتكاكاً مع الدول الأجنبية^(٢)، ولذلك تخلت حكومة عباس الأول عن إدارة سواكن ومصوع في أوائل عام ١٨٤٩، وأعادت في حزيران من السنة نفسها إدارة هذين المينائين إلى الدولة العثمانية^(٣).

ولذلك بدا قرار بريطانيا بتأسيس قنصلية في مصوع، بمثابة مناورة استدرجتها المبادرة العثمانية لتثبيت دعائم السيادة العثمانية. كما لم يظهر أي احتكاك بين مصر والدول الأوروبية ولا سيما بريطانيا وفرنسا كما توقع عباس الأول، وكان من أسباب انسحابه من المنطقة، لانهما قد أيدتا حقوق السيادة العثمانية على سواكن ومصوع. أما بالنسبة لموقع كرابف كقنصل لبريطانيا في مصوع، فكان كما يصفه قائلاً: "إنني قنصل أسماً فقط، لا أتمتع بأية سلطات قنصلية، ولا أقوم بأي نشاط تجاري خارجي، ولم يكن لي أية مصالح تجارية، كما أنه لم يوجد في الحبشة رعايا بريطانيين أقوم بحمايتهم"^(٤).

ولا أقوم بأي نشاط تجاري خارجي، ولم يكن لي أية
مصالح تجارية، كما أنه لم يوجد في الحبشة رعايا
بريطانيين أقوم بحمايتهم"^(٤).

(١) عندما مرض محمد علي باشا تولى الحكم إبراهيم باشا في ١٨٤٨، وبعد وفاة إبراهيم باشا تولى الحكم عباس الأول في ١٠ تشرين الثاني ١٨٤٨، وكان محمد علي باشا مازال مصاباً بمرضه إلى أن توفي في ٢ آب ١٨٤٩ انظر:- الراجعي، عصر محمد علي، ص ص ٥١٦-٥١٧.

(٢) الجمل، شوقي عطا الله، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر ١٨٦٣-١٨٧٩، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٩، ص ٤.

(3) F.O.881/2432 Memorandum on Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874, p. 30.

(٤) نقلاً عن:-

Plowden, W, Travels in Abyssinia and The Calla Country, p. 469;

حراز، التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا...، ص ص ٧٠-٧١.

كان الصراع بين السلطة العثمانية المتمثلة بالنائب العام في مصوع وبين الحكام الأثيوبيين، ظاهرة ملازمة لتلك المنطقة. فقد حدث في كانون الثاني ١٨٤٩، أي قبل إعادة سواكن ومصوع إلى الدولة العثمانية، أن قرر أوبي حاكم تجري الامتناع عن دفع الأموال التي اعتاد أن يدفعها لنائب حرقيقو^(١). وفي كانون الأول ١٨٤٩، قاد ولداه عشرة آلاف مقاتل وسيطروا على سمهر ومنكولو Monkollo ثم عادوا إلى حباب ثم سلبا مدينة باري Barea وقرى الشاطئ الأخرى^(٢)، فاضطر سكان الإقليم إلى اللجوء إلى مصوع خوفاً من بطش أوبي، ولم يجد قائمقام مصوع مناصاً من الموافقة على دفع ١٢ ألف كرون^(٣).

استغل بلودن تلك الأحداث وحاول أن يقوم بنشاط سياسي في مصوع وأثيوبيا على الرغم من صلاحية مهامه القنصلية الشكلية، إذ أراد بلودن، وبدافع عدائه الشخصي للدولة العثمانية والإسلام، أضعاف حقوق السيادة العثمانية على الساحل من مصوع إلى حرقيقو، وبتحسين الفرص لتعميق الخلافات على الساحل، حين قام بتشجيع أوبي على كتابة رسالة إلى الملكة فكتوريا في ٣ آذار ١٨٤٩، يطلب فيها دعم بريطانيا لتأييد وجوده في الساحل الارتيري^(٤)، لأن الأثيوبيين - كما يذكر - كانوا يمتلكون ساحل البحر الأحمر الأفريقي بما فيه مصوع، وبسبب انشغال الحكام الأثيوبيين بالنزاع فيما بينهم، استولى العثمانيون على الساحل في العصور الحديثة. ولهذا فإنه يطلب صداقة ومساعدة الملكة فكتوريا التي وصفها بأنها: - "ملكة مسيحية وصديقة للمسيحيين، ويلتمس منها ألا

تسمح لقوات المسلمين بتخريب واحتلال ممتلكاته، فضلاً عن ذلك، يذكر أوبي أنه موافق على بقاء العثمانيين في مصوع، بشرط ألا تمتد سيطرتهم على الإقليم الساحلي الذي عين فيه نائباً عنه"^(٥).

(1) Rubenson, The Survival, p. 239.

(2) Abir, Ethiopia: The Era of The Princes..., p. 135.

(٣) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٤٨.

(4) Abir, Ethiopia: The Era of The Princes..., p. 138 ; Hamilton, op.cit, p. 19.

(5) Marston, op.cit, p. 184 ;

وقبل ان يصل رفض الحكومة البريطانية لمقترحات أوبي في آذار ١٨٥٠، عادت ادارة سواكن ومصوع الى الدولة العثمانية في حزيران ١٨٤٩، وغادرت القوات المصرية هذين المينائين، وأرسل والي جده قوات عثمانية حلت محلها. وقد اعرب بلودن إزاء ذلك عن أمله بان تعلن حكومته ان احتلال العثمانيين لمصوع يجب أن لا يمنحها حق السيادة على الساحل^(١)، وان تتوجه للتدخل الى جانب أوبي في نزاعه مع العثمانيين، او بسط النفوذ البريطاني في المنطقة. لكن الحكومة البريطانية رفضت الموافقة على خطط بلودن، لكونها لا تتسجم مع الموقف البريطاني الذي كان في اواخر الاربعينيات واولئل الخمسينيات من القرن التاسع عشر، يؤكد على الاعتراف بمسالة السيادة العثمانية على ساحل البحر الاحمر الغربي، ولهذا أجاب بالمرستون على رسالة اوبي في اذار ١٨٥٠ قائلاً: "انه ليس من الحكمة التدخل وقتذاك في هذه المسألة، لان السلطان العثماني كان صديقاً للملكة فكتوريا"^(٢)، مما يدل على أن موقف بريطانيا تجاه أوبي مع الدولة العثمانية، كان يستلزم الصمت انطلاقاً من موقفها المؤيد لمسألة السيادة العثمانية على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر حينذاك، وغياب شرعية حق أي حاكم من الحكام الاثيوبيين على اثيوبيا.

ولم تكن رؤوس اثيوبيا بعيدة عن حقيقة التنافس البريطاني-الفرنسي على اثيوبيا، او غير مدركين لاهمية استدراج أي طرف منهما لجانبه، لتثبيت دعائم حكمهم في البلاد، فقد توجه اوبي، وبعد رفض الحكومة البريطانية التدخل لصالحه ضد الدولة العثمانية، الى الحكومة الفرنسية لتأييد حقوقه على الساحل، إذ ابرم معاهدة مع رولاند Roland قنصل فرنسا في مصوع في تشرين الاول ١٨٤٩، تعهد فيها بان يسمح لفرنسا دون غيرها من الدول الاوربية ان تفرض حمايتها على موانئ ساحل البحر الاحمر الغربي، التي يقع عليها اختيارها، في

لجام، محمد سعيد حامد، الصراع الدولي على ارتيريا واحتلالها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٦٥-١٨٨٩، رسالة ماجستير غير منشوره قدمت الى كلية الاداب /جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ٤١.

(1)F.O.881/2432 Memorandum on Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874 , p.30.

(2)Marston, op.cit, p. 184.

حين وافق رولاند على ان تبذل الحكومة الفرنسية جهودها لمساعدة اوبي حتى يحسم نزاعه القائم مع الدولة العثمانية حول الساحل^(١).

ولكن الحكومة الفرنسية رفضت التدخل في النزاع بين اوبي والدولة العثمانية، ورفضت التصديق على المعاهدة في ايار ١٨٥٠، لسببين اولهما: أن الدولة العثمانية لن توافق على التخلي عن ممتلكاتها في تلك المنطقة من الساحل الافريقي اوبيعها للآخرين، وثانياً: أن الحكومة الفرنسية سبق ان رفضت في عامي ١٨٤٠ و ١٨٤٥ الاعتراف لأوبي بحق التصرف في منطقة تخضع لسيادة الدولة العثمانية^(٢). ومع ذلك فما إن علم بلودن بإلغاء هذه المعاهدة حتى عقد معاهدة في ٢ تشرين الثاني مع الرأس علي، أكدت على تشجيع العلاقات التجارية بين الطرفين^(٣).

وعليه فأن موقف الحكومتين البريطانية والفرنسية في العقد الرابع والخامس من القرن التاسع عشر، يتمثل بعدم منازعة حقوق السيادة العثمانية على الساحل الافريقي للبحر الاحمر. كما وجدنا في الوقت نفسه، انه إذا ما تنازلت الدولة العثمانية عن جزء من الساحل للاحكام الاثيوبيين، فأن بوسع الآخرين، مستندين الى هذا التنازل، السيطرة على الساحل كله، ولذلك وقفت الحكومتان البريطانية والفرنسية موقفاً معارضاً لطموحات أوبي، وعارضت مشاريعه التي خطط لها كل من القنصلين بلودن ورولاند.

ولكن الموقف الفرنسي لم يلبث أن تغير في العقد السادس من القرن التاسع عشر، عندما ظهر عامل آخر في ميدان المنازعات المحلية الاثيوبية، وهوما وجه الاهتمام الفرنسي مجدداً نحو اثيوبيا، باعتبارها احدى المحاور المهمة التي تدخل ضمن مسلسل البحث والتقصي عن منطقة في البحر الاحمر للسيطرة ومد النفوذ.

(1) Abir, Ethiopia: The Era of The Princes..., p. 122 ; Huggins and Jackson op.cit, p. 79.

(٣) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٤٩ ؛

Rubnson, The Survival, p. 141.

(3)F.O.881/2432 Memorandum on Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874, p.36.

فبعد أن تولى كاسا Kasa حكم غوندار، بعد قتله للرأس علي في العام ١٨٥٠^(١)، تمكن من السيطرة على اثيوبيا، وأعلن نفسه امبراطوراً باسم ثيودور الثاني Theoder II في ٧ شباط ١٨٥٥^(٢)، ظهر زعيم اثيوبي يدعى نيجوسي Negussie تمكن من طرد اريا Arya الذي عينه ثيودور حاكماً على تجري بعد هزيمة أوبي، وأعلن استقلاله في تجري، وبسبب تعذر وقوف نيجوسي أمام ثيودور بمفرده من دون مساعدة أجنبية طلب نيجوسي في حزيران ١٨٥٦، الدخول في حماية الامبراطور نابليون الثالث وعندما تباطأت الحكومة الفرنسية في إجابة طلبه، أرسل نيجوسي في العام ١٨٥٨ بعثة الى باريس بهدف تزويده بشحنة من الاسلحة وبعض القوات الفرنسية لمساعدته في حربه ضد ثيودور^(٣).

وجدت الحكومة الفرنسية ان هذه فرصة مناسبة للبحث عن مكان يصلح لتأسيس مستعمرة فرنسية على ساحل البحر الاحمر الغربي، خاصة وان الامبراطور نابليون الثالث قرر في ١٣ تشرين الأول ١٨٥٩ أن الوقت قد حان لكي تنفذ فرنسا سياستها التوسعية على السواحل الافريقية^(٤)، علماً ان الفرنسيين حاولوا في ذلك الحين وضع أقدامهم في ساحل البحر الاحمر الغربي، ولكنهم لما كانوا حلفاء للباب العالي فانهم لم يتمكنوا من منازعته حقوق السيادة على تلك المنطقة، ولذلك وجدوا في الوقت نفسه انه إذا تنازل لهم أحد الحكام الأثيوبيين عن

(١) تزوج كاسا ابنة الرأس علي حاكم غوندار، وتمكن بعد الغارات العديدة التي شنّها من هزيمة العديد من شيوخ قبائل الغالا، ثم قضى على والد زوجته وهو الرأس على في ١٨٥٠، ليصبح حاكماً لغوندار بعد ذلك. انظر:-

Trimingham, Islam in Ethiopia, op.cit, p. 117.

(٢) سمي كاسا نفسه ثيودور مؤملاً ان يحقق اسطورة اثيوبية تنبأت بأن ملك بهذا الاسم (ثيودور) سيتربع على عرش اثيوبيا يقضي على المسلمين ويدمر مكة ويغزو اورشليم، ثم يتبوأ عرش سليمان. انظر:-

Ullendorpf, Edward, The Ethiopians, an introduction to Country and people, London, Oxford university press, 1961, p. 85.

(3) Abir, Ethiopia: The Era of The Princes..., p.128.

(٤) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ٥٩.

جزء من الساحل فانهم يستطيعون عندها وضع أيديهم عليه، مستندين الى هذا التنازل، الذي لا تستطيع الحكومة العثمانية، من وجهة نظرهم، إن تعارضه^(١).

كلفت الحكومة الفرنسية الكابتن ستانيسلاس رسل Stanislas Russell باستكشاف الساحل بين مصوع وقبة الخراب وجمع المعلومات اللازمة عن أوضاع المنطقة التجارية والسياسية، وخاصة منطقة خليج زولا وجزيرة دسي Disse وميناء عيد وأراضي رأس علي وعوينو. كما منحتة صلاحية التوقيع على المعاهدات وأوصته بضرورة العمل بشكل سري حتى لا يثير انتباه البريطانيين^(٢). في ١٢ كانون الأول ١٨٥٩ وصل رسل الى مصوع. وفي ١٧ كانون الأول توجه نحو خليج زولا وجزيرة دسي التي تعد مفتاح هذا الخليج. وفي ٢٨ كانون الأول بعث بتقرير الى وزارة الجزائر والمستعمرات، بيّن فيه أهمية احتلال موقعي زولا ودسي لأهميتهما الجغرافية والعسكرية، اذ يمكن تحويل قمم الجبال المغطاة بالأشجار الى مراكز عسكرية. ثم توغل رسل الى داخل اثيوبيا باتجاه الجنوب الغربي لمقابلة نيجوسي في تجري في ٢٩ كانون الأول، ولكن الحرب الاهلية التي كانت على أشدها بين ثيودور ونيجوسي حالت دون تحقيق هدفه، وعندما تمكن ثيودور من دخول تجري في ١٨٦٠ اخفق رسل في مقابلة نيجوسي، فاضطر الى العودة الى مصوع^(٣). وفي مصوع وطبقاً لتعليمات حكومته، عقد رسل معاهدة مع الاب امننتو Emento وكيل نيجوسي في مصوع، تم الاتفاق فيها على تنازل نيجوسي لفرنسا عن المنطقة الواقعة بين سفح جبل جادام Gadam عبر سهل زولا الى الساحل اضافة الى جزيرتي عودا ودسي، مقابل صداقة فرنسا لنيجوسي وتعهدا بإمداده بالأسلحة، ومع أن هذه المعاهدة منحت فرنسا حقوقاً من

(١) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا...، ص ص ٨١-٨٢؛ المشايخي، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(2) F.O.881/2432 Memorandum North brook and others to Marquis, 5th March 1875, p.40.

(3) F.O.881/2432 Memorandum on Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874, pp.39-40.

دون ان تكلفها اية نفقات، الا انها كانت حبر على ورق، اذ ما لبثت ان القت قوات ثيودور القبض على نجوسي واسرته في حزيران ١٨٦٠^(١).

ترتب على هذا النشاط الذي أبداه الفرنسيون في الساحل الارتيري، ان ساورت الشكوك السلطات البريطانية في عدن تجاه طبيعة ذلك التحرك الفرنسي، فقام وليم كوجلان وبرفقة بادجر Badger بجولة تفتيشية في ١٦ كانون الاول ١٨٦٠ للمناطق التي زارها رسل وهي: جزيرة بريم ومينائي مصوع وزولا وجزيرة دسي، وقد أكد كوجلان على أهمية جزيرة دسي الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا، وأنها افضل مكان لاقامة الأوربيين، ومحطة بحرية تسيطر على خليج انسلي، وهو ميناء يقع على مسيرة نصف يوم من مصوع، ولذلك اقترح كوجلان أن يقوم أحد الرعايا البريطانيين بشرائها بحجة إنشاء محطة تلغرافية فيها، ومن ثم يقوم هذا الشخص بنقل ملكية الجزيرة الى التاج البريطاني، لا سيما وان الفرنسيين لم يحددوا زولا أو دسي لكي تكون محطة بحرية لهم^(٢). كما أعرب كوجلان عن أمله في أن تولي الحكومة البريطانية قدراً كبيراً من العناية للتوجهات الفرنسية في المنطقة، لان المسألة وبدون شك ستلقي بظلالها على خط المواصلات البحرية البريطانية مع الهند^(٣).

وطبقاً لذلك تسلم اللورد كاولي، السفير البريطاني في باريس، في كانون الأول ١٨٦٠، تعليمات من حكومته بشأن التحقيق من نوايا فرنسا في اثيوبيا والساحل الغربي للبحر الاحمر، فاتصل بتوفينيل، وزير الخارجية الفرنسي، الذي ولد لديه انطباعاً بأنه ليس للحكومة الفرنسية اية سياسة واضحة في هذه المناطق، سوى رغبتها في حماية المذهب الكاثوليكي^(٤).

وعموماً فان الموقف الدولي حينذاك لم يكن يسمح القيام بأي عمل توسعي للحصول على جزء من الساحل الارتيري أو التصديق على معاهدة رسل، بسبب

(1) Abir, Ethiopia: The Era of The Princes..., p. 124 ;

يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ص ٣٢-٣٣.

(2) F.O.881/2432 Memorandum on Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874, pp.41-42.

(3) Ibid, P.43.

(4) Ibid , p. 44.

مشاريع ثيودور التوسعية في المنطقة، ووضع فرنسا الذي لم يكن يسمح بأي خطأ في علاقاتها مع بريطانيا، وقد ورد ذلك صراحة في خطاب كان قد كتبه توفينيل الى الامبراطور نابليون الثالث في ٩ نيسان ١٨٦٠ قائلاً:-

"إننا لا نستطيع أن نقبل في ظل هذه الظروف الدقيقة الحالية مع ما فيها من الحرب الإيطالية وعودة نيسي وسافوي الى فرنسا، المقترحات التي عرضت علينا وان ننفذها دون ان نتوقع اثاره مصاعب خطيرة من جانب إنكلترا"^(١).

تزامن النشاط البريطاني - الفرنسي على الساحل الارتيري في مطلع العقد السابع من القرن التاسع عشر، مع ظهور **تطورين مهمين** في منطقتي البحر الاحمر والقرن الأفريقي، **الاول**، ويتمثل بتولي الخديوي اسماعيل حكم مصر (١٨٦٣-١٨٧٩)، وما حمل من توجهات توسعية في منطقة القرن الأفريقي في ظل السيادة العثمانية، **والثاني**، يتميز بظهور دولة اثيوبيا الموحدة في ظل الامبراطور ثيودور الثاني الذي أرسى بدوره أسس التوسع الاثيوبي تجاه ارتيريا ومناطق أخرى من الساحل الغربي للبحر الاحمر، وقد جاءت هذه الأحداث في ظل اقتراب موعد افتتاح قناة السويس، وما ستحمله من تحولات مهمة في شؤون الملاحة الدولية بين الشرق والغرب، وتزايد التنافس الاوربي في منطقة البحر الاحمر، وما يحيط بها، لا سيما عند مضيق باب المندب.

وقد حتمت تلك التطورات على الدولة العثمانية اتخاذ خطوة ايجابية للحد من التأثير الاجنبي في الساحل الأفريقي للبحر الاحمر، ولتدعيم السيادة العثمانية عليه، ووجدت في طلب حكومة اسماعيل لدى الباب العالي للتنازل عن مصوع وسواكن الوسيلة المناسبة للحفاظ على الممتلكات العثمانية في وجه الاطماع الاجنبية. فأصدر الباب العالي فرماناً منح بموجبه باشا مصر قائممقاميتي مصوع وسواكن وملحقاتهما في ايار ١٨٦٥، وكانت ملحقات سواكن ومصوع تمتد من رأس علبه شمالاً الى رهيطه جنوباً عند مضيق باب المندب، فأصبحت مصر في موقف قوي

(١) نقلاً عن:- طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، ص ٢٣٧ .

في منطقة البحر الاحمر وخليج عدن منذ العام ١٨٦٥^(١). وفي اذار ١٨٦٦ قامت الحكومة المصرية بشراء عيد، وتقع على بعد ١٦٠ ميلاً جنوبي مصوع، من شركة باستري اخوان الفرنسية^(٢). وفي ٢٧ آذار ١٨٦٦ أصدر الباب العالي فرماناً سلطانياً نص على منح اسماعيل حكومة وراثية في مصر وفي جميع الملحقات التابعة لقائمقاميتي سواكن ومصوع، ليمتد حكم الخديوي اسماعيل على طول ساحل البحر الغربي. وقد تزامنت هذه السياسة العثمانية-المصرية مع مرحلة ازداد فيها الاهتمام البريطاني بمنطقة القرن الأفريقي لدعم نفوذه فيها، كجزء من السياسة البريطانية الرامية الى تهيئة الموقف في المنطقة قبل افتتاح قناة السويس ولمصلحة بريطانيا، ولذلك شهدت منطقة القرن الأفريقي تغييراً جذرياً في تعامل بريطانيا التقليدي مع المنطقة من خلال استخدام القوة العسكرية ضد اثيوبيا في العام ١٨٦٨.

الحملة البريطانية على اثيوبيا ١٨٦٧-١٨٦٨

يرى الباحثون المتخصصون في الشؤون الاثيوبية، أن ثيودور كان بمثابة المؤسس لدولة اثيوبيا الحديثة، ويعد عهده بداية للتاريخ الاثيوبي الحديث، ولا سيما ان حكمه الذي دام بين عامي ١٨٥٥-١٨٦٨ قد شهد أول محاولة لاعادة توحيد البلاد تحت سلطة مركزية وقوية، بعد مرحلة من الحروب الاهلية والفوضى التي بدأت منذ ١٧٦٩، وتهدف الى وضع أسس الاصلاحات في جوانب الحياة الاثيوبية. اذ وجه ثيودور اهتماماته على صعيد السياسة الداخلية نحو تحقيق ثلاثة

(١) الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر، ص ص ٤٢-٤٣ ؛ تركي، حامد صالح، ارتريا والتحديات المصرية، دراسة وثائقية في الشعب الارتيري وكفاحه المسلح، بيروت، ١٩٧٩، ط ٢، ص ١٢٣ ؛ جمعه، محمد لطفي، بين الاسد الافريقي والنمر الايطالي، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٣٥، ص ١٩.

(٢) اشترت شركة باستري اخوان قرية عيد من قبيلة دانكالي في تموز ١٨٥٧ بـ ٢٥٠ الف فرنك. انظر :-

أهداف رئيسية، وهي القضاء على قوة الاقطاعيين، وقبائل الغالا المسلمة والوثنية، أو حملها على اعتناق المسيحية، وطردها كل المسلمين الذين لم يعتنقوا المسيحية^(١). أما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، فقد اشتمل برنامجه السياسي على توسيع حدود اثيوبيا لتشمل مصوع وبوغوص والخرطوم^(٢). وبذلك وضع ثيودور اسس السياسة التوسعية الاثيوبية، التي اتخذت من التعصب الديني منهجاً لتنفيذ مشاريعها. وتنفيذاً لذلك، أكد ثيودور ضرورة فتح الاتصالات مع الدول الأوروبية، والاستفادة من الخبرة الأجنبية في تأسيس نظام إداري وعسكري متطور، يتولى مهمة تنفيذ اصلاح شؤون البلاد، لأنه وكمجدد رأى أن بقاء أية قيادة سياسية ناجحة، يجب أن لا تعتمد على ولاء الجيش فحسب بل على الاسلحة والتقنية الحديثة ايضاً^(٣).

كانت وزارة الخارجية البريطانية وبعد وفاة بلودن في العام ١٨٦٠^(٤)، قد عينت دنكن كاميرون Duncan Cameron خلفاً له، الذي وصل الى مصوع في شباط ١٨٦٢. حاملاً رسالة من الملكة فكتوريا الى ثيودور تثنياً لعطفه على بلودن^(٥). وفي ٧ تشرين الاول ١٨٦٢ التقى كاميرون بثيودور في غوندار، الذي كان يتوق الى كسب ود بريطانيا الى جانبه، ضد ما اسماه "باعتداءات الاتراك والمصريين" على بلاده، فبعث برسالة الى الملكة فكتوريا في ٣١ تشرين الأول ١٨٦٢، استهلها بقوله: "إن آباءنا الاباطرة بنسبائهم للخالق، اعطوا مملكتهم للغالا والاتراك...وان الاتراك الذين يسيطرون على شواطئ البحر يمنعونني من إيفاد

(1) Jones and Monroe, op.cit, p. 131 ; Ullendorpf, op.cit, p. 86 ; Huggins and Jackson, op.cit, p. 78 ; Luther, op.cit, p. 15.

(2) Green Field, Richard, Ethiopia Anew Political history, London, Pall Mall, 1965, p. 79 ; Markais, John, Ethiopia Anatomy Of AtRaditional Polity, Oxford, Clarendon, 1974, p. 67.

(3) Keller, op.cit, p.25 ; Santos, Reis, An Ethiopian Icon, African Affairs Journal, The Royal African Society, Vol. 62, No.25, Great Britian, 1962, p. 120.

(٤) عند قيام ثورة تجري على حكم ثيودور في العام ١٨٥٩، جرح بلودن على اثره نقل الى إنكلترا، ولكنه مات في الطريق، فقرر ثيودور معاقبة المعتدين، لاطهار مشاعره تجاه بريطانيا، فتوجه نحو موقع الحادث على رأس قوة كبيرة، وقتل نحو (٢٠٠٠) شخص من تجري. أنظر:-

Pankhurst, Travellers in Ethiopia, p. 104.

(5) Jones and Monroe, op.cit, p. 131.

سفارة الى جلالتم عندما اكون في شدة"، وأعرب عن خوفه أن هو أرسل وفداً يحمل هدايا تعبر عن محبته للملكة، ولذلك فهو يرجو أن تتكفل الملكة بسلامة رسله في جميع مراحل الطريق. كما أبدى رغبته في أن يتلقى رداً على كتابه هذا، الذي اختتمه بقوله: "انظري كيف يجور المسلمون على المسيحيين"^(١)، محاولاً توظيف الدين للتحالف ضد جيرانه من المسلمين. ولم يكن من المنتظر ان تعير الحكومة البريطانية رسالة ثيودور التي وصلت أليها في ١٢ شباط ١٨٦٣ أدنى اهتمام، لأنها كانت في تحالف مع الدولة العثمانية ضد روسيا، ولهذا أهملت الرد عليه^(٢).

استمرت اتصالات ثيودور مع الدول الأوروبية الكبرى، محاولاً أن ينظم حكمه وبشكل متساو مع هذه الدول^(٣)، إذ أرسل الى الحكومة الفرنسية مع مبعوث خاص وهو باردل Bardel رسالة أعلن فيها عزمه على الدخول في علاقات مع فرنسا، وبعدم اضطهاد المبشرين الكاثوليك، إذا ما أيدته الحكومة الفرنسية عند إعلانه الحرب على مصر، ولكن وزير الخارجية الفرنسي كتب رسالة في ٢٤ آذار ١٨٦٣ بأسم الامبراطور نابليون الثالث الى ثيودور، ناصحاً له أن يكبح جماح نواياه التوسعية في ساحل البحر الاحمر الغربي قائلاً: "قبل أن تغامر في حرب ضد دولة مجاورة، يجب أن تقدر قوتها، وان تحرص على ألا تعرض المكاسب التي أحرزتها من قبل للخطر"^(٤).

أغضبت إجابة وزير الخارجية الفرنسي ثيودور، الذي اخذ يطعن في صحتها بحجة انها لم تكن مختومة بخاتم الامبراطور نابليون الثالث. وفي اجتماع عام وبحضور القنصل الفرنسي ليجيان Lejean، أعلن ثيودور ان نابليون الثالث لم يحترمه لأنه لم يرد على رسالته بنفسه، واخذ يلقي بالاتهامات الكثيرة ضد فرنسا،

(1) Green Field, op.cit, p. 79 ; Trimingham, Islam in Ehiopia, p. 119.

(2) Trimingham, Islam in Ehiopia, p. 119 ;

اباطه، عدن والسياسة البريطانية في عدن...، ص ٣٥٨ .

(٣) وكان ثيودور قد بعث رسالة الى روسيا أيضاً انظر:-

Rubenson, The Survival, p. 163.

(٤) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٦٩ ؛

Jones and Monroe, op.cit, p. 132.

ودافع ليجيان بقدر الامكان عن هذه الاتهامات، وهو ما اثار غضب ثيودور وأمر بطرد ليجيان من الاجتماع فوراً^(١). ولم يشمل غضب ثيودور من انصراف الدول الاوربية عن تأييد مخططاته التوسعية في منطقة البحر الاحمر ليجيان فحسب، بل شمل كامبيرون ايضاً، وكان بصورة أشد وأعنف، اذ عندما علم ثيودور ان الحكومة البريطانية اهتمت الرد على رسالته، اخذ يشك بنوايا بريطانيا تجاه اثيوبيا، خاصة بعد زيارة كامبيرون الى شرق السودان في مطلع العام ١٨٦٣، لدراسة امكانية اقامة مشروع لزراعة القطن في هذه المنطقة^(٢). فعد ثيودور هذه الزيارة بمثابة تواطؤ مع العثمانيين والمصريين لتجهيز حملة على اثيوبيا^(٣).

وعند عودة كامبيرون الى اثيوبيا في كانون الاول ١٨٦٣، فوجئ بغضب ثيودور على المبشرين البريطانيين من اتباع جمعية لندن التبشيرية London Missionary Society، الذين ألقى بهم في السجن، بعد أن وقع في يده كتاب ألفه المبشر شتيرن Stern، احد اعضاء الجمعية، الذي اشار فيه الى سوء حكمه، واهانة لاسرة ثيودور، لكون والدته كانت تباع نبات اليقطين في الطريق^(٤). ولهذا لم يلبث ثيودور في ٣ كانون الثاني ١٨٦٤ ان القى القبض على كامبيرون ايضاً وزجه في السجن مع المبشرين البريطانيين بتهمة التآمر مع المصريين ضد اثيوبيا^(٥).

وصلت اخبار سجن كامبيرون والرعايا البريطانيين الى عدن في نيسان ١٨٦٤، فقام وليم ميرودز William Merewether المقيم السياسي في عدن (١٨٦٣-١٨٦٧) باتصالات عاجلة مع لندن، شارحاً لها الوضع في اثيوبيا،

(١) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ص ٦٩-٧٠؛

Green Field, op.cit, p. 79.

(٢) عند قيام الحرب الاهلية الامريكية ١٨٦١-١٨٦٥، توقف تصدير القطن من الولايات المتحدة الى بريطانيا، فارتفع سعر هذا المحصول الى اربعة اضعاف سعره الاعتيادي. انظر:- العارف، من مأرب الى اكسوم، ص ١٦١.

(3)Ullendorpf, op.cit, p. 87 ;

غيث، فتحي، الاسلام والحشة عبر التاريخ، القاهرة، د.ت، ص ١٩٢.

(4)Trimingham, Islam in Ethiopia, p. 118.

(5) Marston, op.cit, p. 184 ; Ullendorpf, op.cit, p. 87.

فاتبعت حكومة بالمرستون (١٨٥٩-١٨٦٥)^(١) الوسائل الدبلوماسية لاطلاق سراح كامبيرون والمبشرين، التي ارتأت إفاد مبعوث خاص باسم الملكة فكتوريا الى اثيوبيا للتفاوض بهذا الشأن وكان الاتجاه السائد في الحكومة البريطانية هو ان يكون هذا المبعوث من المتسمين بالشخصية الشرقية، ليكون قادراً على تفهم شخصية ثيودور فوق الاختيار على هرمز رسام^(٢) الذي كان يعمل في مكتب وليم ميروذر المقيم السياسي البريطاني في عدن، وهو من اصل عراقي.

وصل هرمز رسام برفقة الطبيب هنري بلانك Henry Blanc والملازم بريديو Prideau الى مصوع في ٤ تموز ١٨٦٤، وتبادل من هناك الرسائل مع ثيودور لمدة عام واحد، ابتداءً من تموز ١٨٦٤ الى آب ١٨٦٥، قبل ان يسمح لبعثة رسام بالدخول الى اثيوبيا عن طريق السودان (كرن-كسلا-القلابات)^(٣). وصل هرمز رسام الى معسكر ثيودور في داموت Damot جنوب غربي تانا في كانون الثاني ١٨٦٦، واستقبله ثيودور استقبلاً حسناً، وامر باطلاق سراح المعتقلين الذين كان قد نقلهم الى ماكدلا وتسليمهم الى هرمز رسام في نيسان ١٨٦٦، ولكن عندما تأهب هرمز رسام لمغادرة اثيوبيا مع المعتقلين غير ثيودور رأيه ورفض التصريح لهم بمغادرة اثيوبيا^(٤)، وقام بإيفاد المبشر الالمانى فلاد Flad الى لندن في ايار ١٨٦٦ ليحمل رسالة الى الملكة فكتوريا يطلب فيها ان ترسل اليه الحكومة البريطانية بعض الآلات والعمال^(٥). وقد تداولت حكومة اللورد دربي (٢٨ حزيران ١٨٦٦-٢٥ شباط ١٨٦٨) التي تابعت تبني الاسلوب الدبلوماسي تجاه قضية المعتقلين البريطانيين في اثيوبيا، مع المبشر فلاد موضوع الحوادث الجارية على ضفاف بحيرة تانا وحول مطالب ثيودور، غير ان ثمة انباء وصلت الى لندن

(١) ولمعرفة رؤساء الحكومات البريطانية في البحث. انظر ملحق رقم (١).

(٢) ولد في مدينة الموصل، وعمل مع المستر لايارد Layard خبير الآثار في الموصل لمدة من الزمن، ثم توجه الى جامعة اكسفورد للدراسة، وقبل ان يحصل على الجنسية البريطانية، عمل في ادارة ميروذر في عدن. انظر:-

العارف، ممتاز، الاحباش بين مارب واكسوم، ص ١٧١ .

(3) Marston, op.cit, p. 301 ; Gavin, op.cit, p. 97.

(4) Keller, op.cit, p. 25 ; Ullendorpf, op.cit, p. 87.

(5) Jones and Monroe, op.cit, p. 132.

في ايلول ١٨٦٦ تفيد بان ثيودور قد القى القبض على هرمز رسام وزميله والقي بهما في السجن في ماكديلا^(١)، وذلك لاعتقاده انه اذا ما اطلق سراح المعتقلين البريطانيين لن يبق من يستطيع المساومة عن طريقه مع الحكومة البريطانية، فامر بعودة المعتقلين الى السجن بتهمة مغادرة اثيوبيا بدون تسوية خلافاتهم معه^(٢).

ولذلك طلبت حكومة اللورد دربي من المبشر فلاد وفي مطلع تشرين الاول ١٨٦٦ العودة الى اثيوبيا، بعد ان زودته برسالة من الملكة فكتوريا الى ثيودور بتاريخ ٤ تشرين الاول ١٨٦٦، تطلب فيها اطلاق سراح هرمز رسام وكامبيرون وغيرهما من المعتقلين، ولفتت نظره الى ان:

**"السفراء والمندوبين لهم حقوق حصانة حسب العرف
الدبلوماسي بين الامم المتحضرة، لذلك نرجو المبادرة
باطلاق سراح المعتقلين لتثبت للعالم المتمدن مكانتك
بين ملوك العالم"**^(٣).

ويتضح من اسلوب الرسالة انها ارسلت الى زعيم افريقي "غير متمدن". الا ان ثيودور رفض الاستجابة لنداء الملكة فكتوريا. وهكذا فشلت المساعي الدبلوماسية البريطانية التي استمرت لمدة ثلاثة اعوام متتالية ١٨٦٤-١٨٦٥ - ١٨٦٦ في التوصل الى حل سلمي، بعد ان استنفذت الحكومة البريطانية جهودها للتفاهم مع ثيودور بالطرق الودية.

وبناء على ذلك استقر رأي حكومة اللورد دربي في ١٧ آب ١٨٦٧ على تجهيز حملة عسكرية لمعاقبة ثيودور واطلاق سراح المعتقلين، وكلفت وزارة الهند

(1) Ernest, op.cit, p. 17 ; Clapham, op.cit, p. 15.

(2) Keller, op.cit, p. 25.

(3)The Letter Of Queen Victoria Aselection From Her Majesty's Correspondence and Journal Between The Years 1862 and 1878, London, John Murray. Albemarle Street, 1926, Vol. II, p. 149.

ذلك بحكم قربها الجغرافي من اثيوبيا^(١)، وقبل أن يصدر القرار النهائي باعلان الحرب على اثيوبيا، اصدرت الحكومة البريطانية اوامرها الى حكومة بومباي للبحث عن الطرق التي تربط اثيوبيا بالبحر الاحمر، والتحري عن الاوضاع العامة في اثيوبيا. كما اعز ادوارد هنري ستانلي Edward Henry Stanley وزير الخارجية البريطاني (تموز ١٨٦٦ - كانون الاول ١٨٦٨) الى القنصل العام في الاسكندرية، بتقديم طلب الى الدولة العثمانية للسماح بمرور بعض القوات البريطانية عن طريق مصر، واستخدام ميناء مصوع، وقد وافقت الحكومة العثمانية على هذا الطلب^(٢).

قام ميروذر، تنفيذاً لتعليمات حكومة بومباي، بجولة في ساحل ارتيريا، زار خلالها مصوع وحفيلا للبحث عن المكان المناسب لنزول قوات الحملة البريطانية ووجد ان طريق حفيلا-عدوه، هو افضل الطرق للوصول الى ماكدالا Magdala عاصمة ثيودور في غوندار، ثم اصدر أوامره الى فيرنر منزجر Werner Munzinger السويسري الجنسية والقنصل البريطاني في مصوع، الذي شغل منصب كاميرون منذ عام ١٨٦٥، ليقوم بدراسة هذا الطريق الذي ستمر من خلاله الحملة^(٣). كما كانت مهمة عدن أن تستجمع جهودها لموضوع الحملة البريطانية على اثيوبيا، لتكون بمثابة قاعدة عسكرية متقدمة لشحن التجهيزات العسكرية الى الحملة لتضيف الى اهميتها كقاعدة تجارية وبحرية بعداً عسكرياً وسترategicاً ايضاً^(٤).

اما عن موقف مصر من اعلان الحكومة البريطانية الحرب على اثيوبيا، فقد أيد الخديوي اسماعيل القرار البريطاني رسمياً، عن طريق تقديم المساعدات

(١) تبلغ المسافة بين بومباي ومصوع حوالي ٢٠٦٥ ميل بحري، في حين تقدر المسافة بين انكلترا

ومصوع بـ ١٠٠٠٠ ميل. انظر:-

Marston , op.cit, pp. 340-341.

(2)Ibid, p. 340 ; Rubenson, The Survival, p. 179.

(3)Rubenson, The Survival, p. 254.

(4)Marston , op.cit, p. 369.

الممكنة لقوات الحملة، عندما وافقت حكومة الخديوي اسماعيل على تأجير بواخر الشركة العزيرية^(١) لنقل قوات الحملة من الاسكندرية الى السويس، وابتدت استعدادها لمساعدة سفن الاسطول المصري في البحر الاحمر لنقل الجنود ومعداتهم من السويس الى ميناء زولا جنوب مصوع. كما ارسلت الحكومة المصرية الى حاكم السودان وحاكم مصوع تعليمات مشددة في ايلول ١٨٦٧، تقضي بضرورة تقديم كافة التسهيلات للبريطانيين، واتخاذ الحيطة والحذر لحماية الجنود والمعدات البريطانية من اعتداءات البدو^(٢). وبذلك هيأت الحكومة المصرية الاجراءات والظروف المناسبة لقوات الحملة البريطانية في حالة نزولها في ميناء زولا، لتأمين البعد السوقي للحملة، وعلى الصعيدين الامني والتمويني، وكان الخديوي اسماعيل يتوخى من ذلك، تلقين ثيودور وقواته درساً قاسياً، للأخلال بخطته التوسعية في المنطقة، والرامية الى توسيع حدود بلاده على حساب ارتيريا والسودان وصولاً الى البحر الاحمر، لتصبح مصر هي القوة الاقليمية القوية والوحيدة في منطقة البحر الاحمر.

في ٧ تشرين الاول ١٨٦٧، عرض الخديوي اسماعيل على الحكومة البريطانية ان يتوسط بينها وبين ثيودور كمحاولة اخيرة لحل الازمة بالطرق السلمية، فوافقت الحكومة البريطانية على هذا العرض، وبعث الخديوي اسماعيل رسالة الى ثيودور في ٢٢ تشرين الاول ١٨٦٧، يحذره فيها من قوة بريطانيا كدولة كبرى، وينصحه باطلاق سراح المعتقلين البريطانيين، لكي لا تكون اثيوبيا مستعمرة كالهند. كما اشار الخديوي اسماعيل انه في حالة عدم استجابته لنصيحته ستقطع علاقات الصداقة بين الطرفين^(٣). وهي اشارة لتبرير موقفه من مرور القوات البريطانية الى اثيوبيا عبر الاراضي المصرية، الا ان ثيودور رفض ذلك

(١) تأسست الشركة العزيرية في عهد اسماعيل باشا في العام ١٨٦٣ واختصت بالملاحة التجارية في البحرين الاحمر والمتوسط . انظر:- الجمل، سياسة مصر في البحر الاحمر، ص ١٤٣ .

(٣) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٧٤ ؛ اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٣٥٩ .

(4) Rubenson, The Survival, p. 258 ;

اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٣٦٣ .

(٤) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٧٤ ؛ اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٣٦٣ .

مجدداً^(٤)، وفشلت المساعي المصرية، كما فشلت من قبلها الجهود البريطانية السلمية لحل النزاع، فايقنت بريطانيا انه لا مفر من استخدام القوة لاطلاق سراح المعتقلين البريطانيين.

من جانب اخر، اتخذت الحكومة المصرية بعض الاستعدادات لحماية المصالح المصرية في الساحلين السوداني والارتيري، اذ ادت مخاوف مصر من فقدان شئ من حقوقها في المنطقة، بعد ظهور اشاعات عن قيام بريطانيا بالتخطيط لاحتلال اثيوبيا ومصر^(١)، الى ارسال تعزيزات عسكرية الى سواكن ومصوع، وتعيين عبد القادر باشا حاكماً على "سواحل افريقيا الشرقية" في تشرين الثاني ١٨٦٧^(٢). مما يدل على ان الحكومة المصرية قد اتبعت سياسة اكثر رصانة من السياسة التي تتبعها من قبل في المنطقة^(٣)، رغبة في تأكيد حقوقها على الساحل، وتوجيه اهتمامها للتوسع في القرن الافريقي.

كان هدف حكومة اسماعيل من تمويل الحملة البريطانية، هو اقامة تحالف سياسي وعسكري مع بريطانيا للاستفادة من التوسع الاقليمي في اثيوبيا بعد انسحاب القوات البريطانية منها، وقد جاء ذلك تاييداً مع ما فكر به بعض الساسة البريطانيين، الذين ارادوا أن تشترك القوات المصرية في الحملة البريطانية على اثيوبيا، على أن تكافئ بريطانيا الحكومة المصرية نظير هذه المساعدة، بإعطائها سلسلة الجبال التي تتكون منها الحدود الطبيعية بين السودان واثيوبيا، وكذلك نهر عطبره في الغرب^(٤)، غير ان سلطات عدن البريطانية رفضت حينذاك هذا المقترح. كما رأت حكومة الهند البريطانية ضرورة تجنب أي مظهر من مظاهر التحالف ضد اثيوبيا، لان ذلك وحسب اعتقادها سيشعل فتيل حرب صليبية في المنطقة، ويجعل من الصعب عقد صلح مع اثيوبيا، كما اعلنت الحكومة

(1) Marston , op.cit, p. 348.

(٢) فيفل، السيد علي، معالم تاريخ ارتريا حتى نهاية الاستعمار الايطالي، كتاب ارتريا دراسة مسحية شاملة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩٦، ص ٣٢.

(٣) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا...، ص ٧٤.

(4)Marston , op.cit, p. 357.

(5) Ibid, pp. 359-360; Rubenson, The Survival, p. 178.

البريطانية انه ليس لديها أي اهتمام باحتلال اثيوبيا أو مصر^(٥)، واعتبرت وجود القوات المصرية بالقرب من الحدود المصرية امراً يحول دون عقد الصلح مع اثيوبيا. ولذلك فقد طلبت من الحكومة المصرية ان تسحب بعض قواتها من سواكن ومصوع، وقد وافق الخديوي اسماعيل على ذلك في كانون الثاني ١٨٦٦، لاقتناعه وكما يبدو بتأكيدات الحكومة البريطانية وموقفها تجاه مصر، ولكي يثبت نواياه الطيبة تجاه الحكومة البريطانية، وموقف مصر من الحملة على اثيوبيا^(١).

كانت الاوضاع العامة في اثيوبيا في تلك الاثناء تزداد سوءاً، اذ أدت حركة الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والدينية، الى نتائج عكسية في البلاد، بسبب موقف زعماء الاقطاع ورجال الدين وقبائل الغالا المعارضة للاصلاحات. وفي ظل غياب السيطرة الفعلية لقوات ثيودور على الساحة الداخلية، لانشغاله بالحروب المتواصلة الرامية الى تحقيق وحدة البلاد السياسية والدينية، كان للقوى المحلية المعارضة لسياسة ثيودور وبحكم حجمها في المجتمع الاثيوبي دوراً بارزاً في اثارة حركة التمرد والعصيان في اجزاء مختلفة من البلاد^(٢)، والتي تعامل معها ثيودور بمنتهى الشدة والقسوة، حتى انتفت الفائدة المتوخاة من اصلاحاته، ومهد لصراع داخلي انقلب الى فوضى عامة ومذابح كبيرة في البلاد^(٣). وبلغ الاستياء من حكم ثيودور المركزي حداً ان ثلاثة من اهم الاقاليم رفضت الانصياع الى حكم ثيودور، فقد اعلن كاساي Kasai استقلاله تيجري عن حكم ثيودور، وسار في اثره كوباز Gobaze في جوجام الذي اعلن عصيانه على الحكومة المركزية، ولحق بهما منليك^(٤) Menlk في شوا^(٥). وهكذا فقد ثيودور التأييد الشعبي

(١) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٧٥؛ اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٢٦٤.

(2) Ullendorpf, Edward, op.cit, p. 86 ; Markakis, op.cit, p. 67.

(٣) يذكر ان ثيودور قد اصابته لوثات من الجنون، فقد جمع مرة (٧٠٠٠) شخص وامر بحرقهم جميعاً، وامر مرة اخرى باطلاق النار على (٤٥٠) قسيساً خرجوا لاستقباله، واحرق في احدى جولاته (١٧٠٠) من الفلاحين والعاملين. انظر:-

Budge, Wallis, A history of Ethiopia, London, 1928, P. 493.

(٤) للاطلاع على الاسرة الحاكمة في شوا ومن ثم في اثيوبيا في البحث. انظر : ملحق رقم (٢)

(5) Keller, op.cit, p. 27 ; Ethiopian history Modern Ethiopia, 1855 -2001.

والسيطرة على البلاد، ليتراجع حكم ثيودور الى غوندار، وتعود اثيوبيا الى حالة الفوضى والتجزئة.

أما فيما يتعلق بتفاصيل احتياجات ومستلزمات الحملة البريطانية التي كلف روبرت نابيير Robert Napier بقيادتها، فقد جاء ان العمليات العسكرية تستلزم تجنيد (١٤٦٨٣) جندياً، و(٣٦٠٥٠) من حيوانات النقل والركوب، و(٤٤) فيلاً من فيلة الهند المدربة لنقل المدافع الثقيلة. كما اشتملت الاستعدادات على تجهيز عشرة سفن لحمل الجنود والمعدات الحربية، وثلاث بواخر مخصصة للاسعافات الطبية فضلاً عن المدافع والبنادق والذخيرة الحربية^(١). ومثل هذه الاعداد والتجهيزات توضح بشكل لا لبس فيه الاستعدادات البريطانية لتأديب ثيودور وقواته، كما تعكس صورة اثيوبيا لدى بريطانيا بوعورة اراضيها وصعوبة التنقل فيها، وبعد العاصمة مكدولا عن ساحل البحر الاحمر.

نزلت في زولا جنوب مصوع اولى طلائع الحملة البريطانية في اذار ١٨٦٨، ومنها توجهت نحو المرتفعات حتى اختارت بلدة صنفه Senafe كقاعدة للتجمع قبل الهجوم على قاعدة مكدولا، ومن هذه القاعدة ارسل نابيير بياناً الى ثيودور، قال فيه: ((لقد امرتني جلالة ملكة بريطانيا ان اطلب اليك بان تطلق سراح السجناء المعتقلين، وان تضمن وصولهم سالمين الى المخيم البريطاني،... وان اقتحم بلادك على راس قوة عسكرية لتنفيذ ما طلبت اليك تنفيذه بحالة عدم استجابتك لطلبي... وانه ليس لملكتي أي رغبة في احتلال بلادك... وان تحاشي هذا الخطر ممكن اذا سلم جلالتك المسجونين في الحال، واما في حالة عدم تسليمهم لي سالمين او اذا استمرت معاملتهم بغير الحسنى، او اذا تعرضوا لاضرار فستحمل ج جلالتك شخصياً مسؤولية ذلك، وعندئذ سوف لا يبقى مجال للنظر في العفو عما حدث))^(٢).

(1) Rubenson, The Survival, p. 256 ; Mustoe, Q, Modern Ethiopia, African Affairs, The Royal African Society, Vol.61, No. 24, Great Britian, July 1962,p.218.

(2) Marston, op.cit, p. 359 ;

العارف، ارتيريا بين احتلاليين، ص ١١٢ .

وفي الوقت نفسه اذيع بيان اخر موجه من نابيير القائد العام الى الشعب يشرح فيه الاسباب التي دعت لتشكيل هذه الحملة، وتعهد البريطانيين بعدم وجود اية نية لاحتلال أي جزء من بلادهم. كما جاء في البيان وبصورة تبعت على الاطمئنان الالتزام بعدم المساس بحرياتهم الشخصية ومزاولة اعمالهم^(١). وبذلك ضمنت بريطانيا مساندة كاساي حاكم تيجري، الذي لم يكن على وئام مع ثيودور^(٢)، ومقاومة ضعيفة من الأثيوبيين. وتحت وطأة هذه الاحداث، كانت قوات ثيودور تعاني ضعفاً في التجهيزات العسكرية وخذلاناً من قبل قطاعات الشعب المختلفة، الذين كان يفترض انهم حلفاؤه لولا سوء تطبيق سياسة الاصلاحات في البلاد واستخدامه للقوة والبطش الكبيرين لاخلاد المعارضة.

في ١٠ نيسان ١٨٦٨ وقعت المعركة بين القوات البريطانية والاثيوبية في اروجي Arogee بالقرب من مكدولا، انتصرت فيها القوات البريطانية وبسهولة، بحكم عدم التكافؤ في التسليح، ثم توجه البريطانيون الى قلعة مكدولا حصن ثيودور ومعتقل الرعايا البريطانيين، فحطمت الفيلة بوابة الحصن، واخذ الجنود البريطانيون طريقهم لاطلاق سراح المعتقلين، وبعد وقت قليل من محاصرة القوات البريطانية القلعة، اطلق ثيودور رصاصة في فمه، لينهي حياته بشكل عنيف كما كانت احداث حياته. وبعد مرور عدة اسابيع من الحملة انسحبت القوات البريطانية من اثيوبيا، دون ان تشكل حكومة قوية موحده، اذ كان كاساي يحكم تيجري، بينما كان كوباز يحكم غوندار، وفي الوقت نفسه كانت شوا تحكم من قبل منليك.

وبذلك، جاءت خاتمة العلاقات البريطانية-الاثيوبية المبكرة بفصل دام، قضى على اول محاولة اثيوبية للتوسع نحو البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو حدث ذو مغزى مهم لدى الاثيوبيين والبريطانيين معاً، فبالنسبة لاثيوبيا ادركت ان التعامل بالورقة الدينية مع بريطانيا والدول الاوربية

(1) Rubenson, The Survival, p. 182.

(2) Ernest, op.cit, p. 16 ; Sauldie, Madan, Ethiopia Dawn of the Red Star, New York, Apt. Books. Inc, 1982, P. 9.

عموماً لم يعد يشكل المعيار الحقيقي للعلاقات الدولية الحديثة، كما هو كان الحال في عهد الحروب الصليبية، لتحقيق مصالح اثيوبيا الوطنية في المنطقة وعلى حساب المسلمين من العثمانيين والمصريين، كما ادرك الاثيوبيون ان حروب ثيودور المستمرة قد فشلت في تأسيس جيش وادارة مستقرة في البلاد، وهي التي افشلت طموح ثيودور بالوحدة الوطنية، وان اسلوب المغالاة والتطرف والقوة مع بريطانيا قد افقدا اثيوبيا وحدتها وملكها. في حين كانت نتائج الحملة البريطانية على اثيوبيا، وعلى الرغم من انسحاب قواتها من البلاد، هو امتداد نفوذها لاثيوبيا، ووضع اسس السياسة البريطانية الراضية لاية محاولة اقليمية او محلية للسيطرة على منطقة البحر الاحمر، لا سيما عند مضيق باب المندب.

التوسع المصري في الصومال وموقف بريطانيا منه ١٨٦٩-١٨٨٢

كان افتتاح قناة السويس في ١٧ تشرين الثاني ١٨٦٩ من أكثر الأحداث التي قررت مصير منطقة القرن الأفريقي، بقدر تعلق الأمر بامبريالية الدول الأوروبية، إذ إن هذا الممر المائي الذي يبلغ طوله مئة وميل واحد، جعل البحر الأحمر اقصر طريق بحري يربط بين الشرق والغرب، وجعل لندن أقرب من بومباي بأربعة آلاف وخمسمئة ميل^(١)؛ لذلك عمدت بريطانيا، التي كانت تقوم سياستها على أساس السيطرة على الطرق المؤدية إلى الهند والشرق الأقصى، وحمايتها عن طريق سلسلة من القواعد والمحطات الساحلية التي تركز عليها الأساطيل البريطانية إلى أبعاد أية قوة أوروبية قد تهدد الوجود والمصالح البريطانية في عدن وبريم، أو تلحق الضرر بطريق المواصلات الرئيس بين البحر الأحمر والهند.

إلا أن بريطانيا لم تكن وحدها في منطقة البحر الأحمر، بل كانت هناك دول أخرى منافسة لها، وأول هذه الدول هي فرنسا التي سبق أن حاولت منذ وصول حملة نابليون بونابرت إلى مصر في العام ١٧٩٨ قطع الطريق بين بريطانيا والهند، وتشعر بعد منح سعيد باشا امتياز حفر قناة السويس في العام ١٨٥٤ لـدي لسبس بأنه مشروع فرنسي، كما قامت بشراء ميناء أوبوك في العام ١٨٦٢ لكي تتمكن من اتخاذ قرار في المستقبل بشأن المنافسة البريطانية في عدن وبريم. وحاولت في العام ١٨٦٩ السيطرة على ميناء شيخ سعيد الواقع غربي عدن الذي يطل على مضيق باب المندب من جهة الشرق؛ لاقامة وكالة فرنسية ترعى المصالح الفرنسية في منطقة البحر الأحمر^(٢)، واحكام سيطرتها على ساحلي البحر الأحمر الشرقي والغربي، وعلى غرار القاعدة البريطانية في عدن.

(1) farnie,D, East and West of Suez, The Suez Canal in History 1854-1956, Oxford, Clarendon press, 1969, p. 29.

(٢) في كانون الثاني ١٨٦٩ قام الفرنسيان ماس (Mass) وبويلكس (Poilex) بشراء منطقة ميناء شيخ سعيد من الشيخ علي ثابت الحكمي مقابل (٨٠) ألف دولار، ثم قامت شركة فرنسية بإعلان شرائها لمنطقة شيخ سعيد من حاكمها المحلي. إلا أنها تبين فيما بعد أن الميناء غير ملائم

وأزاء هذا التنافس البريطاني-الفرنسي على المناطق الاستراتيجية في البحر الأحمر، وجدت الحكومة المصرية مع قرب افتتاح قناة السويس، أنه من الضروري ضمان السيطرة على ساحل البحر الأحمر الأفريقي، وكانت الدولة العثمانية تهيمن على ساحله الآسيوي، للتحكم بطرق الملاحة الدولية، وليكون خطوة لامتداد الدولة المصرية الى ما يسمّى بحدودها الطبيعية، وهي الخطة التي دأب الخديوي اسماعيل منذ توليه الحكم على تنفيذها، لتمتد حدود مصر من ساحل البحر المتوسط شمالاً الى خط الاستواء ومنابع النيل جنوباً، ومن سواحل البحر الأحمر شرقاً الى المحيط الهندي، ومنه الى وسط القارة الأفريقية الى البحيرات الاستوائية. وقد عرفت هذه الخطة بسياسة مصر الأفريقية^(١).

وكانت الخطوة الاولى لتحقيق سياسة الخديوي اسماعيل الأفريقية، هي السعي لدى الباب العالي، إلى إعادة ضم قائمقاميتي سواكن ومصوع، اللتين كانتا من ملحقات ولاية جدة^(٢)، الى الحكومة المصرية، وقد وافق الباب العالي على الطلب المصري، عندما قرر في ١١ آيار عام ١٨٦٥ منحهما لحكومة اسماعيل مع ملحقاتهما، مقابل دفع (١٧) الف جنيه سنوياً الى خزينة ولاية جدة^(٣)، والحقتهما الحكومة المصرية بحكمداية السودان^(٤). وفي ٢٧ آيار عام ١٨٦٦ أصدر الباب العالي فرماناً سلطانياً نصّ على منح اسماعيل حكومة وراثية في مصر وفي جميع

لاستقبال السفن مما ادى الى فشل المشروع. وفي كانون الاول عام ١٨٧١ غادر الفرنسيون الميناء بشكل نهائي. لمزيد من التفاصيل انظر:-

F.O.881/243, Memorandum On Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874,p.56 ; Marston, op.cit, pp.377-378.

(١) صبري، محمد، مصر في افريقيا الشرقية هرر وزيلع وبربرة، مصر، ١٩٣٩، ص ص ١٣-١٤؛ حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر، ص ١٣٨.

(٣) الايوبي، الياس، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا، من سنة ١٨٦٣ الى ١٨٧٩، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٣، المجلد الثاني، ص ٦٩؛

Talhami, Ghada, Ismail's Red Sea Policy, The Journal Of African history, Vol,22, Number,1, London, 1981, p.107.

(٤) الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر، ص ٤٤.

الملحقات والاراضي التابعة لها في قائمقاميتي سواكن ومصوع. وكانت ملحقات سواكن ومصوع تمتد على ساحل البحر الغربي من رأس علبة شمالاً الى رهيطه جنوباً عند مضيق باب المندب^(١)، فأصبحت حكومة الخديوي اسماعيل، بموجب فرماني عامي ١٨٦٥ و ١٨٦٦ تسيطر على ساحل البحر الاحمر الافريقي الى مضيق باب المندب، وتتمتع بسلطة وراثية على مصر وملحقاتها، وتمتلك قواعد انطلاق متقدمة وشرعية لتحقيق سياسة مصر الافريقية المقبلة.

تعد الحملة البريطانية على اثيوبيا ١٨٦٧/١٨٦٨ من أهم العوامل التي دفعت الحكومة المصرية لاتباع سياسة أكثر نشاطاً وفاعلية في ساحل البحر الاحمر الغربي، واستغلال الظروف المناسبة لتأكيد حقوق سيطرتها على المنطقة، والحد من أية مشاريع توسعية أجنبية للتدخل في شؤون الساحل، ولا سيما من قبل الامبراطور الاثيوبي ثيودور الثاني الذي تبنى مثل هذه المحاولات في الساحل الارتيري حينذاك حينما أرسلت الحكومة المصرية في تموز عام ١٨٦٧ جعفر مظهر باشا حكمدار السودان (١٨٦٦-١٨٧١) الى موانئ البحر الاحمر الافريقية^(٢)، لتفقد الاوضاع العامة، وتثبيت دعائم السيطرة المصرية، تحت التبعية العثمانية عليها. وبعد مروره بسواكن ومصوع اتجه الى باب المندب وزار بعض موانئ الساحل الارتيري كحنفيله، وعيد، وبيلول، ورهيطه، وخصص لشيوخها رواتب شهرية، ووزع عليهم الأعلام المصرية لرفعها على مراكزهم دليلاً على خضوعهم للحكم المصري^(٣). ثم قام بزيارة عدن، وأبحر منها الى ساحل الصومال الشرقي، حيث بقي خلال شهر آب عام ١٨٦٧ في بربرة، وبعد ذلك مر بزليع ثم بتاجوره، وكان يدعو في جولاته شيوخ القبائل الى الاعتراف بتبعيةهم

(١) جندي، جورج وتاجر، جاك، اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية، القاهرة، ١٩٤٧، ص ص

٤٠-٤١؛ الرافعي بك، عبد الرحمن، عصر اسماعيل، القاهرة، ١٩٤٨، ط ٢، ص ص ٧٦-٧٧.

(٢) صبري، محمد، الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٤٨، ص ٢٣؛ نعم شقير، المصدر السابق، ص ٥٥٤.

(٣) الرافعي، عصر اسماعيل، ص ١٥٠؛ حراز، ارتريا الحديثة...، ص ٧٦.

لمصر، كما قام بمصالحة القبائل المتخاصمة^(١). وبعد ان اكمل جولته التي توخت الحصول على اعتراف السكان بالإدارة المصرية وضمان تبعيتهم لها، عاد الى سنار مركز حكمدارية السودان، وقدم تقريراً الى الخديوي اسماعيل في ٨ تشرين الاول عام ١٨٦٧، إهتم فيه باظهار حقوق مصر التي لا تنافسها أية دولة على امتداد الساحل الغربي من السويس الى رأس غردافوي بجميع الجزر القريبة من سواكن ومصوع والسودان، ما عدا زيلع التي كانت تابعة للدولة العثمانية والممنوحة بطريقة الالتزام الى الشيخ ابي بكر شحيم شيخ زيلع^(٢). ويعد تقرير جعفر مظهر باشا من الاسانيد المهمة والوثائق الرسمية التي اعتمدت عليها الحكومة المصرية، لاثبات حقوق ملكية مصر في ظل التبعية العثمانية للساحل الصومالي المقابل لعدن، ضد ادعاءات القوى الاجنبية بالسيادة على تلك المنطقة، اذ فسر المصريون الفرمان السلطاني الصادر في ١٨٦٦، الذي منح حكومة اسماعيل جميع الملحقات والاراضي التابعة لسواكن ومصوع، أن مينائي بلهار وبربرة وتوابعهما يدخلان ضمن الامتياز الذي منحه الباب العالي للخديوي اسماعيل، وبالتالي فهما يقعان ضمن الممتلكات المصرية. فضلاً عن ذلك، اضافت الحكومة المصرية دليلاً رسمياً آخر لتمسكها بالمنطقة واثبات سيطرتها عليها، وهو طلب الحكومة البريطانية من الحكومتين العثمانية والمصرية السماح للقوات البريطانية بالمرور من ميناء زولا الى اثيوبيا في الحرب البريطانية-الاثيوبية ١٨٦٧/١٨٦٨.

وفي ضوء هذه الأدلة الشرعية، ازداد اهتمام السلطات المصرية بالساحل الصومالي المقابل لعدن لتوطيد السيطرة المصرية الى ما بعد مضيق باب المندب. ففي اوائل عام ١٨٧٠ صدرت الاوامر الى محمد جمالي قائد الاسطول المصري

(١) صبري، مصر في افريقيا الشرقية...، ص ١٥؛ طه، سمير محمد، مصر والصومال في البحر الاحمر، سمنار البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ص ٤٤٠.

(٢) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا...، ص ٨٩؛ يحيى، العلاقات المصرية الصومالية، ص ٣٦.

في البحر الاحمر بالإبحار الى شواطئ الصومال الشرقية⁽¹⁾؛ لتثبيت دعائم السلطة المصرية في مينائي بلهار وبربرة، وكان ظهور الاسطول المصري في المياه الصومالية، قد أثار قلق السلطات البريطانية في عدن، خشية ان تمثل هذه الزيارة تهديداً للمصالح البريطانية في منطقة تابعة للنفوذ البريطاني في عدن، بحكم المعاهدات التي عقدت مع شيوخ الساحل في آب ١٨٤٠ مع تاجورة وأيلول ١٨٤٠ مع زيلع و١٨٥٦ مع بربرة، التي نصت على مواد حددت فيها الشيوخ بعدم الدخول في أية علاقات سياسية او تجارية مع أية دولة اخرى، من دون الرجوع في ذلك الى السلطات البريطانية في عدن. ولذلك ما لبث ادوارد رسل Edward Russell المقيم السياسي البريطاني في عدن (١٨٦٧-١٨٧٠)، وقبل ان تصل تعليمات حكومته إتجاه هذا الموقف، الى ايفاد أحد الوكلاء الصوماليين ويدعى محمد محمود من قبيلة حبر أول على ظهر السفينة السند الى ساحل الصومال لمحاربة الدعاية المصرية وللحيلولة دون استقرار المصريين هناك⁽²⁾، وعندما ظهرت السفينة الخرطوم وهي تقل محمد جمالي الى بلهار، تبعتها السند الى هذا الميناء، وأخذ محمد محمود يذيع بين سكان بلهار، وفي اثناء انعقاد سوقها السنوي، ان محمد جمالي ليس مفوضاً من قبل السلطان العثماني، وانما موفد من قبل الخديوي اسماعيل، ولذا فلا تحق عليهم طاعته، كما ذكر لهم ان البريطانيين في عدن مستعدون لحمايتهم من المصريين⁽³⁾. وعندما علم محمد جمالي بدسائس البريطانيين في بلهار، أمر بإنزال الجنود المصريين فيها والقيام

(1) F.O.1195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.6 ; Hamilton, op.cit, p.19.

(2) F.O.1195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.6 ;

صبري، الامبراطورية السودانية...، ص ص ٢٤-٢٥.

كان ادوارد رسل قد اقترح على حكومة الهند في حزيران ١٨٦٩ ارسال احد الوكلاء البريطانيين او الصوماليين الى بلهار وبربرة في اثناء انعقاد سوقهما السنوي، لان الصوماليين يفتقرون الى حكومة مسؤولة مما يؤثر على الحالة الامنية هناك، واستمرار النزعات القبلية، الامر الذي يعرض المصالح البريطانية للخطر. انظر :-
Ibid, p.5.

(3) Marston, op.cit, p.391 ; Hamilton, op.cit, p.19.

باستعراض عسكري كبير ترافقه فرقة فنية لعزف الموسيقى، مما ولد تأثيراً طيباً لدى السكان الذين راحوا يتوافدون الى محمد جمالي معلنين اعترافهم بالحكم المصري^(١). كما استقبل سكان بربره محمد جمالي بترحيب كبير في ٤ آذار عام ١٨٧٠^(٢)، الذين ترك فيهم وجود الاسطول المصري في خليج عدن، والمظهر المشرف الذي ظهر به المصريون في بلهار اثراً طيباً عن المصريين ايضاً.

كانت بربرة تمثل لبريطانيا ميناءً مهماً يقع في مواجهة عدن، ومصدراً تموينياً رئيساً لتصدير اللحوم والالبان الى عدن^(٣)، ومنطقة خاضعة للنفوذ البريطاني من الناحيتين التجارية والسياسية، بموجب معاهدي العامين ١٨٢٧ و ١٨٥٦، ولذلك خشى البريطانيون في عدن من قدرة المصريين على اخضاع بلهار وبربرة لحكمهم، أو محاولة شرائهما، كما توجس ادوارد رسل^(٤)، إذ أن، ذلك يعني أن البريطانيين سيواجهون منافساً خطيراً لهم في منطقة البحر الاحمر وخليج عدن، لم يسبق له مثيل منذ احتلالهم لعدن في العام ١٨٣٩، وذلك لأن المصالح الفرنسية كانت في معظمها في المدة الواقعة بين العامين ١٨٣٩ و ١٨٦٩ غير رسمية في مظهرها، ولم تستند الى قوة عسكرية كبيرة في ذلك الحين^(٥). لذلك صمم ادوارد رسل القيام باجراءات عملية، لاحباط الجهود المصرية في بربرة منذ البداية، عندما طلب من حكومة الهند في ٢٥ شباط عام ١٨٧٠ أن ترسل له سفينة حربية الى عدن تكون تحت تصرفه لمواجهة هذا الموقف، وفي الوقت نفسه أخذ ادوارد رسل يبحث في سجلات عدن عن تكون له حقوق ملكية الساحل الصومالي المقابل لعدن، مما يؤكد شك ادوارد رسل بحقوق مصر على

(1) F.O.1195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.6.

(٢) صبري، الامبراطورية السودانية...، ص ٢٥.

(٣) كانت بربرة تصدر الى عدن سنوياً (١٠) الاف بقرة و (٦٠) ألف راس من الغنم ما عدا الالبان والزبدة. انظر:- صبري، مصر في افريقيا الشرقية...، ص ٤٦.

(4) F.O.195/1052. Memorandum bombay Gov, to C.U. Aitch ison, 13th January, 1875, p.16.

(5) Marston, op.cit, p. 388.

الساحل الصومالي الشرقي. وبناءً على طلب ادوارد رسل وافقت حكومة الهند على إرسال سفينة حربية بريطانية الى بربرة، ولكنها حذرت من القيام بأي عمل استفزازي من شأنه خلق مواجهة مسلحة مع العثمانيين، قد تنطوي على عواقب وخيمة^(١).

في غضون ذلك أرسل ادوارد رسل على متن السفينة السند محمد محمود مجدداً الى بربرة، لمراقبة الاحداث عن كثب، وتعزيز روابط الصداقة والتعاون بين الطرفين، وتذكير شيوخها بمعاهدة العام ١٨٥٦، وتعهدهم بعدم الدخول في أية علاقات تجارية أو سياسية مع أية دولة أخرى، في حالة ما اذا كانت هذه العلاقات تضر بالمصالح البريطانية، من دون الرجوع في ذلك الى السلطات البريطانية في عدن. وفي ٩ آذار ١٨٧٠ وصل محمد محمود الى بربرة، ووجد السفينة الخرطوم راسية في مياه الميناء، واستقبل استقبالاً حسناً من شيوخها الذين اخبرهم توصيات ادوارد رسل بان الحكومة البريطانية لا تريد السيطرة عليهم، بل ترغب في استمرار العلاقات بين الطرفين بموجب معاهدة العام ١٨٥٦، إلا انه في ١٥ آذار وقع حدث مفاجئ في بربرة، إذ هاجمت إحدى القبائل الصومالية مخيم محمد محمود، وجرح على أثره العديد من الجانبين فضلاً عن مقتل محمد محمود نفسه^(٢).

وعندما وصلت السفينة البريطانية تيزر Teazer الى عدن في ٣١ آذار ١٨٧٠، بناءً على توصيات ادوارد رسل، طلب رسل من بلوفيلد Blowfield قائد السفينة التوجه الى بربرة والاطلاع على مايجري هناك^(٣)، لتأخر عودة محمد محمود الى عدن، وتقديم تقرير عن أهداف المصريين في تلك المنطقة. وفي ٤ نيسان ١٨٧٠ وصل بلوفيلد الى بربرة، ووجد السفينتين المصرية والبريطانية الخرطوم والسند راسيتين في مياه ميناء، ولاحظ ان محمد جمالي كان يدعو السكان للاعتراف

(1) F.O. 195/1052, Northbrook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.6.

(2) Ibid ; Marston, op.cit, p.389.

(3) F.O.195/1052, Northbrook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.6.

بالحكم المصري، كما لاحظ ان قوات محمد جمالي لم تحتل بربرة بعد العرض العسكري الذي قدمته هناك، ولم يعقد محمد جمالي أي اتفاق مع شيوخ بربرة، واعتقد أن محمد محمود قد تعرض لهجوم إحدى القبائل الصومالية بناءً على تحريض من المصريين، كذلك توقع بلوفيلد رحيل المصريين عن بربرة بعد أن يتأكدوا من تبعيتها لحكمهم، وبعد ان تتم تصفية الوكالة البريطانية هناك^(١). كما أورد بلوفيلد في تقريره، انه قد أجرى لقاءً مع محمد جمالي، الذي أكد له ان بربرة تعد جزءاً من الممتلكات العثمانية، وانه ليست لديه أية صلاحيات لشراء بربرة او حيازتها، وان واجبه يقتصر على حماية ورعاية المصالح المصرية في بربرة^(٢). وفي نيسان ١٨٧٠ أجاب ادوارد رسل على تصريح محمد جمالي بعدم اعترافه بأية ملكية عثمانية لبربرة، مؤكداً ان الدولة العثمانية لم يكن لها أي موقف تجاه الحصار البريطاني على بربرة الذي وقع في العامين ١٨٥٥ و ١٨٥٦. كما طلب أدوارد رسل من محمد جمالي عدم اتخاذ أي اجراء في بربرة او بلهار الى حين التوصل الى اتفاق بين الحكومتين البريطانية والعثمانية حول مسألة السيادة على الساحل الصومالي المقابل لعدن^(٣).

وقد عبرت الحكومة المصرية عن احتجاجها على ادعاءات ادوارد رسل بعدم اعترافه بملكية مصر لبربرة، بمذكرة رسمية قدمها شريف باشا وزير الخارجية المصري الى ادوارد ستانتون Edward Stanton قنصل بريطانيا في القاهرة في الاول من حزيران ١٨٧٠، أكد فيها سيادة مصر على ساحل البحر الاحمر برمرته، وان بربرة تعد ارضاً عثمانية وليست مستقلة، وهي ضمن الاراضي التي تنازلت عنها الدولة العثمانية للحكومة المصرية بموجب الفرمان السلطاني الصادر في العام ١٨٦٦. كما أن مصر لا تزال تدفع جزية سنوية للباب العالي مقابل ذلك^(٤).

أبأظه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٤٤٢ . (1) Marston, op.cit, p.389 ;

(2) F.O.881/243, Memorandum On Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874, p.54 ; F.O. 195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.7 .

(3) F.O.195/1025, Bombay Gov.to C.U. Aitchison, 13th January, 1875, p.17.

(٤) حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ١٩٢ ؛ Hamilton, op.cit, p. 28.

وبذلك يتبين ان الاسانيد، الرسمية لاثبات السيطرة المصرية في ظل التبعية العثمانية على بربرة، قد تحددت بالفرمان السلطاني الصادر في ١٨٦٦ الذي منح سواكن ومصوع وملحقاتهما الى الادارة المصرية، ولم تستند الحكومة المصرية الى أدلة تثبت تبعية بربرة للعثمانيين، كاستمرار الباب العالي بتعيين الحكام، او رفع الاعلام العثمانية على مراكز الميناء كدليل على خضوع بربرة للدولة العثمانية.

طلب ادوارد رسل من حكومتي لندن والهند، رداً على موقف مصر المتمسك بتبعية بربرة للادارة المصرية اتخاذ الاجراءات اللازمة للحد من النفوذ المصري في بربرة، ومنع توسعهم في خليج عدن، من خلال توضيح الملابس المتعلقة بموضوع بربرة، وتقديم احتجاج الى الحكومة العثمانية على ضم المصريين لبربرة إليهم. كما اقترح ادوارد رسل تعيين وكيل بريطاني في بربرة ومعه مجموعة صغيرة من الحرس لرعاية المصالح البريطانية هناك^(١). وبناءً على رسالة ادوارد رسل بحثت حكومة لندن في ١٠ احريران ١٨٧٠ موضوع السيادة على ساحل الصومال المقابل لعدن، ووجدت ان الدولة العثمانية ليست لديها اية دلائل تثبت سيادتها عليه، وان الامتيازات والحقوق التي حصلت عليها بريطانيا في بربرة بموجب معاهدي العاميين ١٨٢٧ و ١٨٥٦، لا يمكن ان تؤثر فيها أية اجراءات مصرية او عثمانية في بربرة، ولذلك أصدرت تعليماتها الى ادوارد رسل بالابتعاد عن أي موقف قد يؤدي الى تعقيد الامور في بربرة، وعدم مراسلة المسؤولين العثمانيين أو المصريين مباشرة عن موضوع السيادة على بربرة، أو إرسال وكيل بريطاني لها^(٢).

وهكذا أتبعَت الحكومة البريطانية سياسة الحفاظ على الوضع القائم في بربرة، لانها وكما يبدو لم تجد في الاحداث الجارية ما يدعو الى التدخل ما لم تتوضح صورة الاحداث وخطورة السيطرة على الساحل الصومالي وطريق البحر الاحمر، ولا سيما ان النشاط المصري في المنطقة اقتصر على الزيارات الرسمية

(1) F.O.195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.7

(2) Ibid, p.8 .

فقط، وبذلك رفضت حكومة لندن مقترحات ادوارد رسل الرامية الى تدعيم السيطرة البريطانية على بربرة، وحدث من صلاحياته في تلك المنطقة. شجع هذا الموقف البريطاني الحكومة المصرية على اتخاذ خطوات ايجابية اخرى لتدعيم النفوذ المصري في المناطق الاخرى المهمة في ساحل الصومال المقابل لعدن، ووضع حد للوسائل التي قد تتبعها السلطات البريطانية في عدن للتدخل في شؤون هذه المنطقة. فقد أصدر الخديوي اسماعيل في حزيران ١٨٧٠ أمراً بفصل سواكن ومصوع ومديرية التاكة وغيرها من المناطق المطلّة على ساحل البحر الاحمر الغربي عن حكمارية السودان، وان تشكل منها جميعاً محافظة عرفت بـ "محافظة سواحل البحر الاحمر" تمتد من السويس الى غردافوي، بما فيها بلهار وبربرة، وتعيين أحمد ممتاز باشا حاكماً عليها^(١)، الذي كلفه بالقيام بجولة تفقدية في العديد من موانئ ساحل البحر الاحمر الغربي، بما فيها مينائي بلهار وبربرة، للاطلاع على الاوضاع العامة، والتمهيد لامتداد الادارة والتنظيمات المصرية الى هذين الميناءين والجهات المجاورة لهما^(٢).

وعندما علم ادوارد رسل بزيارة احمد ممتاز باشا الى ساحل الصومال في كانون الثاني ١٨٧١، لم يقيم بأي عمل للتدخل في بربرة، بناءً على تعليمات حكومة لندن الصادرة في ١٠ حزيران ١٨٧٠، واكتفى بنقل الخبر الى وزارة الهند، واقترح مجدداً تعيين وكيل بريطاني في بربرة لمراقبة النشاط المصري المتزايد فيها. كما بعث بتقرير الى حكومة الهند محاولاً توجيه نظرها الى اهمية بربرة بالنسبة لعدن، من خلال توضيحه للنشاط التجاري بين عدن وبلهار وبربرة في جدول يوضح حجم التجارة المتزايد بينهما في المدة الواقعة بين عامي

(١) الجمل، سياسة مصر في البحر الاحمر...، ص ٦٢ ؛

F.O. 195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.8.

(٢) الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر...، ص ص ١١١-١١٦؛

طه، سمير، المصدر السابق، ص ٤٤٢.

١٨٦٧ و ١٨٧٠، بيد ان مقترحات ادوارد رسل لم تلق اذناً صاغية من حكومتي لندن والهند^(١)، اذ لم تبعث اليه اية جهة إجابة عن طلباته المذكورة فيما بعد. تميزت سياسة مصر الافريقية في المرحلة الاخيرة منها، بتعيين موظفين أوربيين في مناصب حكومية، ومنحهم صلاحيات واسعة للقضاء على تجارة الرقيق في أي مكان يصلون اليه، وكان من بين هؤلاء البريطاني صموئيل بيكر Samuel Baker الذي عين حاكماً للمديرية الاستوائية Equator Directorate (١٨٦٩-١٨٧٤)، وفرنر مزنجر، الذي عين مديراً لعموم شرقي السودان وحاكماً لمحافظة سواحل البحر الاحمر في كانون الثاني ١٨٧٣^(٢). وكان الخديوي اسماعيل قد توخى من تعيين هؤلاء الموظفين كسب ود بريطانيا إتجاه المشاريع المصرية التي ينوي تنفيذها في شرقي أفريقيا، وإزالة الشكوك التي تراود الحكومة البريطانية إتجاه تلك المشاريع، خاصة وان الحكومة المصرية قد ابدت اهتماماً كبيراً بمسألة الغاء تجارة الرقيق، لتترك اثر طيب لدى الحكومة البريطانية ذات الاهتمام الظاهري بتلك المسألة، لأن هذه الخطوة تأتي في الاتجاه نفسه الذي تريده بريطانيا الهادف الى التخلص من التدخلات الفرنسية والاطالية في تلك المناطق التي بدأت مشاريعها تمتد الى هذه المناطق.

من جانب آخر، لم يكن لدى الحكومة البريطانية ادنى شك في صدق خطط الخديوي اسماعيل في محاربة تجارة الرقيق، إلا أنها كانت ترى في الخديوي اسماعيل لم يصل الى درجة ان يقوم بصرف مبالغ كبيرة على حملاته في شرق افريقيا لدوافع انسانية فحسب، ولذلك اعتقدت الحكومة البريطانية ان الخديوي

(١) Marston, op.cit, p.391.

(٢) الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر...، ص ١٣٨؛

Holt, P, A modern history of the Sudan, London, Weiden feld and Nicolson, 1961, p.70.

الجدير بالذكر انه في ايلول ١٨٧١ صدر أمر بالغاء حكمدارية عموم السودان، وتقسيم السودان الى عدة أقسام، وجعل احمد ممتاز باشا مديراً عاماً لمديريات السودان لكنه أتهم بالرشوة ومات في السجن، وأعيد تشكيل حكمدارية عموم السودان في كانون الاول ١٨٧٢.

اسماعيل يهدف الى تنفيذ خطة تقوم على المبالغة "الحمقاء" وتتمثل باخضاع افريقيا لحكمه^(١). وهكذا لاحظ البريطانيون أن الخديوي اسماعيل كان محظوظاً في التطلع لتحقيق طموحاته الامبراطورية في افريقيا، لكونها جاءت متزامنة مع اعادة احياء فكرة الغاء تجارة الرقيق بعد الحرب الاهلية في الولايات المتحدة (١٨٦١ - ١٨٦٥)، وهو الاسلوب الذي من خلاله وضع حداً لهيمنة هذه التجارة على الساحل الغربي لافريقيا بعد ان ازداد رواجها في سواحل شرقي افريقيا اثر منع الاسترقاق في هذه المنطقة^(٢).

ومع نهاية العام ١٨٧٣ اصبح احتلال بربره أمراً لا مفر منه، اذ قام رضوان بك قائد السفينة (أرخا) في تشرين الاول ١٨٧٣، باجراء الترتيبات اللازمة مع الصوماليين لبناء قلعة، كما لم يكتم الخديوي اسماعيل نيته بإقامة حامية مصرية دائمية في بربرة^(٣)، وقيام المصريين بمحاولة مدّ قناة مائية من منطقة تل دوبار التي تبعد عن بربرة سبعة اميال؛ لتزويد بربرة بالمياه العذبة، وحث التجار في بربرة على الاقامة فيها تحت الحماية المصرية؛ لتعزيز امكانيات هذا الميناء ومكانته التجارية تحت الادارة المصرية^(٤).

وصلت أنباء التدخل المصري في بربرة الى جون شنايدر (John Schneider) المقيم السياسي البريطاني في عدن (١٨٧٢-١٨٧٨) في كانون الاول ١٨٧٣، الذي قام على الفور بابلاغ حكومة الهند بالخبر، ونقلته بدورها الى وزارة الهند التي طلبت من وزارة الخارجية ان تزودها برأيها الخاص بالموضوع. فعقدت وزارة الخارجية البريطانية اجتماعاً مشتركاً مع وزارة الهند في ٢ حزيران ١٨٧٤، وتم الاتفاق فيه على ان تقدم وزارة الهند تقريراً مفصلاً عن الموضوع

(1) Marston, op.cit, p.465.

(2) Ibid, p. 467.

(3) F.O. 195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.8 ; F.O. 881/243, Memorandum On Sovereignty by Hertslet, 5th March, 1874, p.16.

(4) F.O. 195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.8-9.

لكي تتمكن من اتخاذ قرار مناسب بصدد ادعاءات السيادة المصرية على ساحل البحر الاحمر الغربي من قناة السويس الى رأس غردافوي أثر ذلك في المصالح البريطانية في عدن والبحر الاحمر^(١).

وفي ٧ آب ١٨٧٤ قدّم اللورد روبرت سالزبري Robert Salisbury وزير الهند (١٨٣٠-١٨٧٤/١٩٠٣-١٨٧٨)^(٢) مذكرة مطولة من (٦٤) صفحة الى اللورد دربي Lord Derby وزير الخارجية البريطاني (١٨٢٦-١٨٩٣/١٨٧٤-١٨٧٨)^(٣) عن الادعاءات العثمانية بالسيادة على الساحل الشرقي للبحر الاحمر وعموم الجزيرة العربية، والمطالب المصرية بالسيطرة على كل الساحل الافريقي من قناة السويس الى رأس غردافوي، مع اشارة خاصة الى المعاهدات البريطانية مع شيوخ تاجوره وزيلع وبربرة وبلهار. وكانت المذكرة بقلم ادوارد هرسلت Edward Hertslet مؤرخه في ٥ آذار ١٨٧٤. وعزز سالزبري بمذكرته هذه بمذكرتين أخريين كتبهما بارتل فريير Bartle Frere وتشارلز تريمنهير Charles Tremmenheer، تناولت مذكرة بارتل فريير المؤرخة في ٢٧ حزيران ١٨٧٤ وجهة نظره حول امكانية الاعتراف بالسيطرة المصرية على الساحل الصومالي بشرط

(1) Marston, op.cit, p. 469.

(٢) جلس سالزبري في مجلس العموم عضواً عن حزب المحافظين من ١٨٥٣ الى ١٨٦٦، وعندما دخل مجلس اللوردات في ١٨٦٦، اصبح وزيراً للهند بين حزيران ١٨٦٦ و آذار ١٨٦٧، وعند عودة المحافظين الى الحكم في ١٨٧٤ عاد سالزبري الى منصبه وزيراً للهند (١٨٧٤-١٨٧٨) ثم وزيراً للخارجية (١٨٧٨-١٨٨٠) فرئيساً للوزراء (حزيران ١٨٨٥-شباط ١٨٨٦) و (١٨٨٦-١٨٩٢) و (١٨٩٥-١٩٠٢). وبسبب اعتلال صحته منذ خريف ١٩٠٠ الى ربيع ١٩٠٢ انسحب من الحياة السياسية في حزيران ١٩٠٢ ليموت في ٢٢ آب ١٩٠٣. انظر:-

The Encyclopaedia Britannica, Vol. 19, pp.943-946.

(٣) وهو ابن جورج جفري ستانلي George Geoffrey Stanley المعروف بايرل دربي. عين اللورد دربي وزيراً للمستعمرات (شباط-آيار ١٨٥٨)، ثم وزيراً للهند (ايلول ١٨٥٨-حزيران ١٨٥٩) في وزارة والده الثانية، ووزيراً للخارجية (١٨٦٦-١٨٦٨) في وزارة والده الثالثة، واختير لذات المنصب (١٨٧٤-١٨٧٨) في وزارة دزرائيلي ثم وزيراً للمستعمرات (١٨٨٢-١٨٨٥). انظر:-
The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 4, pp.23-24.

اتباع المصريين سياسة تجارية حرة، ومحاربتهم لتجارة الرقيق. كما اعترف فريير بالوضع القائم في الموانئ الأخرى التي كان يسيطر عليها المصريون الذين ساهموا إلى حد ما باضعاف تجارة الرقيق التي كانت مزدهرة هناك^(١). مع ذلك خشي فريير من النتائج المحتملة للسيطرة المصرية والعثمانية على سواحل الصومال لأنه كان يرى أن "المسؤولين التابعين لهم في المناطق البعيدة كانوا يتصرفون على وفق أهوائهم"^(٢). وعندما تناول فريير تأثير السيطرة المصرية على ساحل الصومال أشار إلى موقف بريطانيا تجاه المحاولات الأوروبية الاستعمارية في المنطقة، ولا سيما الفرنسية والإيطالية الرامية إلى الحصول على مستعمرات في منطقة البحر الأحمر، وتتوقع إذا ما سمحت بريطانيا لمصر بالاحتلال فإنه لن تكون قادرة على الوقوف بوجه الأوربيين^(٣)، إلا أن وجهة نظر اللورد تندرden وتنتردن وكيل وزير الخارجية البريطانية، كانت تختلف مع رأي فريير في ذلك، إذ كتب قائلاً "إن الوسيلة الوحيدة لجعل الدول الأخرى بعيدة عن هذه المنطقة تتمثل بالسماح للمصريين بالاقامة فيها بضمانة الامبراطورية العثمانية"^(٤).

أما ملاحظات تريمنهير عن الموضوع فقد تناولت بالقول إن المعاهدات البريطانية مع القبائل المجاورة لعدن كانت أكثر وضوحاً من تلك المبرمة مع شيوخ بربرة في العام ١٨٥٦، حيث لم تنص المعاهدة على مادة تقر باستقلال بربرة، الأمر الذي لم يفسح المجال أمام البريطانيين بالتدخل لمنع العثمانيين والمصريين من احتلال بربرة، كما أسهمت المعاهدات الأولى فرصة التدخل لمنع العثمانيين من احتلال أراضي العقربي والدالي والقبائل الأخرى. وابدأ تريمنهير اعتراضه على احتلال المصريين لبربرة والموانئ الصومالية الأخرى، لما يترتب

(1) F.O. 195/1052, Northbrook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.9.

(2) Marston, op.cit, p.470.

(3) F.O. 881/2432, Memorandum On Sovereignty by Hertslet, 5th March 1874, pp.63-64.

(4) Quoted in : Marston, op.cit, p.471.

على ذلك من عواقب تجارية كبيرة، ولكنه أضاف انه في حالة كون الوقت قد بات متأخراً لمنع السيطرة المصرية، فإنه يطالب الحكومة المصرية بجعل الموانئ الصومالية مفتوحة أمام التجارة البريطانية^(١).

وكان اللورد سالزبري قد اشار الى وجهة نظره في الموضوع، من خلال الرسالة التي نقلت هذه المذكرات الى اللورد دربي، عندما كتب قائلاً: "انه يجب علينا اتخاذ الاجراءات اللازمة لمنع توسع المصريين على طول الساحل الافريقي فيما وراء مضيق باب المندب"^(٢)، وبذلك كان اللورد سالزبري معارضاً لاي توسع مصري بعد مضيق باب المندب.

اما رأي اللورد دربي فكان مخالفاً لرأي سالزبري؛ لانه كما قال في ٢٠ أيلول ١٨٧٤ "لم تكن هناك امكانية عملية لكبح التوسع المصري فيما وراء باب المندب"^(٣). ويبدو ان مسؤولي وزارة الخارجية البريطانية كانوا مؤمنين بوجهة نظر ستانتون المؤيدة للتوسع المصري في الصومال، عندما بين ستانتون في تقريره الى وزارة الخارجية البريطانية في ١٥ أيلول ١٨٧٤، الفوائد المتأتية من جراء السيطرة المصرية على الصومال، مؤكداً ان السياسة المصرية سياسة متتورة، وان السيطرة المصرية على الساحل الصومالي ستكون لمصلحة بريطانيا لان الحكومة المصرية ستتبني محاربة تجارة الرقيق، وطرد القوى الاخرى من الصومال، في حين أن شيوخ القبائل لم يقوموا باي عمل من شأنه أن يؤكد ذلك^(٤). وبناء على ذلك اقترح ستانتون الاعتراف بالسيطرة المصرية على الصومال، بشرط ان تكون بربرة والموانئ الاخرى على ساحل الصومال المقابل لعدن موانئ حرة، كما دعا في تقريره الحكومة البريطانية إلى فسخ المجال لاقامة علاقات تجارية اثيوبية-مصرية، والزام الحكومة المصرية بابرام اتفاقية رسمية تتعهد فيها باستخدام جميع الوسائل الممكنة؛ لالغاء تجارة الرقيق في تلك المنطقة. الا ان

(1) F.O. 195/1052, North brook and others to Marquis of Salisbury, 5th March, 1875, p.9.

(2) Ibid, p.9.

(3) Ibid .

(4) Ibid, p.10.

وزارة الهند لم تقنع برأي وزارة الخارجية، إذ كان سالزبري ميالاً الى وجهة النظر القائلة بأن التوسع المصري على الساحل الصومالي أمر مرغوب فيه، كما أنه لا يحقق الهدف البريطاني الرامي الى الحد من تجارة الرقيق أو الحد من التأثير العثماني بالقرب من عدن^(١).

ولمعرفة رأي الجهة البريطانية الاخرى المعنية بشأن التدخل المصري في بربرة، رفعت وزارة الهند الموضوع الى حكومة الهند لمعرفة وجهة نظرها. فبعثت حكومة الهند برقية الى سالزبري في ٩ تشرين الاول ١٨٧٤ تتفق مع رأي وزارة الخارجية، وهي ان الاعتراف بالسيطرة المصرية على ساحل الصومال تعود بالفوائد على المصالح البريطانية، إذ في حالة احكام المصريين سيطرتهم على تلك المنطقة، فانها ستقف أمام استيطان الأوربيين على الساحل الافريقي لخليج عدن^(٢).

كان هذا الاختلاف في الرأي بين وزارتي الهند والخارجية البريطانيتين، سبباً في تأخير ظهور موقف بريطاني واضح إتجاه التدخل المصري في بربرة، الذي انتهى لمصلحة وزارة الخارجية، عندما ألقى مسؤولو وزارة الخارجية باللوم على وزارة الهند في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٧٤، لاستفحال الأمر في الساحل الصومالي، بسبب موقفها غير العملي الذي اعاق المصريين من ترسيخ اقدمهم في هذه المنطقة^(٣).

فاقتрحت وزارة الهند على الوزارة الخارجية في ٢٣ آذار ١٨٧٥ عقد اتفاق ودي مع الحكومة المصرية، بهدف حماية الامتيازات البريطانية في الموانئ الصومالية، ومنع أية مشاريع تجارية احتكارية يمارسها المصريون بشأن تصدير المنتجات الغذائية^(٤). ولذلك أكدت وزارة الخارجية ضرورة التفاوض مع الباب العالي والحكومة المصرية لوضع اتفاق يقر باعتراف بريطانيا بحقوق مصر تحت سيادة الباب العالي على الساحل الصومالي، فوضعت في أيار ١٨٧٥ مسودة

(1) F.O. 195/1052, Bombay Gov. to C.U. Aitchison, 13th January 1875, p.9.

(2) Ibid, p.10.

(3) Marston, op.cit, p.474.

(4) Ibid, p. 475.

معاهدة بعثتها الى هنري اليوت Henry Elliot السفير البريطاني في اسطنبول تضمنت اعتراف الحكومة البريطانية بالسيادة المصرية على الساحل الصومالي حتى رأس غردافوي، واستعدادها للتخلي عن حقوقها في جزر موسى وايبات في حالة تخلي الفرنسيين عن أوبوك الى المصريين. مقابل تعهد الحكومة المصرية بعدم السماح لاية قوة أجنبية بالحصول على موطئ قدم على الساحل^(١). إلا أن هذه المعاهدة لم تعقد نتيجة لأرسال الخديوي اسماعيل حملة ميكلوب باشا Mckillop الى المحيط الهندي لضم ساحل الصومال الجنوبي الى مصب نهر الجب إلى ممتلكاته.

في ١٨ تموز عام ١٨٧٥ حصلت الحكومة المصرية على ميناء زيلع، الذي كان خاضعاً لسيادة الدولة العثمانية المباشرة، مقابل جزية سنوية مقدارها (١٥) ألف جنيه^(٢). كما أصدر الباب العالي تعليماته في ان تتبع تاجوره زيلع في ادارتها الى مصر^(٣). وبذلك خطت السياسة المصرية خطوة أخرى في الصومال، واصبح ساحل البحر الاحمر الغربي من قناة السويس الى رأس غردافوي تحت الادارة المصرية، التي ما لبثت أن استخدمت زيلع قاعدة رئيسة للتوسع نحو المناطق الداخلية الصومالية والاثيوبية، إذ أرسلت حكومة الخديوي اسماعيل بعد مدة قليلة حملة عسكرية للسيطرة على هرر، وهي سلطنة اسلامية مستقلة، وتعد من أشهر اسواق الرقيق في شرقي افريقيا، ومركزاً تجارياً مهماً يربط بين جنوب اثيوبيا والساحل الصومالي، كانت تمثل آخر الطرق المؤدية الى اثيوبيا بعد سيطرة مصر على مصوع وتاجورة وزيلع وبربرة. ولذلك فأن السيطرة على هرر من الناحية الجيوبولتيكية باتت ضرورة مهمة، لتحقيق أهداف مصر التجارية والسياسية في المنطقة. فقررت الحكومة المصرية، بناءً على نداء سكان هرر، ارسال محمد

(1) Marston, op.cit, p.475.

(٢) الجمل، سياسة مصر في البحر الاحمر...، ص ١٦٥؛

Talhami, op.cit, p.172.

(٣) يحيى، العلاقات المصرية الصومالية، ص ٥٧.

رؤوف باشا على رأس حملة للسيطرة على هرر وتعيين حاكم مصري عليها بدلاً من "سلطانهم الطاغية"^(١). وفي ١٨ أيلول ١٨٧٥ تقدمت القوات المصرية من زيلع تجاه الغرب نحو هرر، وتغلبت على مقاومة أبناء قبائل الغالا، الذين توجسوا شراً من سيطرة المصريين عليها. وفي ١١ تشرين الأول ١٨٧٥ دخلت القوات المصرية إليها ورفعت الراية المصرية عليها^(٢). وبينما كان محمد رؤوف باشا منشغلاً في إخضاعها للإدارة المصرية، كانت الحكومة المصرية تعمل من جانب آخر لغرض السيطرة على ساحل الصومال الجنوبي من رأس غردافوي إلى مصب نهر الجب، والشروع بتحقيق وحدة وادي النيل الجغرافية والسياسية، من خلال تأسيس إدارة مصرية في الأقسام الجنوبية من وادي النيل.

وبذلك كان حصول مصر على زيلع عاملاً مهماً في تشجيع الخديوي اسماعيل للاستمرار بتنفيذ سياسته الإفريقية إلى ما بعد زيلع والموافقة على خطة جारلس جورج غوردن Charles George Gordon (١٨٣٣-١٨٨٥) حاكم المديرية الاستوائية (١٨٧٤-١٨٧٦) التي تهدف إلى فتح منطقة البحيرات عن طريق ساحل شرق إفريقيا، بدلاً من طريق نهر النيل للوصول إلى القاهرة^(٣)، إذ لاحظ غوردن أن الوصول إلى البحيرات تقف أمامه معوقات طبيعية، لوجود

(١) صبري، الامبراطورية السودانية...، ص ٤١؛ سيد، محمد المعتصم، هرر تحت الحكم المصري، المجلة التاريخية، المجلد ٣، العدد ٢، القاهرة، ١٩٥٠، ص ١٧٤.

كان عدد سكان هرر يزيد على مليون ونصف المليون نسمة، وكان يحكم هذه السلطنة محمد بن عبد الشكور، وقد عرف باحتكاره لتجارة البن والعاج وتصدير الرقيق من إثيوبيا وأوغنده إلى البلاد العربية عن طريق بربرة وتاجوره. انظر:-

سيد، محمد المعتصم، هرر تحت الحكم المصري، ص ٣٣

(٢) صبري، مصر في إفريقيا الشرقية...، ص ص ٦١-٦٢؛ طه، سمير، المصدر السابق، ص ٤٤٣. للمزيد من التفاصيل عن هرر. انظر:-

Caulk, B, Harar Town and its Neighbours in the Nineteenth Century, The Journal of African history, Vol . XVIII, Number.3, Cambridge University Press, 1977, pp. 369.

(٣) انظر الخريطة التي توضح هذه المناطق في ملحق رقم (٣).

شلالات ومستنقعات واعشاب^(١)، وبعد المسافة التي تفصل مقره في لادو Lado عن القاهرة، التي تبلغ أكثر من (١٥٠٠) ميل، في حين تقدر المسافة بين لادو وساحل شرق افريقيا بـ (٢٥٨) ميلا فقط^(٢). كما بعث غوردن بمقترح الى الخديوي اسماعيل لانزال حملة مصرية عند مصب نهر الجب والسيطرة على عدة مراكز عسكرية وتجارية الى أن تتصل باقليم البحيرات الاستوائية^(٣).

وقد نال مقترح غوردن تأييد الخديوي اسماعيل لكونه يمثل الوسيلة الوحيدة للاتصال باقاليم البحيرات الاستوائية والقضاء على تجارة الرقيق، لذلك ارسل الخديوي اسماعيل في أيلول ١٨٧٥ بتعليماته الى ميكلوب باشا قائد القوات المصرية في زيلع وبربرة، في الوقت الذي كان فيه رؤوف باشا في طريقه الى هرر، لكي يقوم بتجهيز حملة الى خليج فرموزه، الذي يقع على بعد مئتي ميل جنوب مصب نهر الجب، وان ينزل بعض الحاميات على ساحل الصومال الجنوبي وهو في طريقه الى خليج فرموزه، وهذا يعني أن تدخل مقديشو وبراو ولامو ضمن ميدان العمليات المصرية، وممتلكات الامبراطورية المصرية المنشودة، ولكن الخديوي اسماعيل اوصى في الوقت نفسه أن يتجنب الاحتكاك باية سلطة محلية، حيث ينزل قواته في الاماكن التي لا توجد فيها ادارة رسمية تابعة لسلطان زنجبار^(٤).

ويلاحظ أن الخديوي اسماعيل اقدم على تنفيذ خطة غوردن من دون أن يعرف موقف بريطانيا من المشروع، ويبدو أنه اعتمد في هذا الجانب على تأكيد غوردن

(1) Lord Elton, General Gordon, London, 1954, p.196 ; Langer, W, The Diplomacy of Imperialism 1890-1902, NewYourk, Alfred. Knopf, 1968, pp.102-103.

(2)Turton, E, Kirk and the Egyptian invasion of east Africa in 1875: AReassessment, The Journal of African History, Vol.XI,Number.3, Cambridge University Press, London, 1970, p.355.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن مشروع غوردن في افريقيا الشرقية انظر:-

Elton, op.cit, pp. 196-203.

(٤) العقد وقاسم، المصدر السابق، ص ١٦٧ ؛ عبده، علي ابراهيم، مصر وافريقية في العصر الحديث،

القاهرة، دار القلم، ١٩٦٢، ص ص ١١٤-١١٥.

الذي أوضح له بان المشروع لن يلقى أية معارضة من الحكومة البريطانية، بل بالعكس ستتلقى الحكومة المصرية مساعدة مادية في تنفيذه من جانب الاسطول البريطاني^(١). وبذلك اتفق مشروع غوردن مع أهداف الخديوي اسماعيل الانسانية والتجارية والسياسية الرامية الى مدّ السيطرة المصرية على الساحل الصومالي المطل على المحيط الهندي، وتحقيق وحدة الصومال، وعدّها الحدود الجنوبية للدولة المصرية، التي لا تقف عند رأس غردافوي أو رأس حافون فحسب، بل تشمل كذلك ساحل الصومال الجنوبي الى مصب نهر الجب. كما اعتقد الخديوي اسماعيل ان تكليف غوردن الضابط البريطاني في هذه المهمة سيلعب دوره في ضمان موافقة البريطانيين على الحملة، وتهدئة مخاوفهم من التوسع المصري في تلك المنطقة.

وصل ميكلوب باشا الى رأس حافون في تشرين الثاني ١٨٧٥، واجتمع بشيوخ قبائل المنطقة ودعاهم للدخول تحت الحكم المصري، فوافق عثمان محمود شيخ حافون على ان يتنازل عن حكمه وحقوقه في المناطق المحيطة برأس حافون ومن بينها براوة^(٢)، ولذلك عندما وصل ميكلوب باشا الى براوة في ٥ تشرين الثاني ١٨٧٥ طلب من حاميتها الاستسلام فاستجابت لأوامره، ويبدو انه كان من الصعب على ميكلوب تنفيذ تعليمات الخديوي اسماعيل بتجنب سلطة زنجبار في الساحل؛ لأن ممثليها كانوا منتشرين في جميع الموانئ الصومالية الجنوبية، فقد صادف ميكلوب باشا في كسمايو حامية عسكرية لزنجبار بلغت (٤٠٠) جندي، فأضطر الى تهديدهم باستخدام السلاح فانسحبوا من القلعة بدون مقاومة. أما

(١) حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ١٩٧؛ اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٤٤٨.

(٢) حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ٢٠١؛

Hallett, Robin, Africa Since 1875, A modern history, London, 1978, p.88.

المدن المحصنة تحصيناً جيداً مثل مقديشو ومركا، فقد أثار ميكلوب تجنبها^(١)، وبذلك حققت الحملة المصرية المهمة التي كلفت بها، وهي الوصول الى مصب نهر الجب، كما تحقق حلم الخديوي اسماعيل في تأسيس امبراطورية مصرية في شرق افريقيا، واصبحت مصر تسيطر على ساحل البحر الاحمر الغربي وساحل الصومال المطل على المحيط الهندي، ومجمل حوض النيل الازرق، بعد أن وصل غوردن في نيسان ١٨٧٤ الى مقر مأمورية في غندوكرو^(٢).

كان موقف الحكومة البريطانية من مجيء القوات المصرية الى ساحل الصومال الجنوبي، معارضا منذ البداية، ولم يقدم البريطانيون اية مساعدة مادية للأسطول المصري، كما توقع غوردن ذلك، نتيجة لسياسة بريطانيا إتجاه سلطنة زنجبار خلال السبعينيات وحتى منتصف الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وهي السياسة التي كانت تنسب الى جون كيرك John Kirk قنصل بريطانيا في زنجبار^(٣)، الذي وصف بأنه احد بناء الامبراطورية البريطانية، التي ارتكزت على عاملين رئيسيين هما: عامل التظاهر برعاية مصالح السلطان برغش (١٨٧٠ - ١٨٨٨) والمحافظة على املاكه، وبعبارة أخرى التستر وراء السلطان؛ لتشديد القبضة البريطانية في شرق افريقيا وتنفيذ الاهداف والمخططات البريطانية، والعامل الآخر إبعاد الدول الاخرى عن تلك المنطقة من القارة الافريقية، التي

(1) Elton, op.cit, p.198.

(٢)الرافعي، عصر اسماعيل، ص١٣٨؛ العقاد وقاسم، المصدر السابق، ص١٦٧.

(٣) دخل جون كيرك افريقيا طبيباً يصطحب لفنجستون Livingstone الرحالة المعروف الى الزامبيزي وانهار شيري وبحيرة نياسا من العام ١٨٥٨ الى العام ١٨٦٣. وفي العام ١٨٦٦ عندما بدأ لفنجستون رحلته الثالثة والاخيرة الى افريقيا، اصبح جون كيرك طبيباً للقنصل البريطاني في زنجبار. وفي السنة التالية عين جون كيرك نائباً للقنصل، وفي العام ١٨٧٣ اصبح جون كيرك القنصل البريطاني العام في زنجبار، الذي كان يعد الحاكم الفعلي لزنجبار. انظر:-

Word and White, East Africa: Acentury of change 1860-1970, London, George Alten and Unwin Ltd, 1971, p.20.

ازدادت أهميتها الدولية بعد فتح قناة السويس للملاحة الدولية، واتصال زنجبار بعدن والهند بطرق ملاحية منتظمة^(١).

قام جون كيرك عند سماعه خبر مجئ المصريين الى ساحل الصومال الجنوبي، بالمباشرة بتنفيذ سياسته ووضعها موضع التطبيق، لكي يقدم دليلاً عملياً لبرغش عن مدى اهتمام بريطانيا برعاية مصالحه من أي تهديد خارجي، اذ قدم مذكرة الى اللورد دربي في ١٧ تشرين الثاني ١٨٧٥، ذكر فيها تفاصيل عن الحملة المصرية منذ مغادرتها لخليج عدن حتى وصولها الى ميناء كسمايو، وانه منع برغش من القيام بأي عمل يتسم بطابع العنف، واكتفى بان نصح برغش بالاحتجاج على الاحتلال المصري لاراضيه^(٢)، على أساس ان براوه وكسمايو تابعتين من الناحية الاسمية لسلطان زنجبار. كما حذر كيرك في مذكرته اللورد دربي من الآثار المترتبة على السماح ببقاء القوات المصرية في أي جزء من الساحل الصومالي، لانه سيؤدي الى انتشار الفوضى وسيقضي على المحاولات البريطانية الرامية الى الغاء تجارة الرقيق، وسيدمر الحركة التجارية القائمة في المنطقة، كما دعا حكومته الى إتخاذ الخطوات الفعالة لحماية المصالح البريطانية والهندية في هذه المناطق^(٣). ولم يقف عند حد الاحتجاج على حملة الجب المصرية في دوائر وزارة الخارجية البريطانية، بل قام بتحريض برغش للكتابة الى وزارة الخارجية طالباً مساعدتها لاجلاء القوات المصرية عن ممتلكات زنجبار في الساحل الصومالي^(٤). كما قام في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٨٧٥ بجولة الى الموانئ الصومالية، عندما استقل السفينة الحربية البريطانية ثيتس Thetis القادمة من جزر سيشل لتفقد الاوضاع العامة هناك، وبعد أن اطمأن على مينائي

(١) حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ١٦٥؛ شبيكه، مكي، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر، بيروت، ١٩٦٥، ص ٥٤٢؛

Word and White, op.cit, p.20.

(2) Turton, op.cit, p.361.

(٣) حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ص ٢٠٣-٢٠٤.

(4) Turton, op.cit, p.360 ;

اباظه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٤٥١.

مركا ومقديشو، وحثّ السكان على مواجهة المصريين والمطالبة بدعم السلطات الزنجبارية لهم، توجه كيرك الى براوة في ٣٠ تشرين الثاني، وكان العلم العثماني مرفوعاً فيها، فواجه جون كيرك موقفاً متشدداً من السلطات المصرية، التي منعتهُ من النزول الى براوة. وتحت وطأة تهديده بقصف المدينة بالمدفعية، سمح المصريون بنزوله مع قائد السفينة ثيتس الى براوة بدون سلاح او حراسه^(١).

وكان من الطبيعي أن تتأثر سياسة وزارة الخارجية البريطانية بحملة جون كيرك التي شنها ضد التدخل المصري في ساحل الصومال الجنوبي، وبضغط الرأي العام البريطاني الرافض للوجود المصري في ممتلكات تابعة لزنجبار^(٢). ففي ٣ كانون الاول ١٨٧٥، بعث اللورد دربي برقية الى ستانتون، طلب فيها ان يحث الخديوي اسماعيل على الانسحاب من الممتلكات التابعة لزنجبار بأسرع وقت ممكن، وان يشرح له الآثار السلبية التي نجمت عن التدخل المصري في الاراضي التابعة لسلطان زنجبار على الرأي العام البريطاني، وان يوضح له ايضاً ان الحروب التي تشنها مصر تلحق اضراراً بالغة بديون مصر^(٣). وأمام هذا الضغط

(1) Turton, op.cit, pp. 363-364.

(2) Sandes, E, The Royal Engineers in Egypt and the Sudan, London, The institution of Royal Engineers, Chatham, 1937, pp.102-103.

(٣) سبقت مأساة بيع أسهم قناة السويس لبريطانيا مأسى مالية عديده تحملتها مصر، وكان من بينها التعويض المالي الضخم الذي حكم به نابليون الثالث امبراطور فرنسا بتاريخ ٦ تموز ١٨٦٤ على اثر النزاع الذي قام بين الحكومة المصرية في عهد الخديوي اسماعيل وبين شركة دي لسبس. فقد طالب دي لسبس بتعويضات مالية بلغت (١٠٧) مليون فرنك، أي اكثر من نصف رأسمال الشركة وان تتنازل الحكومة المصرية لها عن نصيبها المقرر في الأرباح ومقداره (١٥%) من صافي أرباح الشركة. وصادر نابليون الثالث حكماً يقضي بأن يدفع للشركة تعويضاً مقداره ثلاثة ملايين وثلاثمئة وستين الف جنيه في مقابل السخرة. لمزيد من التفاصيل عن ديون مصر. انظر:-

Rothstein, Theodore, Egypt's Ruin, Afinancial and Administrative Record, London faber, 1910,pp.3-17.

والاحتجاج من حكومة بنيامين دزرائيلي (١٨٠٤-١٨٨١/١٨٧٤-١٨٨٠)^(١)، وخشية الاصطدام بالمصالح البريطانية في زنجبار وساحل الصومال الجنوبي، وافق الخديوي اسماعيل على انسحاب الحملة من جنوب الصومال في ١٤ كانون الاول عام ١٨٧٥، والعودة الى القاعدة في زيلع. وكان من الواضح ان وزارة الخارجية البريطانية لجأت في ضغطها على الخديوي اسماعيل، لأجل ارغامه على سحب حملة الجب من جنوب الصومال، الى استغلال الازمة المالية التي حلت بمصر وحاجة الخديوي اسماعيل الى الاموال التي دفعته الى بيع اسهم قناة السويس الى بريطانيا في ٢٥-٢٧ تشرين الثاني ١٨٧٥^(٢)، مما ادى في النهاية الى انهيار استقلال مصر المالي، فقد كانت كل انواع العوائد المالية من مصر وملحقاتها توزع لتسديد قروض الخديوي اسماعيل العديدة وذات الفوائد الضخمة. كما ان الحملات المصرية على اثيوبيا في العام ١٨٧٥ و ١٨٧٦ قد كلفت وحدها مليون ليره عثمانية^(٣). وسواء كانت الازمة المالية ساهمت في ارغام الخديوي اسماعيل على بيع اسهم مصر في قناة السويس أم لم تسهم، فإنه يمكن القول إنها

(١) دخل دزرائيلي الحياة السياسية في ١٨٣٧، عندما جلس في مجلس العموم البريطاني بوصفه عضواً في حزب المحافظين، واصبح وزيراً للخزانة (شباط-كانون الاول ١٨٥٢)، ثم رئيساً للوزراء (شباط ١٨٦٨-كانون الاول ١٨٦٨) و (١٨٧٤-١٨٨٠). منح في ١٨٧٦ لقب إيرل فصار يلقب بايرل او لورد بيكونسفيلد Beaconsfield. لمزيد من التفاصيل انظر :-

The Columbia Encyclopaedia, U.S.A, columbia university press, 1963, Vol.I, p.833.

(٢) تمكنت بريطانيا في عهد حكومة دزرائيلي من شراء اسهم مصر في قناة السويس بمبلغ اجمالي مقداره اربعة ملايين جنيه. وبعد ابرام الاتفاقية اتضح ان الحكومة المصرية لم تكن تمتلك كل الاسهم التي حصلت عليها أول مره، وانها قد تصرفت في (١٠٤٠) سهماً، فهبط المبلغ الى (٣٩٧٦٥٨٢) جنيهها. مع ذلك فان الحكومة البريطانية قد استردت من الحكومة المصرية الجزء الاكبر من المبلغ، اذ كان اسماعيل قد تنازل لشركة القناة وبموجب اتفاقية ٢٣ نيسان ١٨٦٩ عن فوائد اسهم مصر لمدة (٢٥) عاماً تنتهي في ١٨٩٤، فلما باعت مصر اسهمها لبريطانيا طلبت الاخيرة ان تدفع لها مصر فوائد بنسبة ٥% من قيمة الثمن مقابل حرمان الحكومة البريطانية من ارباح الاسهم طوال هذه المدة، فكأن مصر قد باعت اسهمها لبريطانيا بمبلغ (١٤٣٠٩٨) جنيهها. انظر :-

Hurewitz, op.cit, pp. 178-180 ;

الشناوي، ما تكلفته مصر في انشاء قناة السويس ، ص ١٤٧ .

(3) Marston, op.cit, p. 489.

العامل الرئيس الذي أوصل الحكومة المصرية الى التوقف عن تنفيذ مشاريعها الافريقية.

في ٢٠ كانون الثاني ١٨٧٦ غادرت قوات ميكلوب باشا كسمايو متوجهة إلى السويس، بعد صدور تعليمات الخديوي اسماعيل الى قيادة الحملة بالانسحاب الكامل من المنطقة، لتعذر الاحتفاظ بها من الناحيتين القانونية والعسكرية. لكن لم يكن استدعاء الحملة من ساحل الصومال الجنوبي يمثل لدى الخديوي اسماعيل، وضمن منظوره الاستراتيجي، خاتمة طموحاته الامبراطورية في المنطقة، وتحقيق وحدة شمال شرق افريقيا تحت الحكم المصري، واحتكار التجارة في هذه المنطقة، والقضاء على تجارة الرقيق فيها. اذ قام الخديوي اسماعيل في كانون الثاني ١٨٧٦ عند لقائه بستانتون، وقبل عودة القوات المصرية من الجب الى السويس، بمفاتحته لتنفيذ مشروعه بالطرق الدبلوماسية، عندما طلب وساطة الحكومة البريطانية لدى سلطات زنجبار حتى يكف عن ادعاءاته في جنوب الصومال، ودعوة حكومته في مساعدته للحصول على ميناء في شرق افريقيا^(١)، مبرراً طلبه بتذكير بريطانيا بجهوده في مكافحة تجارة الرقيق، وبالنفقات المالية الطائلة التي بذلها لهذا الغرض في المديرية الاستوائية، كما أكد الخديوي اسماعيل في لقائه مع ستانتون على أهمية تحسين حركة التجارة العامة والبريطانية ولا سيما في تلك المنطقة^(٢).

بيد أن السياسة البريطانية أتجاه سلطنة زنجبار وممتلكاتها في جنوب الصومال كانت مطابقة لمطالب سلطان زنجبار بالمطالبة بالسيادة على جنوب الصومال، لأن المسؤولين البريطانيين في وزارة الخارجية كانوا أكثر ميلاً الى سلطان زنجبار من السلطات المصرية لتحقيق الأهداف البريطانية في تلك المنطقة، التي ازداد نفوذها فيها بعد التدخل المصري في جنوب الصومال، وما أحدثه من نزاع مع سلطات زنجبار عن تلك المصالح، وقد برزت بريطانيا من خلال سياسة جون كيرك قنصلها في زنجبار، بمظهر الحليف القوي الذي يحمي ممتلكات زنجبار من

(1) Turton, op.cit, p. 363.

(2) Marston, op.cit, p.489.

الأخطار الخارجية. في وقت كانت فيه معتقدات الخديوي اسماعيل في التأكيد على محاربة تجارة الرقيق وتكليف موظفين أوربيين بقيادة حملاته في شرقي إفريقيا سبباً مهماً في عدم اعتراض البريطانيين على أعماله التي كان مسؤولو وزارة الخارجية البريطانية على علم كافٍ بأهدافه الحقيقية من تلك الحملات، إذ أطلقت يده في شرق الصومال واثيوبيا مع التأكيد على الحفاظ على المصالح البريطانية، كما حدث في بربرة وبلهار. لكن الأمر الذي فاجأ البريطانيين في جنوب الصومال، هو التحرك غير المتوقع لقيادة الحملة المصرية إتجاه تلك المنطقة، وهي منطقة تدخل ضمن إهتمام النفوذ البريطاني في زنجبار. كما أن مشروع الربط بين اقليم البحيرات الاستوائية وساحل شرق إفريقيا، وما سيحمله من احتكار لتجارة المنطقة يعد تهديداً مباشراً للمصالح البريطانية في تلك المنطقة، التي ترى بريطانيا انها من تقوم بتنفيذه لا أحد غيرها،

وبناء على ذلك شهد شتاء ١٨٧٥-١٨٧٦ نهاية حلم الخديوي اسماعيل الامبراطوري في شمال شرق إفريقيا، وهو مشروع بدأ وبشكل جدي ومتواصل منذ العام ١٨٦٥، وكان الهدف الرئيس من تنفيذه هو تغيير منطقة البحر الاحمر مع افتتاح قناة السويس، من مجرد منطقة تقع خلف المحيط الهندي الى طريق رئيسي، وهناك العديد من الدلائل التي تشير الى ان التصور الحقيقي للمشروع كان يشمل احتلال مصر للجزيرة العربية أو اليمن، الا ان هذه الخطة لم تنفذ لتخوف الخديوي اسماعيل من تجربة محمد علي باشا السابقة في الساحل الشرقي للبحر الاحمر، وعليه توجه الخديوي اسماعيل الى الساحل الغربي للبحر الاحمر ومنابع النيل، التي كانت لا توجد فيها اية سلطة حكومية^(١).

وقد أكدت الحكومة البريطانية بعد فشل الخديوي اسماعيل ضم اثيوبيا الى ممتلكاته، وتزايد النشاط الإيطالي في عصب، وتأكيد فرنسا على تبعية اوبوك لها، على ضرورة استئناف المفاوضات مع الحكومة المصرية لتسوية مسألة السيادة على الصومال. وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد أرسلت مسودة معاهدة بهذا

(1) Marston, op.cit, p. 486.

الشأن الى القاهرة منذ تشرين الثاني ١٨٧٥، وتأخر ردها بسبب حملة ميكلوب باشا الى المحيط الهندي. وفي نيسان ١٨٧٦ ابدى ستانتون للخدوي اسماعيل استعداد حكومته للاعتراف بسلطته الشرعية على ساحل الصومال حتى غردافوي، مقابل تعهد الخديوي اسماعيل بفتح موانئ تاجوره وزيلع وبلهار وبربرة للتجارة الحرة^(١)، ولكن الخديوي اسماعيل اعترض على تحديد حقوق السيادة المصرية على ساحل الصومال عند غردافوي، مؤكداً ان القوات المصرية سبق ان سيطرت على رأس حافون، التي لم يعلن سلطان زنجبار المطالبة بها. كما اعترض الخديوي على جعل ميناء زيلع ميناءً حراً، لان من شأن ذلك تعريضه لخسائر فادحة، خاصة وان الخزينة المصرية تدفع للدولة العثمانية جزية سنوية مقدارها (١٥) ألف جنيه مقابل جباية الضرائب الكمركية من هذا الميناء، وبالتالي فإن مواد هذه المعاهدة التي تؤكد عدم سيطرة مصر على الاراضي الصومالية الجنوبية الى نهر الجب، ستؤدي حتماً الى عدم امكانية الحكومة المصرية بالغاء تجارة الرقيق^(٢).

ولما كانت الحكومة البريطانية قد عارضت مسبقاً امتداد الحكم المصري الى مصب نهر الجب، وامتلاك اراضي تابعة لزنجبار، فإن مساومة الخديوي اسماعيل لم تكن مقبولة من الحكومة البريطانية بهذا الشأن، لا سيما أن الازمة المالية المصرية قد جعلت من "امبراطوريتها هيكلاً أجوف"^(٣). وغير قادرة على التأثير في المفاوضات وفرض شروط تبغي تنفيذها في الصومال. ولذلك اقترح اللورد سالزبري أن ترد وزارة الخارجية البريطانية على طلب الخديوي اسماعيل بتوجيه إنذار إليه بقصر حدود سيطرته على ساحل الصومال حتى رأس حافون، والا فان بريطانيا سوف تعامل القبائل الصومالية على انها مستقلة عن

(1) Marston, op.cit, p. 486 ;

حراز، أرتيريا الحديثة...، ص ١١٣

(2) Ibid, p. 493.

(3) Ibid, p. 493.

الحكم المصري^(١). وأزاء هذا التهديد البريطاني استسلم الخديوي إسماعيل لمطالبات الحكومة البريطانية، وأبرمت المعاهدة المصرية-البريطانية في ٧ أيلول ١٨٧٧^(٢)، حول اعتراف حكومة بريطانيا بحقوق مصر الشرعية تحت سيادة الدولة العثمانية على الساحل الصومالي حتى رأس حافون، مقابل ألا تتقاضى الحكومة المصرية رسوماً كمركية من السفن البريطانية تزيد عن ٥% في كل من تاجورة وزيلع. كما تعهد الخديوي إسماعيل بموجب المعاهدة المذكورة بعدم التنازل عن أي جزء من أراضي الساحل الصومالي لاية دولة أخرى، وبتعيين قناصل لها في تلك المناطق، وبمنع السفن البريطانية التي تستخدم للقضاء على تجارة الرقيق كامل الحقوق على طول الساحل، وبمنع تجارة الرقيق على تلك السواحل^(٣).

كانت المعاهدة بالنسبة لمصر نصراً عديم الفائدة، فباستثناء اعتراف الحكومة البريطانية بسيطرة مصر على الساحل الصومالي المقابل لعدن، كواقع حال للوضع الدولي الناشئ عن سيطرة مصر على تلك المناطق، فإن المعنى الحقيقي للسيطرة المصرية لتلك المناطق، قد تلاشى في اليوم الذي هزم فيه الأنثيوبون القوات المصرية في ١٠ آذار ١٨٧٦، ومنذ ذلك الوقت أصبحت امبراطورية الخديوي إسماعيل الإفريقية، على حد تعبير مارستون، "شيئاً صورياً"^(٤). أما بريطانيا فقد كان الهدف الرئيس من عقد هذه المعاهدة، هو المحافظة على مصالحها في منطقة البحر الأحمر، وضمان تفوق نفوذها أمام المنافسة الفرنسية في أوبوك والإيطالية في عصب، وإبعاد أي محاولة أوربية للاستيطان في تلك

(1) Marston, op.cit, p. 494 ;

يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ٨٢ .

(٢) انظر: نص الاتفاقية في ملحق رقم (٤)

(2) F.O.195-1225, Bombay Gov.to.C.U.Aitchison, Memorandum on the dupution The Somal Coast 1877-1879, No-211, Datad 11th October, 1879, p.3 ;

الجميل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر...، ص ص ٣٥١-٣٥٢ ؛ جندي وتاجر، المصدر السابق، ص ٤٣ .

(3) Marston, op.cit, p. 493.

المناطق، وتأكيد حقوق السلطة المصرية على تلك المنطقة من خلال المادة التي تشمل تعهد الحكومة المصرية ألا تتنازل عن أي جزء من الساحل الى دولة اجنبية، انسجاماً مع بنود معاهدة لندن لسنة ١٨٤٠ وباريس لسنة ١٨٥٦ والرامية الى الحفاظ على ممتلكات الدولة العثمانية. وكانت حكومة دزرائيلي المحافظة قد عمدت الى توجيه السياسة البريطانية نحو المسألة المصرية التي كانت من اكثر القضايا إثارة في المسألة الشرقية بهذا الاتجاه، لحماية المصالح البريطانية السياسية والاقتصادية، من اشتداد الخطر الروسي على الدولة العثمانية، امام اشتداد المنافسة الفرنسية لها على مصر، وهو الذي جعل حكومة دزرائيلي تفسح المجال أمام الخديوي اسماعيل لتحقيق مشاريعه الطموحة في بناء دولة حديثة، وامبراطورية مترامية الاطراف في شرق افريقيا، من خلال تقديم القروض المالية والمستشارين والنصائح لشؤونه المالية والعسكرية، لأجل الوصول الى الوقت المناسب لاستخدام نفوذ بريطانيا المالي لتقويض المشاريع المصرية من الداخل وإخضاع مصر لهيمنتها الاقتصادية والسياسية. وكان الخديوي اسماعيل بسبب غياب أي تخطيط مالي لمشاريعه العسكرية وبيعه لكل شئ يمكن ان يبيعه حتى حصة مصر في قناة السويس، قد فسح المجال واسعاً لبريطانيا كي تكون صاحبة النفوذ الرئيس في مصر، ولا سيما بعد النتائج التي نجمت عن الحملة المصرية على اثيوبيا.

موقف بريطانيا من النزاع المصري - الاثيوبي ١٨٦٩ - ١٨٨٢

كان لسياسة التوسع التي انتهجها الخديوي اسماعيل في الصومال أثرها الكبير في العلاقات المصرية - الاثيوبية، بكل ما تحمله من انعكاسات مهمة على منطقة القرن الافريقي، فمنذ عهد محمد علي باشا كانت تشهد توتراً واضحاً بين الطرفين لاسباب سياسية وتجارية مرّ ذكرها في الفصل الاول، وعندما تولى الامبراطور الاثيوبي ثيودور الثاني الحكم تبنى خطاً توسعية للحصول على منفذ على ساحل البحر الاحمر، فتحالفت حكومة الخديوي اسماعيل رسمياً مع بريطانيا في حربها ضد اثيوبيا في العام ١٨٦٧/١٨٦٨، ثم تولى حكم اثيوبيا يوحنا الرابع Yohannes

IV (١٨٧٢-١٨٨٩)، الذي عرف بعدائه للإسلام، ورغبته في توسيع حدود اثيوبيا لتشمل بوغوص^(١)، وحماسين، ومتمة، وجزء من سنار^(٢). وعلى الرغم من ان الأثيوبيين لم يمارسوا اية سلطة حقيقية على هذه المناطق من قبل، لكن الاساس الوحيد الذي اعتمد عليه يوحنا الرابع في هذا المطلب، هو ان غالبية سكان هذه المناطق من القبائل الاثيوبية المسيحية^(٣)، وفي حالة دمج هذه المناطق مع اثيوبيا ستصل حدودها الى الحدود الطبيعية للهضبة الاثيوبية، التي يعدها يوحنا الرابع الحدود السياسية الفعلية لاثيوبيا، وهذا ما ادى الى تصادم المصريين والأثيوبيين في التاكه وبوغوص.

كانت الحكومة المصرية بعد سيطرتها على قائمقاميتي سواكن ومصوع في العام ١٨٦٥، قد أدركت اهمية ربط ميناء مصوع بالنيل الازرق غربي اثيوبيا، لتنمية النشاط التجاري واستقرار الاوضاع العامة هناك، وكان لابد لهذا الطريق المؤدي الى شمال اثيوبيا ان يمر ببوغوص، التي توصف ببوابة اثيوبيا الشمالية، ولذلك اصبح ميناء مصوع أفضل قاعدة للسيطرة على المناطق الداخلية التي تقع خلف مصوع، ومنع الاعتداءات الاثيوبية على حدود السودان الشرقية.

وتنفيذاً لهذا المشروع، قام الخديوي اسماعيل بتعيين فريز منزجر حاكماً لمصوع في أيلول ١٨٧١، ثم أحييت سواكن ايضاً الى عهده في نيسان ١٨٧٢، فأصبح محافظاً لمصوع وسواكن وملحقاتهما، التي تشمل توكر وعقيق الواقعتين على ساحل البحر الاحمر بين سواكن ومصوع^(٤)، فضلاً عن القضايف، واميديب وبركه^(٥). وكانت مهمة منزجر هي القضاء على تجارة الرقيق في هذه المناطق،

(١) تقع بوغوص على بعد (١٢٠) ميل شمال غرب مصوع، وتسمى حالياً محافظة كرن.
(2) Marston, op.cit, p.465.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن طبيعة سكان تلك المنطقة. انظر:-
Lipsky, George Arthur, Ethiopia, its people, its society, its culture, New York, Harf, 1962.

(٤) الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر...، ص ص ١٢٩-١٣٠.

(٥) حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، ص ١١٨.

وتعزيز السيطرة المصرية على حدود السودان الشرقي وضم بوغوص الواقعة بين التاكه ومصوع الى الممتلكات المصرية لربط بعضها ببعض "وكضرورة حربية لوقف حملات الاحباش وحماية حدود مصر في السودان الشرقي" على حد قول منزجر^(١).

وكانت الحكومة المصرية وبالتشاور مع منزجر قد حاولت التوصل الى حل سلمي مع اثيوبيا وعقد معاهدة تجارية مع الملك يوحنا الرابع^(٢)، تتعلق ببسط النفوذ المصري على الطريق التجاري بين مصوع وتيجري. الا ان يوحنا الرابع رفض عقد تلك المعاهدة، لما تحمل من عوامل ضغط على اثيوبيا، وتشديد الخناق على الممر الرئيس الذي تمر من خلاله تجارة شمال اثيوبيا الى ميناء مصوع. كما انكر يوحنا الرابع شرعية سيطرة مصر على الاراضي المتاخمة لتيجري بين الساحل ونهر العظيرة، لكونها -وكما يدعي- تعود الى اثيوبيا منذ أيام محمد علي باشا، وأن الاسس التي اعتمد عليها المصريون للسيطرة على الساحل الافريقي للبحر الاحمر من قناة السويس الى بربرة باطلة^(٣).

وعلى اية حال لم يؤثر موقف يوحنا الرابع من المعاهدة المصرية في تصميم الخديوي اسماعيل على ضم بوغوص الى مصر، إذ قرر في آيار ١٨٧٢ الهجوم على بوغوص مستغلاً الاضطرابات الداخلية في اثيوبيا، وانشغال يوحنا الرابع مع قبائل الغالا^(٤). وفي ٢٥ آيار خرج منزجر من مصوع على رأس قوة بلغت (١٢٠) جنديا تجاه بوغوص. وفي ٤ حزيران تمكن منزجر دخول بوغوص من دون مقاومة^(٥)، وان يعلن ضم المنطقة الى مصر، بعد أن أبدى سكان حماسين في اثناء احتلال بوغوص استعدادهم للدخول تحت الحكم المصري. كما قام منزجر

(١) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٩٤؛

Trevaskis, op.cit, p.7.

(2) Marston, op.cit, p.480.

(3) Sellassie, Zewd, Gabre, Yohannes IV of Ethiopia apolitical Bliography, Oxford, Clarendon, 1975, pp. 42-43.

(4) Erlich, Haggai, Alula, The son of Qubi: Aking's Man in Ethiopia, 1875-1897, The Journal of African history, Vol-XV, Number.2, Cambridge, University, London, 1974, pp. 264-265.

(5) Rubenson, The Survival, p.295.

بشراء ايليت Ailet الواقعة بين حماسين ومصوع من حاكمها الرأس محمد وخصص له راتباً سنوياً تدفعه الحكومة المصرية^(١). وبذلك أصبحت مصر تجاور اثيوبيا من الشمال والشرق.

وعندما علم يوحنا الرابع باحتلال المصريين لبوغوص؛ قام بتحشيد قواته على طول حدوده الشرقية في اديابو Adiyabo ودمبيلس Dembelas وسراين Serayen^(٢)؛ خشية أي توغل مصري نحو الاراضي الاثيوبية، ولتعزيز موقفه العسكري في جبهة تتصدى للقوات المصرية في بوغوص وحماسين ثم عاد يوحنا الرابع الذي استلم مقاليد حكم اثيوبيا في كانون الثاني عام ١٨٧٢، أي قبل ستة أشهر من احتلال المصريين لبوغوص وحماسين، الى استخدام الاسلوب الدبلوماسي، بدلاً من ان يعلن الحرب على مصر، بسبب النزاعات الداخلية في اثيوبيا^(٣) وعدم التكافؤ بين الطرفين. إذ قام في ٣ حزيران ١٨٧٢ بتقديم مذكرة احتجاج الى الحكومة المصرية، إدعى فيها بأن بوغوص تابعة لاثيوبيا وان حماسين كانت عاصمة لبلادهم. ومع ذلك، اقترح على الحكومة المصرية أن تحتفظ ببوغوص، وان لا تحاول الاستيلاء على غيرها من الاراضي الاثيوبية، في مقابل السماح لاثيوبيا باستخدام ميناء مصوع للاغراض التجارية. الا ان الحكومة المصرية رفضت عرض يوحنا الرابع^(٤)، لتعارضه مع الاهداف المصرية الرامية الى توسيع مناطق نفوذها لتشمل الطريق التجاري المؤدي الى اثيوبيا، ولا سيما ان

(١) حراز، التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا...، ص ١٩٨؛ عبده، علي ابراهيم، المنافسة الدولية في اعالي النيل ١٨٨٠-١٩٠٦، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٣٤؛ تركي، المصدر السابق، ص ٢٢٨.

(2) Sellassie, op.cit, p. 48.

(3) كانت اثيوبيا بعد الحملة البريطانية ١٨٦٧/١٨٦٨ وانتحار ثيودور، تنقسم الى عدة اجزاء مستقل كل منها بإدراته الداخلية، فقد تولى يوحنا الرابع الحكم في المناطق الشمالية من البلاد، ومنليك الثاني الذي لقب نفسه بالملك ايضاً الحكم في شوا، ولم يكن لهذين الملكين أية سلطة على أبناء قبائل الغالا، الذين كانوا من القوة ما يجعلهم قادرين على شن الغارات على القرى التابعة للملكين. لمزيد من التفاصيل. انظر:-

Sellassie, op.cit, pp.42-120 ; Darkwah, op.cit, p. 57-100.
(4) Rubenson, The Survival, p. 297.

عائدات قائممقامية مصوع، ومن ضمنها الطريق التجاري مصوع-بوغوص-تيجري، كانت تقدر بعد الحملة البريطانية على اثيوبيا في ١٨٦٧/١٨٦٨، بحوالي (٥٠) ألف ليرة عثمانية^(١). ولذلك عملت الحكومة المصرية على زيادة قواتها المرابطة في مصوع وبوغوص^(٢).

وإزاء هذا الضغط المصري على الحدود الشمالية الشرقية لاثيوبيا، وعدم استجابة الخديوي اسماعيل لعرض يوحنا الرابع الهادف الى الانسحاب من بوغوص كانت الخطوة الثانية في دبلوماسية يوحنا الرابع، هي ارسال بعثة الى الدول الأوروبية، للاعتراف بحكم يوحنا الرابع في اثيوبيا، وحثهم على التدخل لوقف التحرك العسكري المصري نحو اثيوبيا، وما يحمل من تهديد على أمن اثيوبيا وسيادتها. وكان يوحنا الرابع قد اختار كيركهام Kirkham، وهو أحد الضباط البريطانيين الذين شاركوا في الحملة البريطانية على اثيوبيا ودخل في خدمة يوحنا الرابع، مبعوثاً رسمياً، وزوده برسائل عديدة مؤرخة في ١٣ آب ١٨٧٢ الى الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا، وفرانسيس جوزيف Francis Josef امبراطور النمسا (١٨٣٠-١٩١٦/١٨٤٨-١٩١٦)، والاسكندر الثاني Alexander II قيصر روسيا (١٨١٨-١٨٨١/١٨٥٥-١٨٨١)^(٣)، يطلب فيها التدخل لفض النزاع الاثيوبي المصري منذ بدايته، وحمل الحكومة المصرية على الانسحاب من بوغوص وحماسين بالطرق السلمية، ومساعدة اثيوبيا للحصول على ميناء حنفيل وسهول انكو Anku؛ لتحسين الوضع الاقتصادي المتدهور^(٤).

(1) Marston, op.cit, p. 463.

(٢) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٩٥.

(3) Rubenson, The Survival, p. 304 ; Sellassie, op.cit, p. 48.

هذا ولم تكن لاثيوبيا علاقات دبلوماسية مع روسيا القيصرية في ذلك الوقت، فقد حمل رسالة يوحنا الرابع الى قنصل روسيا في اسطنبول تجار يقيمون في القدس. كما تذكر المصادر الروسية انه لا وجود لاية وثيقة او مصادر تشير الى خضوع اثيوبيا للكنيسة الارثوذكسية في روسيا، او الاجابة على طلب يوحنا الرابع. لمزيد من المعلومات عن الموضوع انظر:-

Jesman, Czeslaw, Early Russian Contacts With Ethiopia, Proceedings of the third international, Addis Ababa, 1969, pp. 253-267.

(4) Sellassie, op.cit, p. 49.

ولبيان موقف الحكومة البريطانية من النزاع المصري- الاثيوبي حول بوغوص، بعثت الحكومة البريطانية برقية الى ستانتون في تشرين الثاني ١٨٧٢، تطلب فيها تفسيراً لتلك التحركات المصرية على الحدود الاثيوبية واهدافها، وقد أجاب الخديوي اسماعيل نافياً اية نية لغزو اثيوبيا، مؤكداً أن ما تهدف اليه مصر هو تعزيز حمايتها العسكرية هناك، بسبب رفض القيادة الاثيوبية الاعتراف بتبعية بوغوص لمصر^(١). كما اعلنت الحكومة المصرية تمسكها بميناء حنفيل، واحتجت على ما أعلنه يوحنا الرابع في رسائله الى الدول الاوربية^(٢)، واستشهدت بملكية مصر لتلك المنطقة بما سبق ان طلبته الحكومة البريطانية من الدولة العثمانية بالسماح بانزال قواتها بميناء زولا في الحرب الاثيوبية-البريطانية. كما أن الحكومة المصرية أكدت انه ما كانت الحكومة البريطانية تطلب هذا الطلب لو لم تكن الدولة العثمانية تسيطر على تلك المنطقة. ويبدو أن الحكومة المصرية في العام ١٨٧٢ كانت صادقة في عدم رغبتها في مهاجمة اثيوبيا، لا سيما ان اهتمام الخديوي اسماعيل بتوسيع حدود ملكه كانت تشمل حينذاك ساحل البحر الاحمر الغربي، وأهم الموانئ فيه الى حد مضيق باب المندب، وكان مشغولاً بتنظيم الإدارة في تلك المناطق.

في كانون الثاني ١٨٧٣، أحال الخديوي اسماعيل مديرية التاكه لإدارة منزجر باعتباره محافظاً لقائمقاميتي سواكن ومصوع وملحقاتهما، وأصبح يلقب بمدير عموم شرقي السودان ومحافظ سواحل البحر الاحمر^(٣)، أي من سواكن في الشمال الى رهيفة في الجنوب، بما في ذلك بوغوص والتاكه. وفي آذار ١٨٧٣ تجددت الادعاءات الاثيوبية بتبعية تلك المناطق لها. كما وقعت في نيسان ١٨٧٣ اشتباكات حدودية بين الطرفين في منطقة ايماسا Eimasa في التاكه، عندما قامت

(1) Marston, op.cit, p. 464 ;

اباظه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٤٣.

(2) Rubenson, op.cit, p. 305.

(٣) الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر...، ص ١٣٨.

قوة اثيوبية مؤلفة من (٥) آلاف جندي بمهاجمة المدينة^(١). الأمر الذي أثار حفيظة الخديوي اسماعيل الذي كان قد أكد سابقاً لستانتون عدم مهاجمة الأثيوبيين، وأمر في نيسان ١٨٧٣ بإرسال (٢٠٠٠) جندي مصري الى مصوع؛ لتعزيز قوة الحاميات العسكرية في المنطقة، واستخدامها لاحتلال القلايات التي ضمت الى مصر في آيار ١٨٧٣^(٢).

كان تقدير الحكومة البريطانية للتحرك المصري، على حد قول تتردين مساعد وزارة الخارجية البريطانية "بأنه نزاع حدودي محلي، ولم يكن في مقدرة يوحنا الرابع عمل شئ أزاءه"^(٣)، لانه ينطوي على تهديد كبير على أمن وكيان اثيوبيا، لذلك قام اللورد جرانفيل Lord Granville مساعد وزير الخارجية البريطاني (١٨١٥-١٨٩١/١٨٧٠-١٨٧٤) باستطلاع رأي الحكومة الفرنسية^(٤)، فوجد أن وجهة نظرهما كانت متفقة حول ضمان سيادة وأمن اثيوبيا، وعلى ضرورة تقديم احتجاج الى الدولة العثمانية يشجبان فيه العمل المصري المسلح في المناطق الحدودية الاثيوبية الشمالية والشرقية^(٥).

ادت سيطرة المصريين على بوغوص في العام ١٨٧٢، ومينائي بلهار وبربرة في العام ١٨٧٤ وزيلع وتاجوره في العام ١٨٧٥، الى احاطة اثيوبيا بطوق يكاد يكون تاماً وبعيداً عن البحر الاحمر، فمن جهة الشمال كانت تجاور

(1) Rubenson, The Survival, p. 313 ; Sellassie, op.cit, p. 64.

(2) Sellassie, op.cit, p.70 ; Keller, op.cit, p. 29.

(3) Marston, op.cit, p. 464.

(٤) الجدير بالذكر ان القنصل الفرنسي في مصوع سارزاك والقساوسة الكاثوليك الفرنسيين في بوغوص، قد قاموا بتحريض يوحنا الرابع على الاستعداد للحرب ضد المصريين، مقابل تعهدهم بحث حكومتهم على تقديم المساعدة له، والسماح للبعثات الكاثوليكية الفرنسية بمزاولة اعمالهم في بوغوص وبناء الكنائس في اثيوبيا، الا ان بعد استطلاع البريطانيين في عدن تبين ان هؤلاء الفرنسيين في بوغوص ليسوا اكثر من مهربي اسلحة ومغامرين. انظر

Marston, op.cit, p. 464.

(5) Ibid, p. 465.

بوغوص ومن جهة الشرق مصوع ومن جهة الجنوب الغربي تاجورة وزيلع، فضلاً عن مجاورتها من الغرب للسودان الذي كان منذ عهد محمد علي باشا تحت الحكم المصري. ولذلك كان لامتلاك مصر لساحل البحر الأحمر الأفريقي من قناة السويس إلى رأس غردافوي، والتحكم في جوانبه السياسية والإدارية والتجارية، دور مهم في زيادة النشاط المصري في منطقة القرن الأفريقي، ولا سيما بعد سيطرتها على ميناء زيلع، الذي يعادل في أهميته ميناء عدن، لكونه يعد منفذاً رئيساً للأقاليم الداخلية الصومالية والاثيوبية. ولذلك سعت الحكومة المصرية ولأجل تنفيذ سياستها الأفريقية إلى السيطرة على مناطق ما وراء مينائي زيلع وتاجورة، وبشكل تدريجي لأقامة سلسلة من المراكز والسيطرة على المناطق الحاجزة بين الساحل واثيوبيا، وعلى الطرق التجارية المؤدية إليها. وكانت هذه الخطة المصرية تمثل جزءاً مهماً لربط بعض نواحي الامبراطورية المصرية ببعض في شمال شرق افريقيا ، التي استندت بالدرجة الأساس الى مشروع غوردن وتركيزه على ربط المديرية الاستوائية بساحل شرق افريقيا.

ولتحقيق ذلك المشروع شهد العامان ١٨٧٥ و١٨٧٦ تنفيذ خطة التوسع المصرية، وكان موقع اثيوبيا من سياسة الخديوي اسماعيل الأفريقية، ان تكون جزءاً من تلك الامبراطورية من خلال تضيق الخناق عليها، اما عن طريق السيطرة على المناطق المحيطة بها، أو أن تكون منطقة تابعة للنفوذ المصري، وفي كل الاحوال توجه ضربات مصرية على طول الحدود الاثيوبية من الشمال حيث الحدود السودانية-الاثيوبية او من جهة الجنوب من أسفل ساحل البحر الأحمر عن طريق هرر. وفي ١٧ أيلول ١٨٧٥ صدرت تعليمات الخديوي اسماعيل باطلاق حملة مصرية بقيادة محمد رؤوف باشا للسيطرة على هرر، التي كانت بمثابة حملة تطويق لاثيوبيا من الاتجاه الجنوبي الشرقي، وسبباً بارزاً في زيادة حدة التوتر النزاع المصري-الاثيوبي. اذ زاد الاثيوبيون من شدة هجماتهم على ارتيريا، عندما هاجموا حماسين واضطر سكانها الى الفرار طلباً للنجاة، وتهديدهم بعبور الحدود الى الاراضي المصرية، بعد تعسكرهم بالقرب من

بوغوص ومصوع. وكان هدف التحرك الاثيوبي الى هذه المناطق، وكما ذكر بيرد سلي Beardsley القنصل الامريكي لحكومته في ٢٩ ايلول ١٨٧٥، هو استرجاع اقليم بوغوص ومد حدودهم الى ساحل ارتيريا^(١).

وهكذا تعددت الاسباب التي ادت منذ العام ١٨٦٥ الى تدهور العلاقات المصرية-الاثيوبية، ولم يعد بالامكان تجنب الحرب بين الطرفين، فقد قامت الحكومة المصرية- بهدف حماية حدودها مع اثيوبيا، وحسم النزاع الحدودي بين الطرفين، واستقرار الاوضاع العامة في المنطقة الحدودية، وتشجيع النمو التجاري فيها، واستثمار العوائد المالية المتأتية من بوغوص وميتمه والقرى الساحلية التي قدرت بـ (٩٥) ألف دولار مضافاً اليها (٦٠) ألف دولار يتم جمعها كضريبة عن الملح^(٢) - قامت باصدار قرار في ايلول ١٨٧٥ يقضي باطلاق حملتين، كانت الاولى بقيادة الكولونيل ارندروب Arendrup الدنماركي الجنسية، ومهمته إعادة احتلال حماسين؛ لأجل دعم مركز مصرفي تلك الجهات، واقامة منطقة حاجزة لحماية حدود السودان الشرقي^(٣). والحملة الثانية بقيادة منزجر ومهمته الزحف من تاجورة وعلى الساحل الصومالي عبر اقليم عيسى الى سلطنة اوسة، وتقع على بعد (٣٠) فرسخاً^(٤) عن تاجورة، وان يقوم باحتلال اوسة وبفتح الطريق الى شوا وعقد معاهدة مع منليك الثاني حاكم شوا، لتأمين الحدود المصرية من الجنوب حيث هرر، عندما تكون قوات ارندروب باشا مشغولة بمحاربة قوات يوحنا الرابع في حماسين؛ لتشكل ورقة ضغط على يوحنا الرابع لعقد معاهدة صلح مع

(١) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ١٠٢.

(2) Marston, op.cit, p. 468.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حملة ارندروب انظر:-

Mcedye, William, Moslem Egypt and christian Abyssinia or Military Service under the Khedive in his Province and beyond their borders As Experienced, New York, Negro universities, 1969, pp. 403-425.

(٤) الفرسخ League قياس للطول وهو ثلاثة اميال او خمس كيلومترات، وبذلك تقع اوسة بين ٩٠ - ١٥٠ كم^٢ عن تاجورة. انظر:-

Longman Dictionary of Contemporary English, Bath England, Longman Group Ltd, p. 623.

مصر. وحلقة مهمة لتعزيز الروابط التجارية بين شوا وساحل الصومال الشرقي الخاضع للحكم المصري^(١).

كان موقف الحكومة البريطانية من خطط الخديوي اسماعيل إتجاه المناطق المتاخمة لاثيوبيا، وتجهيزه للحملتين المذكورتين، أوضحه قرار اللورد دربي برفع يد بريطانيا عن الخلافات المصرية-الاثيوبية، وهو الامر الذي أعطى الضوء الاخضر للخديوي اسماعيل للعمل بحرية، ليس في المناطق الشمالية فحسب، بل في بلاد الغالا الواقعة جنوب غرب اثيوبيا أيضا^(٢). ويبدو قرار الحكومة البريطانية بالموافقة على توجه مصر نحو تلك المناطق، يعود الى الصراعات الحدودية المتواصلة هناك، والناجمة عن غياب حكومة قادرة على فرض سيطرتها على المنطقة، فضلاً عن هدف السياسة البريطانية الرئيس المتمثل بارهاق الميزانية المصرية بتكاليف المشاريع العسكرية الباهضة الثمن. لذلك جاء فسخ المجال أمام مصر لدمج هذه المناطق الواقعة بين الساحل واثيوبيا الى الممتلكات المصرية، مشروطاً باحترام الحدود الطبيعية لاثيوبيا وعدم التجاوز على سيادتها.

وعليه وصل أرندروب مصوع في ٢٦ آيلول ١٨٧٥، على رأس قوة مؤلفة من (٣٢٠٠) جندي، وكانت قوات يوحنا الرابع قد استولت على حماسين وأقامت فيها حامية عسكرية للدفاع عنها، وعندما سمعت بوصول أرندروب الى مصوع انسحبت هذه القوة في ٣٠ تشرين الاول ١٨٧٥، ودخلت قوات أرندروب حماسين وسيطرت عليها^(٣)، ولكي يوقع الاثيوبيون بقوات أرندروب، انسحبوا الى عدوة، لتشجيع القوات المصرية للتقدم الى الداخل. وفي ١٧ تشرين الثاني تحركت قوات أرندروب تجاه عدوة، حيث كانت قوات يوحنا الرابع قد جمعت قوة كبيرة تبلغ نحو (٣٠) ألف مقاتل تترصد للقوات المصرية. وفي ليلة ١٨ على ١٩ تشرين

(1) Marston, op.cit, p.318 ; Marcus, Harlod, The life and times of Menelik II, Oxford, Clarendon Press, 1975, pp.37-38.

(2) Marston, op.cit, p.468 ; Buxton, David, The Abyssinians, Great Britain, 1970, p. 57.

(3) GreenField, op.cit, pp. 88-89 ;

الثاني ١٨٧٥ وقعت المعركة التي سميت جوندت Gundet أو جويدي جويدي Guidi Guidi بالقرب من عدوة وانتصرت فيها القوات الاثيوبية بعد ان قتلت ارندروب^(١). الا أن مصير حملة منزجر لم يكن بأحسن حال من حملة ارندروب، فقد هاجمت قبائل الدناكل والعيسى الصوماليتين معسكر منزجر بالقرب من بحيرة عسل في ١٦ تشرين الثاني ١٨٧٥، وقتلوا منزجر واسرته وحراسه، واخذوا كل ما وجدوه من سلاح وذخيرة^(٢).

احدثت هزيمة الجيش المصري في جوندت والقضاء على حملة منزجر تأثيراً سيئاً في مصر، وباتت الحكومة المصرية تخشى من تأثير هذه الهزائم التي نزلت بالقوات المصرية على الحكم المصري للسودان، ولذلك سرعان ما اتخذت الاجراءات اللازمة لأرسال حملة جديدة مؤلفة من (١٢) ألف مقاتل بقيادة راتب باشا للانتقام من الأثيوبيين والاستيلاء على عدوة^(٣). وفي هذه الاثناء، أبلغت وزارة الخارجية البريطانية ستانتون بضرورة اخبار الخديوي اسماعيل بان مشروع غزو اثيوبيا سيكون مهلكاً سياسياً ومالياً، فأجاب الخديوي اسماعيل ستانتون مؤكداً له بانه ليس لديه اية مخططات إتجاه اثيوبيا، اكثر من تسوية النزاعات الحدودية^(٤). ويبدو أن الخديوي اسماعيل كان هدفه هو تبرير موقفه امام المعارضة البريطانية لغزو اثيوبيا، واستخدام غطاء النزاعات الحدودية ما بعد حملة ارندروب سبباً للسيطرة على اثيوبيا.

وفي ٢٥ كانون الاول ١٨٧٥، زحفت قوات راتب باشا الى مصوع- وفي كانون الثاني عام ١٨٧٦ وصلت الى كورا Gura، الواقعة على بعد ٨٠ ميلاً عن مصوع، وفي ٧ آذار اشتبك الطرفان المصري والاثيوبي في قتال عنيف الى العاشر من آذار ١٨٧٦ وكانت القوات المصرية قد تحملت خسائر جسيمة، فقد

(1) Mcedye, op.cit, p. 402 ; Leroux, Ernest, Histoire Dela Conquete De L'Abyssinie, Paris, 1897, pp. 161-164.

(٢)الرافعي، عصر اسماعيل، ص١٤٥؛ المختصر في تاريخ مصر، حققه وعلق عليه الدكتور على عبد المنعم شعيب، بيروت د.ت، ص ص ٣٧٨-٣٧٩.

(3) Rubenson, The Survival, p. 335.

(4) Marston, op.cit, p. 481.

قتل (٣٥٠٠) مقاتل وجرح مابين ١٣٠٠-١٦٠٠ مقاتل^(١)، فضلاً عن آستيلاء الأثيوبيين على كل المواقع المصرية، حتى انتهت المعركة بانسحاب المصريين الى مصوع، وعرض يوحنا على راتب باشا الصلح وعقد الهدنة^(٢).

مثلت معركة كورا خاتمة مشاريع الخديوي اسماعيل في شرق افريقيا لربط بعضها بالآخر تحت الحكم المصري، اذ كلفت الحملات المصرية على اثيوبيا الخزينة المصرية ما يقارب مليون ليرة عثمانية^(٣)، في وقت كانت فيه حالة مصر المالية تسوء يوماً بعد آخر. ولذلك لم تكن مصر في حاجة لخوض حروب في منطقة جبلية وعرة لا يسهل على دولة أجنبية ان تسيطر عليها أو تجتاز وعورتها دون ان تتكبد خسائر وضحايا كبيرة، وربما يعود سبب ذلك الى مغالاة الخديوي اسماعيل بأهمية التجارة الاثيوبية وطبيعة البلاد الغنية، التي كانت تتركز في ثلاث مناطق رئيسه، وهي تيجري، وغوندار، وشوا، والتي تشكل الحواجز الطبيعية فيها عقبة أمام الطرق التجارية^(٤)، ولذلك كان الهدف التجاري للخديوي اسماعيل لا يبرر دون شك المبالغ المالية الباهضة جداً، إلا إذا كان المبرر الوحيد لهذه الغزوات هو سوء التدبير الذي انهى تلك الحملات بالهزيمة والخسارة.

اما اثيوبيا فقد عززت الانتصارات العسكرية في حربي جوندات وكورا من موقف يوحنا الرابع امام منافسيه على عرش اثيوبيا، وحافظت على وحدة اثيوبيا (ما عدا شوا) واستقلالها، وزادت من قوة مقاومتها اتجاه أي قوة غازية، الامر الذي يثير السؤال الاتي: لماذا لم ينتهز يوحنا الرابع فرصة انتصاره في المعارك

(١) يذكر ان الامير حسن بن الخديوي اسماعيل كان من بين الاسرى، فطلب يوحنا الرابع فدية مقدارها (٢٥) مليون ريال ثمن حريته، فدفعها الخديوي عن طريق قروض الى يوحنا الرابع. انظر:-

فتحي غيث، المصدر السابق، ص ٢١٥.

(2) Rubenson, The Survival, p.328 ; Keller, op.cit, p. 29 ;

تركي، المصدر السابق، ص ١٣١.

(3) Marston, op.cit, p.489.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن طبيعة اثيوبيا الجغرافية. انظر:-

Huntingford,G, Historical geography of Ethiopia,Oxford, The University Press, 1974.

مع المصريين لاحتلال منفذ على الساحل وتحقيق هدف الأثيوبيين في الوصول الى البحر الاحمر؟ ربما يعود ذلك الى ظهور عوامل عديدة منعتهم من اتخاذ مثل هذه الخطوة، ولعل أبرزها الوضع الداخلي في اثيوبيا وتهديد منليك الثاني لحكمه، فضلاً عن خوفه من ان تخلق هذه الحرب اشكالية في علاقاته مع الدول الاوربية، لا سيما مع بريطانيا كما حدث مع ثيودور الثاني، ولذلك رأى يوحنا الرابع ان انتهاج خط الدبلوماسية المتأنية للحصول على منفذ على الساحل عن طريق المفاوضات، افضل طريق لذلك، خاصة فيما اذا توافرت الوساطة الاوربية لتعينه في هذا المجال لكونها، وكما اعتقد، حرباً صليبية بين الاسلام والمسيحية. وعلى هذا الاساس اوفد يوحنا الرابع في حزيران ١٨٧٦ مندوباً الى القاهرة للتفاوض حول تحديد الحدود بين اثيوبيا والسودان المصري، والحصول على تسهيلات تمكن الأثيوبيين من استخدام ميناء مصوع^(١).

إلا أن موقف بريطانيا إتجاه النزاع المصري-الاثيوبي جاء مخيباً لآمال يوحنا الرابع، عندما قررت حكومة دزرائيلي عدم تشجيع الأثيوبيين على منحهم المناطق التي استولت عليها مصر، وعدم التعامل كوسطاء بين أطراف النزاع المصري-الاثيوبي، ويعني هذا الموقف التأكيد على عدم فتح الباب أمام الأثيوبيين للحصول على منفذ على البحر الاحمر، كجزء من الاستراتيجية البريطانية التي تجسدت في المعاهدة البريطانية-المصرية لعام ١٨٧٧، الهادفة الى ابعاد اية قوة اقليمية او اوربية عن تأسيس محطة على الساحل الغربي للبحر الاحمر. ولذلك أستؤنفت المفاوضات المصرية-الاثيوبية في القاهرة، ونصح لاسليز Laseelles نائب القنصل البريطاني في القاهرة، حكومة يوحنا الرابع في رسالة مؤرخة في تموز ١٨٧٦، بالتوصل الى اتفاق ودي مع الحكومة المصرية، لأن حكومته تتظر بقلق شديد الى أي عمل عسكري قد يقصد منه خلق حالة عداء جديدة مع مصر. كما قامت الحكومة البريطانية بممارسة تأثيرها على الحكومة الفرنسية لتبني موقف مماثل من النزاع المصري-الاثيوبي، بغية توحيد الموقف الدولي في منطقة

(١) Sellassie, op.cit, p. 63.

البحر الاحمر ومصر للتوجه نحو الضغط على القيادة الاثيوبية لتبني الطرق السلمية لحل النزاع مع مصر^(١).

وعلى الرغم من موقف الحكومتين البريطانية والفرنسية المؤيد لمصر، إلا أن المفاوضات المصرية-الاثيوبية لم تسفر عن شيء لاصرار يوحنا الرابع على تخلي مصر عن متيمه، وزولا، وحنفيلا، واييونا، ودفعها مبلغاً من المال مقداره ما بين مليون الى مليونين باون تعويضاً لاثيوبيا عن اضرار الحرب التي شنتها على اثيوبيا، او المطالبة بالسيطرة على بوغوص ومصوع^(٢). وفي ضوء إصراره على جلاء المصريين عن الاراضي التي سيطروا عليها، لم يتوصل الطرفان الى تسوية بين مصر واثيوبيا، ولربما اسفرت هذه المفاوضات على جعل العلاقات المصرية-الاثيوبية اكثر توتراً.

وفيما كان البريطانيون يعارضون أي توسع اثيوبي على ساحل البحر الاحمر الافريقي، ويساندون الحكومة المصرية في موقفها الرافض لذلك، تنفيذاً لبنود معاهدة عام ١٨٧٧، التي تضمنت عدم السماح للحكومة المصرية بالتنازل عن أي جزء من الاراضي المصرية لأي دولة اخرى، ظهرت بوادر تخطيط ايطالي على المدى البعيد للحصول على موطئ قدم في منطقة البحر الاحمر.

النشاط الإيطالي في ارتيريا وردود الفعل البريطانية ١٨٦٩ - ١٨٨٢

بدأت ايطاليا اتصالاتها الحديثة بمنطقة القرن الافريقي عن طريق المبشرين والمستكشفين الجغرافيين الذين حاولوا قبل قيام الوحدة الايطالية توجيه حكام بلادهم، وخاصة في مملكة سردينيا، على الدخول في علاقات تجارية وسياسية مع المناطق المطلة على البحر الاحمر، وفي العقدين الخامس والسادس من القرن التاسع عشر، كانت هناك مجموعتان من المبشرين تعملان في ارتيريا واثيوبيا، المجموعة الاولى وعلى رأسها المبشر جيوسيبي سابيتو Guiseppe Sapeto تعمل

(1) Sellassie, op.cit, p. 115.

(2) Ibid, p.116 ; Rubenson, The Survival, pp. 329-332.

في الشمال في منطقة بين كرن وعدوة وغوندار والثانية على رأسها المبشر لورنزوماسايا Lorenzo Massaja^(١) وتعمل في الجنوب في شوا وبلاد الغالا^(٢). وعندما قامت الوحدة الإيطالية وتأسست المملكة الإيطالية باستثناء روما والبندقية في العام ١٨٦١، تبنى البارون بتينو ريكازولي Bettino Ricasoli رئيس وزراء إيطاليا (١٨٠٩-١٨٨٠/حزيران ١٨٦١-أذار ١٨٦٢) وبعض كبار الشخصيات الإيطالية مشروعاً لاحتلال شريط من الأراضي على ساحل البحر الأحمر الأفريقي. وقدم اقتراحاً بهذا المشروع الى مجلس النواب بتورين للموافقة عليه، ولكن مشكلات البلاد الداخلية حالت دون تنفيذ المشروع. كما كان جيوسيبي مازيني Giuseppe Mazzini (١٨٠٥-١٨٧٢)^(٣) واتباعه يرون حينذاك ان ميدان توسع إيطاليا الحقيقي هو حوض البحر المتوسط لا البحر الأحمر^(٤).

ومع قرب افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية، وتحقيق الاتصال بين البحرين المتوسط والأحمر، بعثت السياسة الإيطالية الاستعمارية في منطقة القرن

(١) قام ماسايا منذ وصوله الى اثيوبيا في العام ١٨٥٢ وحتى العام ١٨٦٣ بتأسيس مراكز تجارية للدعاية الكاثوليكية. وفي العام ١٨٥٩ عقد ماسايا نيابة عن ملك بيدمنت معاهدة تجارية مع الرأس نيجوسي، تعهد فيها الأخير بالتنازل عن منطقة على ساحل البحر الأحمر الغربي الى بيدمنت، الا ان المعاهدة لم تحدد المنطقة المتنازل عنها. وكان وقوع نيجوسي في أسر ثيودور الثاني في ١٨٥٩ قد وضع نهاية لهذه المسألة. انظر:-

Abir, Ethiopia and The Red Sea, p. 101.

(٢) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص^{٧٨}؛ طه، جاد محمد، بريطانيا والصومال...، ص^{٤٧٨}.

(٣) وهو اديب وثوري، قضى فترة شبابه في دراسة الادب والفلسفة، التحق في بداية حياته بجمعية الكربوناري Carbonari، قاد حملة واسعة لتحقيق الوحدة الإيطالية تحت الحكم الجمهوري، ساند حملة غاريبالدي لتحقيق الوحدة الإيطالية، وكانت علاقته مع كافور متوترة، فقد عول كافور على المساعدة الأجنبية في تحقيق الوحدة، في حين كان مازيني يؤمن ان الثورة والوحدة يجب ان تعتمد وبشكل اساس على الجماهير، سجن مازيني في ١٨٧٠ لنشاطاته الثورية، التي لم تكن مقتصرة على الجانب السياسي، بل شملت الجوانب الاجتماعية ايضاً. انظر:-

The New Encyclopaedia Britannica, Vol.23, p. 1338.

(٤) حراز، التوسع الإيطالي في شرق افريقيا...، ص^{٥٣}؛ عبده، المنافسة الدولية في اعالي النيل...، ص^{٢٣٤}.

الأفريقي لأسباب جغرافية واقتصادية وسياسية، فإيطاليا تعدّ دولة متوسطة، وذات موارد اقتصادية محدودة نسبياً، ومما يؤكد تأثر النشاط الإيطالي بقرب افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية في أواخر الستينات من القرن التاسع عشر، إن حكومة الكونت لويجي فيديريكو منابريا Luigi Federico Menabrea الثانية (٨ كانون الثاني ١٨٦٨ - ٧ أيار ١٨٦٩) فكرت أثناء الحملة البريطانية على اثيوبيا في ١٨٦٧/١٨٦٨ بتأسيس مستعمرة لنفي المجرمين على ساحل خليج عصب القريب من مضيق باب المندب. إلا أن الحكومة الإيطالية اضطرت إلى العدول عن تنفيذ مشروعها بعد الاتصالات التي جرت بينها وبين الحكومة البريطانية التي عارضت المشروع الإيطالي المبكر^(١).

ويعزى رفض الحكومة البريطانية تأسيس مستعمرة إيطالية في عصب إلى حرصها على إبعاد أي نشاط أوروبي في المناطق القريبة من قاعدتها في عدن. كما عارضت سابقاً مسألة استيلاء فرنسا لأوبوك في ١٨٦٢ لكونه يتعارض مع حقوق سيادة الدولة العثمانية على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، ومع الحكم المصري على قائممقاميتي سواكن ومصوع في ظل التبعية العثمانية. كما وجدت الحكومة البريطانية في الموافقة على المشروع الإيطالي، تأثيراً سلبياً على العلاقات البريطانية-المصرية في وقت كانت الحكومة البريطانية تطلب مساعدة الحكومتين المصرية والعثمانية في حملتها على اثيوبيا. لذلك نصحت الحكومة البريطانية حكومة مينابريا بعدم الإقدام على تنفيذ هذا المشروع الذي يفسر موقف إيطاليا المبكر الراض بالاعتراف بحقوق السيادة العثمانية-المصرية على هذه المناطق. يعد المبشر سابيتو من أبرز الدعاة إلى الاستعمار الإيطالي لارتيريا، حينما حاول دفع مينابريا رئيس الوزراء إلى الحصول على ميناء في البحر الأحمر، واقترح في ١٧ أيلول ١٨٦٩ أن تقوم إيطاليا بوضع يدها على ثغر خورا وميرا

(1) Jones and Monroe, op.cit, p. 137 ;

حراز، التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا...، ص ٤٤ ؛

Chatterji, Nikshoy, Muddle of The Middle East, New Delhi, 1973, Vol. 2, p. 10.

Khor Omera الذي يقع على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية على مسافة (١٨) كم شرقي باب المندب^(١). كما قام بتشجيع رافائيلي روباتينو Raffeale Rubattino مدير شركة روباتينو للملاحة Rubattino Steamship Company، وهي من اكبر شركات الملاحة في ايطاليا حينذاك، على انشاء خط ملاحي بين ايطاليا والشرق الاقصى عن طريق قناة السويس، واقامة محطة تموين في مكان ما في منطقة البحر الاحمر بالقرب من باب المندب، وقد اصاب سابيتو هدفه، عندما قام روباتينو بتكليفه للتوجه الى البحر الاحمر لتأسيس محطة تجارية بالقرب من باب المندب^(٢). وكانت الحكومة الايطالية قد وافقت على تكليف سابيتو بهذه المهمة، واعتمدت مبلغاً قدره (٨٠) ألف ليرة في احد بنوك الاسكندرية. كما ارسلت معه اللواء البحري اكتور Acton لمراقبة سابيتو ومتابعة الموضوع^(٣). وبذلك جاءت بعثة سابيتو بعلم الحكومة التي قدمت لها مستلزمات النجاح.

في ٦ تشرين الثاني ١٨٦٩ وصل سابيتو واكتور الى عدن، وعلما أن البريطانيين احتلوا ميناء خوراميرا، واصبح خاضعاً لمستعمرتهم في عدن، فابحرا الى شاطئ البحر الاحمر الغربي ونزلا في عصب، وبدا لهما أن عصب تصلح لتأسيس محطة تجارية ايطالية فبادر سابيتو على الفور الى الاتصال باثنين من شيوخ عصب، وعقد معهما اتفاقاً باسم شركة روباتينو، اشترى سابيتو بموجبه من الشيخين حسن بن احمد وابراهيم بن احمد شيخي قبيلة عادا علي المنطقة الواقعة بين جبل جانجا ورأس لوما بمبلغ (٨١٠٠) ماري تريزا^(٤). وبعد أن ابرم العقد عاد سابيتو الى ايطاليا ليقوم بعرضه على الحكومة الايطالية وروباتينو، فوافقت

(١) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا...، ص ٥٦؛ دياب، احمد ابراهيم، الاطماع الايطالية في البحر الاحمر واريتيريا ١٨٥٩-١٨٨٥، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد ١/، القاهرة، ١٩٨٨، ص ص ٦٥-٦٧.

(2) Lion, Gerardo Zampag, Italy Heritage of The Risorgimento 1871-1945, London, 1956, P. 53 ; Aguiat, Marian, Somalia, 2001, p.4.

(٣) محمد، امال ابراهيم، الصراع الدولي حول البحر الاحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٦٥؛ لجام، المصدر السابق، ص ص ٧٩-٨٠.

(٤) العارف، ارتيريا بين احتلالين، ص ١٠٣؛ تركي، المصدر السابق، ص ١٢٧.

الحكومة الإيطالية ان يشتري سابيتو قطعة الارض في عصب، على ان يتعهد باستخدامها "لمصلحة إيطاليا القومية". كما وافقت شركة روباتينو على شروط الاتفاق المذكور، ولذلك عاد سابيتو الى البحر الاحمر؛ لاتمام صفقة الشراء والحصول على المزيد من الاراضي حول عصب^(١). وفي ١١ آذار ١٨٧٠ نجح سابيتو في عقد اتفاق جديد مع ثلاثة من الشيوخ المحليين، وهم عبد الله شحيم وكيل شيخ رحيتا، وحسن بن احمد، وابراهيم بن احمد شيخا عادا علي. وحصل سابيتو بموجب الاتفاق الجديد على قطعة ارض اخرى على الساحل بين رأس لوما وخليج علا لا وجبل جانجا. كما قام سابيتو لاثبات ملكية المنطقة لشركة روباتينو، برفع الراية الإيطالية في ١٣ آذار ١٨٧٠، وبتشييد دار صغيرة لاستخدامها مكتباً لشركة روباتينو^(٢).

شكل التنسيق المشترك بين الحكومة الإيطالية وشركة روباتينو النواة الاولى للمستعمرة الإيطالية في ارتيريا، وهو ما يفند ادعاء الباحثين^(٣). بأن تأسيس المستعمرة الإيطالية في ارتيريا كان بجهود فردية قام بها سابيتو وروباتينو لحسابهما الخاص. كما يفسر الموقف الإيطالي في عصب، وهو الاعتراف الصريح بشيوخ المنطقة المحليين حكماً مستقلين عن الحكم المصري في ظل التبعية العثمانية، الذين تنازلوا عن جزء من الاراضي المصرية العثمانية الى طرف أجنبي بدون علمهما، وهو ما اثار مسألة السيادة المصرية-العثمانية على المنطقة. حرص المسؤولون الإيطاليون على ألا تصطدم أهدافهم في البحر الاحمر بالسياسة البريطانية، التي كانت ترى في كل محاولة أوربية، لإيجاد مكان على طريق المواصلات الى الهند تهديداً مباشراً لمصالحها. ومن هذا المنطلق أكد فسكونتي فينوستا Visconti Venosta وزير الخارجية الإيطالي لباجيت Paget

(1) Marcus, op.cit, p. 95 ;

جراتات، المصدر السابق، ص ١٥٦ .

(٢) حراز، التوسع الإيطالي في شرق افريقيا...، ص ٥٩؛ فلنفل، المصدر السابق، ص ٤٤ .

(٣) اباطه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٦٥؛ محمد، المصدر السابق، ص ١٦٥ .

السفير البريطاني في روما في مطلع آذار ١٨٧٠، أن حكومته غير مسؤولة عن مسألة عصب التي تم امتلاكها بعقد اتفاق شخصي^(١). إلا أن حكومة دزرائيلي لم يكن خافياً عليها النشاط الإيطالي في البحر الأحمر، بل كانت تراقب الأحداث عن كثب. ففي ١٣ نيسان ١٨٧٠ أرسل ستانتون تقريراً لحكومته أوضح فيه أن مجموعة صغيرة من الإيطاليين قد وصلوا إلى مصوع من أجل أغراض علمية مزعومة^(٢). وفي آيار ١٨٧٠ أشار إدوارد رسل أن شركة إيطالية كانت تتفاوض لشراء عصب إلا أنها لم تنجح في تحقيق مشروعها. كما نشرت مجلة *Jornal Maritime et Commercial* الإيطالية في ١٢ آيار ١٨٧٠ أن بعثة شركة روباتينو التي ابهرت من جنوه قامت باحتلال إحدى الجزر في خليج عصب في شهر تشرين الثاني ١٨٦٩، وأن بعثة أخرى قد وصلت برئاسة سابيتو^(٣).

وقد أثارت هذه الأحداث الحكومة البريطانية فطلبت من ستانتون أن يستفسر من الحكومة المصرية عن مدى صحة ذلك. وقد أجاب شريف باشا في الأول من حزيران ١٨٧٠ على تساؤل ستانتون بأن بيع هذه الجزيرة الواقعة في خليج عصب لم يتم بمعرفة الحكومة، وأن دي مارتيانو *de Martino* القنصل الإيطالي في مصر لا يعلم شيئاً عن ذلك. كما أكد شريف باشا أن الحكومة المصرية سوف لا تسمح بأي تنازل عن ممتلكاتها لاية دولة كانت^(٤)، ولذلك أرسلت بعض القوات المصرية إلى عصب في تموز ١٨٧٠ وأنزلت العلم الإيطالي الذي كان مرفوعاً فيها، وقامت بتدمير البيت الخشبي الذي أقامه سابيتو^(٥).

- (1) Lowe and Morarif, *Italin Foreign Policy, 1870-1940*, London, 1960, p. 35 ; عبد الغني، عبد العزيز، الاستعمار الإيطالي وأثره على العروبة والإسلام في إفريقيا، العلاقات الإفريقية، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧، ص ٣٣٥ .
- (2) Marston, op.cit, p. 393.
- (3) Ibid, p. 392.
- (٤) أباطه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٤٦٥ .
- (5) Marston, op.cit, p. 393. ;

آثرت حكومة الخديوي اسماعيل بحث مسألة استيلاء الإيطاليين على عصب بالطرق الدبلوماسية، خشية حصول أي احتكاك بين مصر والقوى الأوروبية، ولاعتقاد الحكومة المصرية ان مشروع روباتينو هو مشروع تجاري واهدافه محدودة، لذلك وتحت ضغط الاحتجاج الذي مارسته وزارة الخارجية الإيطالية على الحكومة المصرية، التي وصفت الحادث الذي وقع في تموز ١٨٧٠، بأنه اعتداء على ممتلكات رعاياها سواء أكانوا في مصر أم في الاقاليم التابعة لها^(١)، حرص الخديوي اسماعيل على تنقية الاجواء المتوترة بين الطرفين بعد حادث انزال العلم الإيطالي المرفوع في عصب، فقدم في آب ١٨٧٠ اعتذاره للحكومة الإيطالية على الاعتداء المسلح الذي قام به قبطان السفينة الخرطوم بدون علمه، الا انه استنكر في الوقت نفسه احتلال الإيطاليين لعصب، وأعلن عدم شرعية الاستيلاء على أراضي خاضعة للسيادة العثمانية^(٢) بيد ان مبادرة الخديوي اسماعيل لم تلق استجابة من قبل الحكومة الإيطالية للتخلي عما اغتصبته من املاك تابعة للإدارة المصرية-العثمانية.

أيدت الحكومة البريطانية موقف الحكومة المصرية في مسألة عصب، ورفضت الدخول في علاقات رسمية مع الإيطاليين الذين يرغبون في الإقامة فيها. كما رفضت السماح لسكان عدن بالإقامة والعمل مع الإيطاليين في هذا الميناء، لانها كانت ترى ان الحكم المصري في كل من المناطق المطلة على البحر الاحمر اصلح من حكم الإيطاليين او الفرنسيين^(٣).

الا ان احتجاجات الحكومة المصرية على الحكومة الإيطالية لم تجد في تغيير موقف الإيطاليين عن سياستهم تجاه ارتيريا، فقد كانت رسالة وزير الخارجية الإيطالي الى دي مارتينو في ٢٦ حزيران ١٨٧٠ بمثابة الاعتراف الصريح بعدم وجود أية حقوق للحكومتين العثمانية والمصرية في منطقة عصب،

(١) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ٨٧؛ محمد، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٢) حراز، التوسع الإيطالي في شرق افريقيا...، ص ١٠٦؛ عبد الغني، المصدر السابق، ص ٢٣٦.

(٣) يحيى، البحر الاحمر والاستعمار، ص ص ٥٦-٥٧؛ النجم، المصدر السابق، ص ص ١٤٧-١٤٨.

ولذلك بقيت الأمور عند هذا الحد تسع سنوات ١٨٧٠-١٨٧٩، أي إلى حين عزل الخديوي اسماعيل عن عرش مصر، إذ لم تثر في هذه المدة مسألة عصب من قبل الطرفين المصري أو الإيطالي. وواصلت الحكومة المصرية خلال تلك المدة تعيين شيوخ النواحي على طول الساحل الغربي للبحر الأحمر ودفع الرواتب لهم. ويعود فتور النشاط الإيطالي الاستعماري في ارتيريا في هذه المدة، إلى المشاكل الداخلية التي ظهرت كنتيجة طبيعية لوحدة مقاطعات إيطالية في مملكة واحدة وما تتطلبه من جهود لحلها، الذي كان موضع اهتمام الحكومات الإيطالية المتتالية، وانصراف هذه الحكومات عن متابعة النشاط الإيطالي في عصب مؤقتاً. كما أدى موقف بريطانيا ومصر وعلى مدى عقد السبعينيات من القرن التاسع عشر في معارضة النشاط الإيطالي في عصب، سبباً آخر يضاف إلى فتور الإيطاليين عن تحقيق أهدافهم. لكن الاطماع الإيطالية ما لبثت أن وجدت في ضعف مصر في أواخر السبعينيات استئناً للنشاط الإيطالي الاستعماري في ارتيريا، نتيجة لتزايد التدخل الأجنبي المالي والسياسي في شؤون مصر الداخلية، وما ترتب عليه من تقييد لسلطة الخديوي اسماعيل ثم عزله في النهاية في حزيران ١٨٧٩^(١).

استمرت الحكومة الإيطالية تتخذ من شركة روباتينو ستاراً يخفي أهدافها السياسية التوسعية في عصب، على الرغم من تأكيد المسؤولين الإيطاليين بأنه ليس لدى إيطاليا أية أهداف سياسية، فقد أوفدت شركة روباتينو في أواخر العام ١٨٧٩ سابينو إلى عصب لشراء المزيد من الأراضي هناك من الشيوخ المحليين،

(١) بعد أن أعلن الخديوي اسماعيل عجز حكومته عن دفع المستحقات السنوية لديون مصر في العام ١٨٧٦، والوفاء بالالتزامات المالية، استغلت الحكومتين البريطانية والفرنسية ذلك الموقف وفرضت على مصر رقابة مالية عن طريق لجنة مراقبة شؤون مصر المالية. وقد وصل الأمر إلى حد اشتراك البريطانيين والفرنسيين في الوزارة المصرية من أجل ذلك عام ١٨٧٨. ووصل تدخل بريطانيا في مصر إلى حد مطالبة الباب العالي بالتعاون مع فرنسا بخلع الخديوي اسماعيل، لعجزه عن معالجة الوضع المالي المتدهور في مصر، فتم لها ذلك. لمزيد من التفاصيل انظر:-

ونجح سابيتو في عقد عدة اتفاقيات جديدة، كان أولها في ٣٠ كانون الأول ١٨٧٩ مع الشيخ برهان محمد شيخ رهيطه، حصلت شركة روباتينو بموجبه ولقاء الفي ريال على جزر ام البقر ورأس الرمل ومجموعة الجزر المسمّاة درماكيا Darmakia^(١). وفي ١٥ آذار ١٨٨٠ عقد سابيتو اتفاقاً آخر مع الشيخ برهان ايضاً تنازل فيه الاخير عن الجزر الواقعة في خليج عصب وتلك الواقعة بالقرب من الساحل بين رأس سانثور Ras Santhur جنوباً فضلاً عن الشريط الساحلي المحصور بين هذين الرأسين. كما عقد شيوخ الدناكل في ١٥ آيار ١٨٨٠ و٥ تشرين الثاني ١٨٨٠ مع سابيتو اتفاقيتين جديدتين، تنازلا بموجبهما عن اراضي جديدة في عصب الى شركة روباتينو، حتى اصبح طول المنطقة التي تم التنازل عنها لايطاليا (٣٦) ميلاً ويتراوح عرضها بين ميلين وستة أميال^(٢).

عند وصول أنباء تجدد النشاط الايطالي في عصب الى حكومة لندن في أواخر العام ١٨٧٩، نظرت وزارة دزرائيلي بقلق شديد لتوغل الإيطاليين في تلك المنطقة، الذي يتعارض مع المعاهدة البريطانية-المصرية لعام ١٨٧٧، التي اعترفت بريطانيا بموجبها بسيادة مصر على الساحل الغربي للبحر الاحمر الى رأس حافون. ومما زاد الموقف تعقيداً، استياء الحكومة البريطانية من الحكومة الايطالية التي أبدت عدم تعاونها في العام ١٨٧٨^(٣)، لتشكيل حلف بين دول البحر المتوسط للوقوف بوجه الاطماع الروسية في البحر الاسود ومضيقي البسفور والدردنيل. ولهذا كتب اللورد سالزبري وزير الخارجية البريطاني في كانون الاول ١٨٧٩ متشككاً باهداف ايطاليا قائلاً:

(١) العارف، ارتيريا بين احتلاليين، ص ١٠٣؛ محمد، المصدر السابق، ص ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ١٦٩؛ فليفل، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٣) عندما اشتد الخطر الروسي في ربيع ١٨٧٧ على الدولة العثمانية ومنطقة شرق البحر المتوسط ظهر اتجاه جديد في السياسة البريطانية في البحر المتوسط، عندما حاولت حكومة دزرائيلي تأليف ما أسمته حلف البحر المتوسط من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والنمسا واليونان لحماية مصالح دول الحلف السياسية والاقتصادية في البحر المتوسط والوقوف امام التوغل الروسي للسيطرة على منطقة المضائق. انظر:-

"لو كان هذا التوسع تجارياً بحثاً لنظرت اليه
بعين العطف، ولكننا نريد أن نتأكد انه توسع
خالٍ من كل غرض سياسي لان البحر الاحمر
بمثابة الوتر الحساس لنا"^(١).

تبنى اللورد سالزبري الوسائل الممكنة لاحتواء النشاط الإيطالي في عصب ومقاومة انتشاره على الساحل الأفريقي للبحر الاحمر. اذ كلف جيمس بلير James Blaire المقيم السياسي البريطاني في عدن (١٨٧٨-١٨٨٦) بان يراقب عن كثب نشاطات الإيطاليين على الساحل الغربي للبحر الاحمر، وان يفعل كل ما من شأنه إعاقة الإيطاليين في حصولهم على موطئ قدم على الساحل^(٢). كما قامت الحكومة البريطانية في نيسان ١٨٨٠ بتعيين قنصل في عصب لمراقبة النشاط الإيطالي هناك. وفي ٩ كانون الثاني ١٨٨١ ارسل اللورد سالزبري برقية الى ادوارد مالت Edward Malet قنصل بريطانيا في مصر، يأمره فيها ان يمارس ضغوطه على مصر لتأكيد حقوقها على ساحل البحر الاحمر الأفريقي، وان ترسل سفينة حربية لرفع الراية العثمانية على عصب لمنع الإيطاليين من الاستيلاء على أي جزء من الساحل^(٣) الا أن خطة سالزبري لم تلقَ قبولاً من الحكومة المصرية، التي عدتها عملاً عدائياً قد يؤدي الى صدام مع الإيطاليين، ولهذا أثر شريف باشا بأن يقدم احتجاجاً رسمياً الى الحكومة الإيطالية على نزول الإيطاليين في عصب^(٤).

وقد عبرت الحكومة الإيطالية في شباط ١٨٨١ عن عدم اهتمامها باحتجاج الحكومة المصرية، بتعيين السنيور برانجي Branchi مقيماً سياسياً في عصب، ليقوم برعاية المصالح الإيطالية، وتنفيذ السياسة التوسعية الإيطالية التي شرعت

Willimson, James, Ashort history of British Expansion 1500-1902, London, Cambridge University Press, 1945, p. 187.

(١) حراز، التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا...، ص ١٥٩.

(2) Marston, op.cit, p. 393.

(3) F.O.195-1225, The dupution The Somal Coast 1877-1879, 11th October, P.30.

(٤) حراز، التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا...، ص ١٦٠.

بتحقيقها في عصب^(١). وقد كان استئناف النشاط الاستعماري الإيطالي في ساحل ارتيريا، يعود لسببين مهمين الأول ويتمثل بانشغال مصر بالاضطرابات الداخلية التي اندلعت اثر قيام ثورة عرابي في العام ١٨٨١ ويتناول الثاني تغيير السياسة البريطانية إتجاه التوسع الإيطالي في عصب منذ ايلول ١٨٨١، عندما وجد جرانفيل وزير الخارجية البريطاني (١٨٨٠-١٨٨٥) في وزارة الاحرار برئاسة وليم غلادستون William Gladstone (١٨٠٩-١٨٩٨/١٨٨٠-١٨٨٥)^(٢) انه من الضروري تغيير سياسة بريطانيا التي تمسكت بها الحكومات المتتالية في عقد السبعينيات، وخاصة وزارة سالزبري المحافظة، التي اكدت على معارضة الاعتداءات الإيطالية على حقوق السيطرة المصرية على عصب، والتوجه نحو تاييد النشاط الإيطالي في منطقة البحر الاحمر، لأنه كما رأى جرانفيل ان الضغط الدبلوماسي على الحكومة الإيطالية لم يعد مجدياً، بسبب اتصال حكومة روما عن مسؤولية مسألة عصب، الذي دعمته الحكومة الإيطالية بشكل سري، فضلاً عن أن وزارة غلادستون كانت تميل الى التقليل من معارضة الإيطاليين في البحر الاحمر والتوقف عن الضغط على حكومة مصر لتأكيد حقوقها على ساحل البحر الاحمر الغربي، بسبب حدة التنافس البريطاني-الفرنسي، الذي بات في غاية خطوره لكثافة المحاولات الفرنسية للنفوذ البريطاني في مصر من جهة، والسعي الدائم الى الوصول الى وسط افريقيا وفرض نفوذها على حوض النيل الاعلى من

(١) محمد، المصدر السابق، ص ؛ لجام، المصدر السابق، ص ٨٥ .

(٢) تولى غلادستون وزارة الخزانة (١٨٥٢-١٨٥٥) ثم تولى المنصب ذاته (١٨٥٩-١٨٦٦) وفي العام ١٨٦٦ اصبح غلادستون زعيماً لحزب الاحرار، ثم رئيساً للوزراء (١٨٦٨-١٨٧٤)، وعلى الرغم من هزيمة في انتخابات عام ١٨٧٤، عاد غلادستون الى الحكم وتولى رئاسة الوزراء في (١٨٨٠-١٨٨٥) و (شباط ١٨٨٦-تموز ١٨٨٦) و (١٨٩٢-١٨٩٤). انظر:-

Morley, John, The Life of William Ewart Gladstone, London, The Macmillan Company, Vol.3, 1909.

جهة أخرى^(١). ولهذا كانت وجهة نظر جرانفيل تهدف الى توظيف الدور الإيطالي التوسعي لخدمة مصالحها في المنطقة، وجعل الإيطاليين حراساً مؤقتين او وكلاء بالنيابة عن بريطانيا في تلك المناطق، للحيلولة دون قيام الفرنسيين بالسيطرة عليه، او ان يكون الساحل الغربي للبحر الاحمر مفتوحاً لقوى أوربية اخرى.

وفي غضون ذلك كانت الحكومة الإيطالية قد ناشدت حكومة غلادستون ان تتدخل للتوصل الى اتفاقية مع الحكومة المصرية بشأن عصب، وابتدت استعدادها لقبول اية شروط تفرضها فيما عدا اخلاء عصب، وبعد ان استشار اللورد جرانفيل غلادستون اللورد هارتجتون Hartington وزير الهند عرض جرانفيل على الحكومة الإيطالية اقتراحاً فحواه انه في حالة موافقتها على عقد اتفاقية مع الحكومة المصرية لتثبيت ممتلكاتها المشتركة في عصب، وتحديد استخدامها على الاغراض التجارية غير المحصنة عسكرياً او بحرياً، فان الحكومة البريطانية على استعداد لتقديم هذا الاقتراح الى الحكومتين المصرية والعثمانية والسعي الى الحصول على موافقتهم عليه^(٢).

دفع هذا الموقف ايطاليا الى زيادة التقرب من بريطانيا للوصول الى اتفاق مع مصر، مع اظهار الاستعداد اللازم للقيام باي دور يعهد به اليها، ورغم صعوبة موقف حكومة لندن في اتخاذ موقف واضح في هذه المسألة، الذي كان يتعلق بحقوق السيادة العثمانية والحكم المصري على عصب، فإن موقف السلطات المصرية العاجزة عن التنازل عن أي اراضٍ قبل ان تحصل على موافقة الباب العالي، وتردد الخديوي توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢) عن القيام بأي عمل عسكري في

(1) The New Cambridge Modern history, Material Progress and World Wide Problems 1870-1898, London, Cambridge University Press, 1962, Vol. XI, pp. 597-598.

(2) Saladino, Salvatore, A history Of Modern Italy, Document Readings, Commentary, London, 1968, pp. 208-204 ;

عبد الغني، المصدر السابق، ص ٣١٠ ؛ دياب، احمد ابراهيم، لمحات من التاريخ الافريقي الحديث، الرياض، ١٩٨١، ص ١٣٩ .

عصب خشية مواجهة الاسطول الايطالي^(١). قد دفع اللورد جرانفيل بعد استشارة كل من غلادستون رئيس الوزراء واللورد هارتجتون وزير الهند، الى عرض اقتراح على الحكومة الايطالية مفاده، بانه في حالة موافقتها على عقد اتفاقية مع مصر بهدف الاعتراف بملكية شركة روباتينو في عصب، على ان يقتصر استخدامها على الاغراض التجارية فقط، والا تقام اية محطة عسكرية او بحرية فيها، فان الحكومة البريطانية على استعداد لتقديم هذا الاقتراح الى الحكومتين المصرية والعثمانية والسعي للحصول على موافقتهم عليه^(٢).

رحبت حكومة روما باقتراح اللورد جرانفيل، كما وافق بدوره على طلب روما بان تضع مسودة الاتفاقية المقترحة، التي فرغت الحكومة الايطالية من وضعها في ٩ تشرين الاول ١٨٨١، التي تألفت من خمس مواد، نصت على اعتراف الخديوي بما حصلت عليه شركة روباتينو من اراضٍ في عصب، وان يقتصر استخدام عصب على الاغراض التجارية، وتحريم تجارة الرقيق فيها، ووقف نقل الاسلحة منها الى اثيوبيا، وأخيراً الاتفاق بين ايطاليا ومصر وبريطانيا على وسائل المراسلة والتعاون بين ممثلي كل منهم^(٣).

استهل اللورد جرانفيل تنفيذ اقتراحه المذكور عندما أرسل مسودة الاتفاقية المقترحة الى الحكومتين العثمانية والمصرية في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨١، في حين كان الايطاليون وفي مقدمتهم مانشيني ينتظر ردهما عليها، كان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) يميل الى اقرار الاتفاقية المذكورة، وكان من المؤمل ان يحذو الخديوي توفيق حذوه، ولكن في كانون الاول ١٨٨١ أرسل شريف باشا الى ادوارد مالت مذكرة سرية بين فيها ان الخديوي توفيق يرفض الاتفاقية المقترحة، وانه يرغب في عقد اتفاقية مماثلة مع شركة روباتينو،

(1)Saladino, op.cit, p. 209.

(٢) فليفل، المصدر السابق، ص ٤٥؛ عبد الغني، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

(٣) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ١٤٣

يمنح بموجبها أراضي وامتيازات تجارية للشركة في عصب، على أن يحتفظ الخديوي بالسيادة عليها في الوقت نفسه^(١).

ازعجت هذه الأنباء الحكومة الإيطالية، فقد راح مانشيني يناشد الحكومة البريطانية على أن تضغط على السلطان العثماني ليوافق على الاتفاقية، وكانت وجهة النظر البريطانية اتجاه الموضوع. قد بينها اللورد جرانفيل في ٣٠ كانون الاول ١٨٨١، عندما نقل الى باجت تصريح حكومته قائلاً:

"انه ما لم تعترف ايطاليا بسيادة الباب العالي والخديوي على ساحل البحر الاحمر جنوبي وشمالى عصب، فليست هناك سوى فرصة ضئيلة لكي توافق الحكومة المصرية على الاتفاقية"^(٢).

وبناءً على نصيحة الحكومة البريطانية، اصدرت الحكومة الإيطالية لتذليل الصعوبات في عصب تصريحاً في ١٥ شباط ١٨٨٢، اعلنت فيه اعترافها بسيادة الدولتين العثمانية والمصرية على ساحل البحر الاحمر الغربي جنوبي وشمالى عصب. وقد جاء جواب الحكومة العثمانية حول التصريح الإيطالي في قرار صدر في اجتماع لمجلس الوزراء العثماني عقد في اسطنبول بتاريخ ٢١ حزيران ١٨٨٢، مفاده ان اتفاقية عصب المقترحة يجب ان تقبل من جانب الحكومة المصرية، الا ان الباب العالي في الوقت نفسه لا يستطيع ان يلزم الخديوي توفيق بتنفيذ ذلك^(٣).

أما الموقف المصري فكان الخديوي توفيق ووزرائه قد قرروا بعد البحث والمناقشة رفض اتفاقية عصب بصورة نهائية، لأن ذلك من شأنه التسليم بمبدأ خطير وهو التنازل للدول الأجنبية عن أراضٍ تابعة للدول العثمانية. وحينما علمت حكومة روما بأنباء رفض مصر للاتفاقية، بادر مانشيني في آذار ١٨٨٢ بكتابة

(١) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) عبد الغني، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(٣) حراز، التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا...، ص ٣٢٧؛ فليفل، المصدر السابق، ص ٤٦.

مذكرة مسهبة أرسل نسخة منها الى كل من السفير الايطالي في اسطنبول، وقنصل إيطاليا في القاهرة، يبين فيها بأن ما تزعمه الحكومتان العثمانية والمصرية من سيادة على ساحل البحر الاحمر الغربي، لم يتعد فيما بين عامي ١٨٢٥ و ١٨٦٠ مصوع جنوباً والجزء الساحلي الضيق الذي يواجه تيجري، وان النفوذ العثماني في تلك المناطق، ما هو الا نفوذ اسمي وليس حقيقياً في معظم الوقت. كما زعم مانشيني بان قائممقامية مزنجر الذي تولى فيها حكم مصوع والسودان الشرقي في ١٨٧٢، لم تكن تشمل المنطقة الجنوبية من ساحل البحر الاحمر الغربي ومن ضمنها عصب^(١).

ومما لا شك فيه ان الذي جاء في مذكرة مانشيني يناقض تصريح الحكومة الايطالية الصادر في ١٥ شباط ١٨٨٢، الذي اعترفت بموجبه بحقوق السيادة العثمانية والمصرية على ساحل البحر الاحمر الافريقي جنوبي وشمال عصب كما تشير هذه المذكرة الى ان تجاهلاً واضحاً من قبل الحكومة الايطالية للوضع الدولي القائم الذي كانت ترغب في المحافظة عليه، فقد أثرت بعد فشل الاسلوب الدبلوماسي، تجاهل الحقوق العثمانية والمصرية وضربها في عرض الحائط، واعتبار الحكومة الايطالية، وحسب ما ورد على لسان دي مارتينو في مقابلة مع فهمي باشا وزير الخارجية المصري في ٨ نيسان ١٨٨٢، بانها في حل من جميع الالتزامات التي عرضت ان تلتزم بها بموجب اتفاقية عصب المقترحة^(٢)، ولذلك بادرت الحكومة الايطالية بعقد اتفاقية مع شركة روباتينو، بدون موافقة الحكومتين العثمانية والمصرية، تنازلت الشركة بموجبه عن "حقوقها" في عصب، مقابل (٤١٧) ألف ليره ايطالية. كما حصلت الحكومة الايطالية في ٥ تموز ١٨٨٢ على موافقة مجلس النواب على اتفاقها مع الشركة، فانتقلت "ملكية" عصب بصورة

(١) يحيى، البحر الاحمر والاستعمار، ص ٣١٨.

(٢) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ١٤٩؛ دياب، لمحات من التاريخ الافريقي، ص ١٤٢.

رسمية من وجهة النظر الإيطالية من شركة روباتينو الى الدولة الإيطالية، وجعلها مستعمرة ملكية بموجب قانون صدر عن مجلس النواب في التاريخ نفسه⁽¹⁾. وبذلك أدى موقف بريطانيا المهادن لنشاط إيطاليا في عصب الى اتاحة الفرصة للحكومة الإيطالية لتحقيق سياستها الاستعمارية في ارتيريا انطلاقاً من عصب في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر، لا سيما ان الاحتلال البريطاني لمصر في ١٨٨٢، واجبار المصريين على الانسحاب من ممتلكاتهم في القرن الأفريقي، قد مهد الطريق امام القوى الاوربية للتكالب على المنطقة.

(1) Saladino, op.cit, p. 210 ; Gautier, E.F, L'AfriQue Blanche, Paris, 1935, p.81.

موقف بريطانيا من انسحاب المصريين من الملحقات الافريقية ومن المنافسة الفرنسية ١٨٨٢-١٨٨٨

كان دخول القوات البريطانية القاهرة في ١٤ أيلول عام ١٨٨٢^(١)، قد أتاح لبريطانيا السيطرة على المدخل الشمالي للبحر الاحمر المتمثل بمصر وقناة السويس، بعد ان سيطرت على مدخله الجنوبي منذ الاحتلال البريطاني لعدن في العام ١٨٣٩، واستئناف سياسة بريطانية توسعية في المنطقة تستهدف تحقيق أطماعها في الساحل الغربي لخليج عدن، ووادي النيل فضلاً عن أجزاء أخرى من ساحل شرق افريقيا. كما اتاح الوضع الجديد لبريطانيا الفرصة للأشراف التام على طريق البحر الاحمر الخط البحري الرئيس الى الهند والشرق الاقصى، على نحو حقق اختلالاً واضحاً في ميزان القوى الدولي في منطقتي البحر المتوسط والبحر الاحمر لمصلحة بريطانيا.

حتمت تلك التحولات السريعة في منطقة البحر الاحمر على حكومة غلادستون ان تتبنى سياسة تهدف الى الحفاظ على الوضع القائم في مصر وملحقاتها الافريقية في تلك المرحلة، وتعزيز السلطة المصرية في تلك المناطق، على ألا تكون للدولة العثمانية- على الرغم من تبعية مصر لها- أية سلطة حقيقية هناك. وكان البريطانيون يرمون من وراء ذلك، الى عدم اتاحة الفرصة أمام الدول الاوربية الاستعمارية، وخاصة فرنسا الدولة المنافسة لهم، باستغلال الوضع في تلك المناطق والسيطرة عليها، وتهديد أمن وسلامة طريق البحر الاحمر الى الهند. وانسجاماً مع هذه السياسة، حرص المسؤولون البريطانيون في سياستهم المرسومة إتجاه السودان في المدة الواقعة بين أيلول ١٨٨٢ وتشرين الثاني ١٨٨٣، على

(١) هاجم الجيش البريطاني بقيادة كارنيت ولسلي القاهرة، وأبدى اهلها مقاومة باسلة، وعلى

الرغم من ذلك اتجهت القوات البريطانية نحو القاهرة، ودحرت الثوار في معركة التل الكبير

بقيادة احمد عرابي في ١٣ أيلول عام ١٨٨٢. لمزيد من التفاصيل. انظر :

Sladen, Douglas Brooks, Egypt and the English, Showing British Public Opinion in Egypt Upon The Egyptian Question, London, Longman, 1908.

عدم التورط في أحداث الثورة المهدية التي اندلعت في العام ١٨٨١^(١)، طالما اقتصرَت الثورة على حدود السودان، ولم تمتد إلى مركز الحكم المصري في الخرطوم أو إلى موانئ شرقي السودان. ولذلك أوضح اللورد جرانفيل رأي حكومته قائلاً، "إن الحكومة البريطانية غير مسؤولة عن أية عملية عسكرية تتخذها الحكومة المصرية إتجاه المشكلة السودانية، سواء أكانت هذه العمليات العسكرية تهدف إلى القضاء على الثورة المهدية، أم التخلي عن المناطق التي استولت عليها قوات المهدي"^(٢). مما يدل على أن الموقف البريطاني إتجاه الأحداث السودانية في تلك المرحلة، كان يهدف إلى اظهار عجز الحكومة المصرية عن كبح جماح الثورة المهدية أو القضاء عليها من جهة، والتعامل مع تلك المشكلة على انها قضية مصرية لا تمس المصالح البريطانية في شرقي السودان، أو مركز الحكم المصري في الخرطوم من جهة أخرى.

وفي الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام ١٨٨٣ تدهورت الأوضاع العامة في السودان، على نحو جعل حكومة غلاستون تقرر التدخل في الشؤون السودانية والملحقات المصرية، بعد ان كانت تمتنع عن ذلك، اذ وقعت في الخامس من تشرين الثاني ١٨٨٣ كارثة شيكان التي هزمت فيها قطعات الضابط البريطاني هيكس Hicks على أيدي القوات المهدية في كردفان، التي بلغت خسائر المصريين فيها (٩٩٧٧) جندياً و (٤) آلاف جملاً و (٣٢) مدفعاً^(٣). كما تمكن المهديون على أثرها من التقدم إلى شرقي السودان وتشديد الحصار على سواكن وطوكر وسنكات^(٤). الأمر الذي عزز موقف إيفيلين بيرنج Evelyn Baring، الذي لقب فيما بعد باللورد كرومر Lord Cromer، قنصل بريطانيا العام في مصر (١٨٨٣-١٩٠٧)، الذي بعث تقريراً إلى اللورد جرانفيل في ٢٩ تشرين الأول ١٨٨٣، بين فيه ان السودان يمثل عبئاً مالياً وإدارياً ثقیلاً على الحكومة المصرية، وان

(١) لمزيد من التفاصيل عن الثورة المهدية وموقف البريطانيين أراءها انظر:-

Wingate, F, Mahdism and the Egyptian Sudan, London, Frank Cass, 1968.

(2) Marlowe, John, Anglo-Egyptian Relations, 1800-1956, U.S.A, Macmillan, 1965, p.143; Halet, Hellett, op.cit, P. 93.

(٣) صبري، الإمبراطورية السودانية...، ص ١٠٤

(4) Wingate, op.cit, P. 45.

المصروفات المخصصة للسودان من ميزانية مصر تعاني من عجز مالي مقداره (٣٠٠) ألف جنيه سنوياً^(١). كما رأى بيرنج في تقرير آخر رفعه الى حكومته أن الحكومة المصرية بعد هزيمة هيكس ستفقد كل السودان ما لم تصلها المساعدة من بريطانيا أو الهند أو الدولة العثمانية^(٢)، لكن الحكومة البريطانية رفضت الاقتراحين المذكورين لبيرنج، وفضلت عليهما القيام باخلاء جزئي للسودان، وذلك عندما بعث اللورد جرانفيل في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٨٣ ببرقية أوصى فيها بيرنج بأن الحكومة البريطانية: "لا تستطيع إعارة ضباط بريطانيين أو هنود... ولا تشجع الضباط البريطانيين على التطوع... وان دعوة القوات التركية الى السودان لن تكون في مصلحة مصر... وإذا سئلت فانصح بترك السودان في حدود خاصة"^(٣)، وهو يعني بذلك، كما يبدو، ألا تشمل سياسة الإخلاء شرقي السودان، اذ علق البريطانيون كثيراً على اهمية بقاء سواكن تحت السيطرة المصرية، لاهميتها التجارية والاستراتيجية في منطقة البحر الاحمر بشكل عام، ولكونها مفتاح التحكم بالسودان من جهة البحر، ولمنع وصول المهديين الى موانئ ساحل السودان الشرقي وتهديدهم لموانئ ساحل البحر الاحمر الغربي.

وازاء تهديد الثورة المهدية للمصالح البريطانية في السودان، عمدت حكومة غلادستون الى اتباع سياسة خاصة فيما يتعلق بساحل البحر الاحمر الغربي تختلف عن سياستها المتبعة في وادي النيل، حرصاً على سلامة طريقها الى الهند. فقد أمرت قائد محطة شركة الهند الشرقية بالمحافظة على سلطة الحكومة المصرية في سواكن ومصوع والموانئ الاخرى في البحر الاحمر، وأرسلت له وحدات

(١) يحيى، جلال، سواحل البحر الاحمر، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠، ص ١١؛ رياض، زاهر، السودان منذ الفتح المصري حتى الاستقلال ١٨٢١-١٩٥٣، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١١٩.

(2) Holt, P, The Mahdist State in the Sudan 1881-1898, Oxford ,Clarendon Press, 1970, P.87.

(3) The Earl of Cromer, op.cit, p.478.

بحرية جديدة لتعزيز قوته هناك^(١). في وقت عارضت فيه السلطات البريطانية المقترح الذي تقدم فيه شريف باشا رئيس الوزارة المصرية الرامي الى بقاء القوات المصرية في الخرطوم وإدامة الاتصالات بين سواكن وبربر لسحب حاميات دارفور، وبحر الغزال، وفاشوده وتركيزها في جنوبي السودان. ثم وافقت على خطة الحكومة المصرية للاحتفاظ بسواكن واستخدامها قاعدة للعمليات العسكرية المقبلة في السودان^(٢).

في حين كانت الامور تسير على هذا النحو من التردد في مصر، فقد وصلت الأنباء بتقدم المهديين الى سنار وبربر، فازداد البريطانيون اصراراً على الانسحاب، وبضرورة رضوخ الحكومة المصرية لنصائحهم، مما دفع شريف باشا الى رفض ذلك في مذكرة طويلة، تؤكد ان الفرمان الذي صدر للخديوي توفيق في ٧ آب ١٨٧٩، لا يسمح له بالتنازل عن أي جزء من أقاليم الدولة العثمانية التي عهدت اليه إدارتها^(٣). فوجهت إدارة غلادستون إنذاراً الى شريف باشا بضرورة التنفيذ، وأزاء هذا التهديد الصريح لم يكن أمام شريف باشا من خيار سوى تقديم استقالته الى الخديوي توفيق في السابع من كانون الثاني ١٨٨٤، وتألّفت وزارة جديدة برئاسة نوبار باشا في العاشر من كانون الثاني ١٨٨٤ وكان اول عمل لها، يحمل تاريخ تأليفها نفسه، هو إخلاء السودان^(٤). كما قرر مجلس الوزراء

(١) رياض، السودان المعاصر...، ص ١١٩ ص ١٢٠٠؛ بركات، علي محمد، السياسة البريطانية في جنوب البحر الاحمر ١٨٨٤-١٨٨٩، سمنار البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ص ٤٢١.

(2) Sandes, op.cit, P.108 ; Milner, op.cit, P. 74.

(٣) لمزيد من المعلومات عن فرمان عام ١٨٧٩ :

F.O.195/1225, Bombay Gov. To c. u. Aitchison, Memorandum on the dupution the Somal Coast 1877-1879, NO. 211, Dated 11 the October 1879.

(٤) الرافعي، عبد الرحمن، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال، تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢، القاهرة، د. ت، ص ١٤٣؛ طه، سمير محمد، المصدر السابق، ص ٤٤٦.

البريطاني في ١٨ كانون الثاني عام ١٨٨٤، أن يعهد الى غوردن بمهمة اخلاء السودان^(١).

وصل غوردن الى الخرطوم في ١٨ شباط ١٨٨٤، وكانت مهمته هي اخلاء الحاميات المصرية وحماية موانئ البحر الاحمر وادارتها ادارة جيدة، ولكن لم يميز على وجود غوردن في الخرطوم شهر واحد، حتى بدأ بحصار الخرطوم، وتهديد قطع طريق السودان الشرقي بالنيل، سواكن-بربر، بوجه أية حملة يمكن إرسالها من الشمال أو الشرق؛ لانقاذ غوردن والخرطوم^(٢). كما شدد المهديون في هذه المدة هجماتهم على الحاميات المصرية في سنهايت، وكسلا، واميديب، والقضارييف، والقلابات^(٣)، أي المناطق الواقعة على حدود اثيوبيا.

وكان البريطانيون قد وجدوا أن افضل السبل لانقاذ القوات المصرية في شرقي السودان، هو الاتفاق مع يوحنا الرابع ملك اثيوبيا على تقديم التسهيلات اللازمة، لانسحاب تلك القوات عن طريق اثيوبيا للوصول الى مصوع، مع تأكيد ضمان أمن واستقرار الحدود الاثيوبية- السودانية من أية هجمات اثيوبية على الممتلكات المصرية في تلك المناطق. ولما كانت آثار الحرب المصرية-الاثيوبية لعامي ١٨٧٥ و ١٨٧٦ ما تزال باقية، والحدود الاثيوبية-المصرية غير مثبتة بشكل نهائي، لا سيما عند بوغوص، فقد كان ذلك يعني ان الساحة السودانية مفتوحة امام الأثيوبيين لتحقيق أطماعهم الاقليمية، وهي الحصول على أحد الموانئ البحرية أو تسهيل المواصلات بين بلادهم والبحر عن طريق مصوع، وذلك عن طريق التقدم بمفردهم لتوسيع أقاليمهم في تلك المناطق، أو بالتحالف مع المهديين في

(1) Holt, op.cit, P.89.

(2) Royal, Charles, The Egyptian Campaigns 1882 To 1885 and which Led to Them, London, 1880, Vol.2, PP. 126-127 ;

ضرار، ضرار صالح، تاريخ السودان الحديث، بيروت، ١٩٦٥، ص ٨٦ ص ٨٧ .

(3) Colvin, Auckland, The Making of Modern Egypt, London, Frank Cass, 1935, PP. 119 - 120.

(٤) لمزيد من المعلومات عن العلاقات بين شمال اثيوبيا والسودان في عهد المهديين:-

Triulzi, Andro, Trade, Islam, and The Mahdia in North Western Wallaggas Ethiopia, The Journal of African history, Vol.XVI.Number, I, Cambridge University Press, London, 1975, PP. 55-71.

الهجوم على القوات المصرية في السودان^(٤)، أي كان على البريطانيين ان يواجهوا خطرين في آن واحد، وهما الثورة المهدية في السودان، والتهديد الاثيوبي للملحقات المصرية في ارتيريا والسودان. ولذلك عني المسؤولون البريطانيون في لندن والقاهرة بتسوية النزاع الاثيوبي-المصري، وتخطيط الحدود بين الطرفين لقاء التحالف الاثيوبي مع بريطانيا عسكرياً في مواجهة خطر الثورة المهدية. وبمعنى آخر، سعى البريطانيون الى ايقاظ الاطماع الاثيوبية في المنطقة، وتقوية الطرف الاثيوبي في معادلة التوازن الاقليمي في منطقة القرن الافريقي، على حساب مصر والسودان.

وبناءً على ذلك، قررت حكومة غلادستون ارسال بعثة الى اثيوبيا لمفاوضة الملك يوحنا الرابع حول تشكيل لجنة مشتركة تضم أعضاء من مصر وبريطانيا واثيوبيا، لتخطيط الحدود السودانية-الاثيوبية، والاعتراف بكل المطالب الاقليمية التي كانت مثار نزاع بين يوحنا الرابع والخديوي اسماعيل في المفاوضات التي جرت بين ١٨٧٦ و ١٨٧٩. وفي ٣ حزيران ١٨٨٤ تمكنت الاطراف الثلاثة المعنية بالامر، وهي بريطانيا ومصر واثيوبيا من عقد معاهدة عدوة، التي وقعها عن الجانب البريطاني الاميرال وليم ناثان هيويت William Nathan Hewett رئيس البعثة، وعن الجانب المصري ميسن بك Mason Beg محافظ مصوع، وعن الجانب الاثيوبي الملك يوحنا الرابع نفسه^(١). وقد تألفت المعاهدة من سبع مواد، أكدت على حرية مرور التجارة الاثيوبية بما في ذلك الاسلحة والذخائر من ميناء مصوع، الذي سيكون تحت الحماية البريطانية، بدءاً من الاول من تشرين الاول ١٨٨٤، ومنح بوغوص الى اثيوبيا منذ الأول من أيلول ١٨٨٤، نظير تعهد يوحنا الرابع بتسهيل انسحاب القوات المصرية من كسلا واميديب وسنهيت عبر بلاده الى مصوع، وان تمنح هذه المناطق لاثيوبيا أيضاً بعد انسحاب الجيش المصري منها، كما تعهد يوحنا الرابع أن يعرض على بريطانيا كل خلاف قد يقع

(1)The Earle of Cromer, op.cit, P. 498 ; Keller, op.cit, P. 29.

(2) Rubenson Sven, The Adwa Peace Treaty of 1884 Proceeding of the Third international Conference of Ethiopian Studies Addis Ababa, 1969, P.225 ; Green Field, op.cit, p.91.

بينه وبين خديوي مصر وأبتداءً من تاريخ توقيع هذه المعاهدة^(٢). وبذلك تمكن الملك يوحنا الرابع من كسب بريطانيا وسيطاً دولياً في حالة نزاعه مع مصر، بعد محاولات اثيوبية عديدة فاشلة لتحقيق هذا الهدف، في الاعوام ١٨٢٧ و١٨٦٥ و١٨٧٢.

كانت معاهدة عدوة بمثابة معاهدة تطبيع للعلاقات المصرية-الاثيوبية، التي شهدت خلافات واسعة بين العامين ١٨٢٠ و١٨٨٤، وبداية لتقطيع أوصال الامبراطورية المصرية وتوزيعها بين الدول الاجنبية. كما تضمنت المعاهدة إشارة الى تعارض بنودها مع أحكام المعاهدات الدولية التي كانت بريطانيا إحدى الدول الموقعة عليها، معاهدة لندن لعام ١٨٤٠ ومعاهدة باريس لعام ١٨٥٦، ومعاهدة برلين لعام ١٨٧٨ التي اكدت الحفاظ على سلامة الدول العثمانية، إذ قامت الحكومة البريطانية بموجب معاهدة عدوة باجبار الحكومة المصرية على التنازل عن جزء من الاراضي العثمانية الواقعة تحت الادارة المصرية الى اثيوبيا، وهي بوغوص واميديب، وسنهيت، بدون موافقة السلطان العثماني، او حتى الاشارة الى حقوق الدولة العثمانية في تلك المناطق. من جانب آخر، لم تكن فكرة إخلاء السودان من الحاميات المصرية، لاسيما شرقي السودان، بعيدة عن الاطماع والمخططات الاوربية الاستعمارية إتجاه القارة الافريقية، والرامية الى تقسيم أفريقيا الى مستعمرات فيما بينها وبموجب مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤-١٨٨٥^(١). ولذلك كان ساحل الصومال المقابل لعدن جزءاً مهماً من صراع الاستراتيجيات الاوربية إتجاه تلك المنطقة الواقعة على طريق الهند والشرق الأقصى الذي اطلق عليه "الطريق الامبراطوري"^(٢).

(١) دعا بسمارك الى عقد مؤتمر دولي لتسوية المشكلات المتعلقة بتقسيم القارة الافريقية بين الدول الاوربية الكبرى، وعقد مؤتمر برلين الذي استمر من تشرين الثاني ١٨٨٤ الى شباط ١٨٨٥ وحضرته اربع عشرة دولة، وهي كل من: بريطانيا، وفرنسا، والمانيا، والنمسا، واسبانيا، والبرتغال، وايطاليا، والنرويج، والسويد، والدنمارك، وهولندا، وروسيا القيصرية، والدولة العثمانية، والولايات المتحدة الامريكية. انظر:-

Header, op.cit, p. 198.

(2)Touval, op.cit, P.35. Lewis, o.cit, P. 42-45.

وكانت السلطات البريطانية قد اعتمدت في تنفيذ سياستها المرسومة إتجاه الصومال، الى ادعاءات الرائد هنتر Hunter من فرقة أركان بومباي، والمقيم السياسي المساعد في عدن، الذي ذكر بعد زيارته لساحل الصومال وهرر، ان منليك الثاني ملك شوا، كان يستعد مع قبائل الغالا للاستيلاء على هرر، وان القبائل الصومالية كانت تهدد باخراج المصريين من زيلع وبربرة^(١). وبالتالي فان الحكومة المصرية لا تستطيع الاحتفاظ بسلطتها في هذه المناطق المهمة. وقد جاءت هذه الادعاءات بعد وصول انباء هزيمة هيكس في ٥ تشرين الثاني ١٨٨٣، ورفض وزارة شريف باشا الموافقة على إخلاء السودان. فأيد بيرنج وجهة نظر هنتر الرامية الى اظهار عجز السلطات المصرية عن تحمل الابعاء المالية والعسكرية الجديدة في هرر، وموانئ الساحل الصومالي المطل على خليج عدن، التي باتت من وجهة نظر هنتر مهددة من قبل الصوماليين والأثيوبيين. ولذلك قام بيرنج بغية توجيه اهتمام حكومة لندن للتدخل في الصومال، بارسال تقرير هنتر الى اللورد جرانفيل في الاول من كانون الثاني عام ١٨٨٤ بدون ادخال اية تعديلات عليه، او أن يرفق معه رأي السلطة المصرية تجاه الموضوع^(٢)، وقد رحبت حكومة غلاستون بدعوة هنتر، خشية قيام دولة اخرى باحتلال تلك المناطق بعد انسحاب الحاميات المصرية منها. هذا على الرغم مما أكدته الوثائق البريطانية من كذب ادعاءات هنتر وعدم صحة تقاريره عن تعرض السلطات المصرية في الصومال للتهديد^(٣).

تطلب بحث مسألة ساحل الصومال المقابل لعدن من المسؤولين البريطانيين ترتيباً خاصاً، فقد كانت الحكومة البريطانية قد ارتبطت بمعاهدة رسمية مع الحكومة المصرية منذ العام ١٨٧٧، اعترفت بموجبها بحقوق مصر بالسيادة العثمانية على الأراضي الممتدة من قناة السويس الى رأس حافون. كما أن مسألة الانسحاب المقبل للإدارة والحاميات المصرية من ساحل الصومال، سيؤثر حتماً

(1) Lewis, op.cit, P. 42-45

(٢) يحيى، العلاقات المصرية-الصومالية، ص ١٦٦؛ طه، جاد، سياسة بريطانيا وجنوب اليمن، ص ٢٤٨

(٣) اباطه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٤٨٦؛ طه، سمير، المصدر السابق، ص ٤٤٨.

في إثارة مسألة السيادة العثمانية على سواحل الصومال، وهذا يعني من الناحية القانونية انه لا يمكن تسوية السيطرة على ساحل الصومال من دون موافقة الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على مصر وملحقاتها الافريقية. ولذلك حاولت الحكومة البريطانية أن تجد مخرجاً لتلك المسألة، عندما أرسلت في ١٤ آيار ١٨٨٤ الى الباب العالي تطلب منه ان يباشر سلطاته في الساحل الممتد بين مضيق باب المندب وزيلع، وان يطبق في هذه الاراضي التي ستوضع تحت إدارته المباشرة الاتفاقيات القائمة بينه وبين الحكومة البريطانية فيما يخص حرية التجارة والملاحة وتحديد نسبة الضرائب على ألا تزيد على (٥%) والقضاء على تجارة الرقيق^(١)، وعدم التنازل عن أي جزء منه لاية دولة أخرى، ألا يلتزم بالتعهدات التي وقّع عليها على الساحل الممتد من زيلع الى رأس حافون^(٢).

يبدو ان الهدف البريطاني من وراء الطلب المذكور هو تقسيم ساحل الصومال المقابل لعدن والممتد بين مضيق باب المندب ورأس حافون الى قسمين، وان يعامل كل قسم منه معاملة خاصة. فقد اعترفت الحكومة البريطانية بسيادة الدولة العثمانية على القسم الاول الذي يمتد من باب المندب الى زيلع، وهو يحيط بأراضي أبوك الفرنسية، وكان قصد بريطانيا من ذلك الاعتراف، ان تواجه الدولة العثمانية التوسع الفرنسي المرتقب في المنطقة، وان تقوم بدلاً من البريطانيين بمواجهته. أما فيما يخص القسم الثاني من الساحل، فقد أنكرت الحكومة البريطانية اعترافها بشرعية سيطرة العثمانيين على القبائل الصومالية الموجودة بين زيلع ورأس حافون، مبررة ذلك، بأنها بموجب معاهدة عام ١٨٧٧ قد اعترفت بالسلطة المصرية وليس بالسيادة العثمانية على ذلك القسم من الساحل^(٣)، وهي بذلك انكرت ما أقرته تلك المعاهدة التي اعترفت بحقوق مصر والدولة العثمانية على هذه الاراضي، وتعهد مصر ألا تتنازل عن أي جزء من

(1) Touval, op.cit, P. 36 ;

شكري، مصر والسودان، ص ٤١١ .

(٢) يحيى، العلاقات المصرية-الصومالية، ص ١٦٦ ؛ محمود، المصدر السابق، ص ٩٠ .

(٣) يحيى، جلال، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ٢٥٧ .

الساحل لأية دولة أجنبية، ووضعت تقرير مصير المنطقة بشكل يحد من حقوق العثمانيين وعلى نحوٍ فعلي على المنطقة.

في ٢٩ آيار ١٨٨٤ باشر اللورد جرانفيل تحركاته الدبلوماسية، لوضع أسس الاحتلال البريطاني لساحل الصومال المطل على خليج عدن، عندما بعث بتعليماته الى وزارة الهند للتحرك بهذا الشأن، والى اللورد دوفرين Dufferin السفير البريطاني في اسطنبول لابلاغ الباب العالي بأن الحكومة البريطانية قررت اتخاذ الترتيبات التي تراها ضرورية للحفاظ على المصالح البريطانية في المنطقة، وخاصة في بربرة التي تمد عدن بحاجاتها الرئيسة^(١). وفي ١٨ حزيران ١٨٨٤ قررت حكومة غلادستون سحب الحاميات المصرية من الساحل الصومالي، عندما أصدرت تعليماتها الى هنتر للعمل على تسهيل الترتيبات الخاصة بانسحاب الادارة المصرية من ساحل الصومال، وان يعمل على مواجهة كل محاولة تهدف الى الاخلال بالنظام المحلي او الاحتلال الاجنبي، وذلك بتنفيذ الاتفاقيات مع مشايخ القبائل المحلية خاصة عند بلهار وبربرة، وميت، وبندر قاسم، وبندر خور، وبندر مريه، وحافون. اما بقية المنطقة الساحلية الممتدة من زيلع الى باب المندب، فكان على هنتر الا يتدخل فيها، وذلك لحين تلقيه تعليمات أخرى^(٢)، وكان هدف البريطانيين من وراء الدخول في مفاوضات مع شيوخ تلك المنطقة، هو الحصول قبل انسحاب المصريين من هناك على تعهدات تقضي بعدم التنازل أو البيع أو التسليم لاية دولة أجنبية.

قام هنتر في ٣ تموز ١٨٨٤ وبناءً على تعليمات حكومته بزيارة زيلع وبربرة وهرر، لتمهيد السبيل أمام امتداد النفوذ البريطاني الى المنطقة، وبحث مسألة الانسحاب المصري من تلك المنطقة. وفي ١٣ تموز ١٨٨٤ أبلغ هنتر من عدن وزارة الخارجية بنتائج جولته الى المنطقة، وهي انه يمكن القيام بتلك المهمة بأقل المخاطر من خلال عقد إتفاق مع القبائل الصومالية في بربرة وبدون شروط مالية،

(1) The Earl of Cromer, op.cit, P.500 ; Touval, op.cit, P. 36.

(٢) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ص ٩٩-١٠٠ ؛

Mariam, Mesfin, The Background of The Ethio-Somalian Boundary Disput, The Journal of The Modern African Studie, Vol..2, Number.2, Geeat Britain, 1964, P. 196.

حتى يمكن تنظيم انسحاب الادارة والحاميات المصرية من هناك^(١). وفي ١٤ تموز أبحر هنتر الى بربرة ثانية على ظهر سفينة حربية تابعة للهند أحضرت له خصباً من بومباي، بعد أن سبقته سفينتان حربيتان بريطانيتان في ١٢ تموز ١٨٨٤ الى ميناء بربرة وانتظرتا وصوله. دعا هنتر عند نزوله شيوخ القبائل والمناطق المحيطة بها، وتمكن من جمع توقيعاتهم في ١٤ تموز ١٨٨٤ على اتفاقية أعدها في عدن قبل وصوله^(٢) تنص على عدم التنازل عن أي جزء من أراضيهم لأية دولة أخرى عدا بريطانيا، وبالسماح للسفن البريطانية بالتجارة في جميع الموانئ التابعة لهم، وبحماية الرعايا البريطانيين في أراضي بربرة، وبمنع تجارة الرقيق والموافقة على تعيين الوكلاء البريطانيين فيها. كما نصت الاتفاقية ان تكون سارية المفعول في التاريخ الذي سوف تغادر فيه القوات المصرية بربرة^(٣). وبذلك فرض البريطانيون بموجب هذه الاتفاقية الحماية على بربرة، وأصبحت سياستهم معروفة للقبائل الصومالية الممتدة على ساحل خليج عدن، مما جعل بقية الساحل على استعداد للتفاوض مع هنتر، واكتفوا بوصفهم شيوخاً مستقلين عن الادارة المصرية وغير تابعين للسلطان العثماني، على الرغم من عدم وجود أية صلاحية لديهم بالتوقيع على معاهدات أو الدخول في مفاوضات مع ممثلي الدول الاجنبية بدون تصريح من الباب العالي أو الحكومة المصرية. وعلى الرغم من ذلك كله، لم يكن في الساحل الممتد الى الشرق من بربرة الذي يطل على خليج عدن أي ميناء بالمعنى الحقيقي، ولهذا فإن الاتفاقيات التي عقدها هنتر بعد اتصاله بوزارة الهند في ١٥ تموز عام ١٨٨٤، كانت تقتصر على عدم التعرض للسفن القادمة، والغاء تجارة الرقيق، فضلاً عن التعهد بعدم التنازل عن

(1) Chapin, Helen, Somalia: A country Study, 1992, P. 1 ;

التهامي، الفت، الجذور الاجتماعية للصراع في القرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٤، القاهرة، مؤسسة الاهرام، اكتوبر ١٩٧٨، ص ١٨.

(٢) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ١٠٤ ص ١٠٥؛ محمد، المصدر السابق، ص ١٤٨ ص ١٤٩.

(3) Lewis, M, Nationalism and Self Determination in The Horn Of Africa, London, Westview Press, 1983, P. 152.

أي جزء من تلك الاراضي لغير الحكومة البريطانية^(١). وبذلك لم ترد اية اشارة لاي نشاط تجاري أو ممارسات لوكلاء بريطانيين في تلك المناطق.

واصلت وزارة الخارجية البريطانية-بعد نجاح سياسة عقد الاتفاقيات مع شيوخ الساحل بين زيلع ورأس حافون، وفرض الحماية البريطانية على مناطقهم- تنفيذ عملية انسحاب الحاميات المصرية من تلك المنطقة. ففي الاول من آب ١٨٨٤ أرسل اللورد جرانفيل الى اللورد دوفرين في الاسطنبول برقية حول إنذار الباب العالي، لاتخاذ الاجراءات اللازمة والسريعة، لاعادة سيطرتها على زيلع وتاجورة، بناءً على تعليماتها الصادرة في ٢٩ آيار ١٨٨٤ بشأن المحافظة على النظام في منطقة خليج عدن، وان ترسل قوة عند انسحاب المصريين الى زيلع وتاجورة. كما حرصت وزارة الخارجية البريطانية في الأول من آب عام ١٨٨٤ لهنتر بعمل الاستعدادات اللازمة، لتعزيز حامية زيلع بقوات من عدن، وان تحتل الميناء في حالة الضرورة من دون استشارة لندن^(٢).

ولاتمام السيطرة على ميناء بربرة، سافر هنتر بصحبة والش المساعد الثالث للمقيم السياسي في عدن، الذي عين نائباً سياسياً في بربرة، في ٤ آب عام ١٨٨٤ الى بربرة مع (٥٠) رجلاً من أفراد الشرطة، وعند نزول هذه القوة الى بربرة واجهت مقاومة من السلطات المصرية، اذ رفض حاكم بربرة رسمياً ان يسلم سلطاته من دون صدور أمر بذلك، ليس من الحكومة المصرية فحسب بل من الباب العالي ايضاً، فعاد هنتر وقواته الى عدن في اليوم التالي^(٣). ولم يكن الموقف العثماني أقل صلابه من موقف السلطة المصرية في بربرة، فقد رفض قاسم باشا وزير الخارجية العثماني الاجابة عن انذار اللورد جرانفيل قبل عرض الامر على مجلس الوزراء العثماني لبحث الموضوع واتخاذ قرار بشأن اعادة انتشار القوات العثمانية في زيلع وتاجورة. وهنا توجست الحكومة البريطانية خوفاً من ان يرتب الباب العالي مناورة لربط مصير بربرة مع زيلع وتاجورة، ولذلك صممت على الا

(١) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ١٠٦؛

Lewis, Nationalism and Self Determination, p. 152.

(2) Touval, op.cit, P. 36 ; Marlowe, Anglo-Egyption, P. 153.

(3)Lewis, The Modern history of Somaliland, P.187.

تترك المجال مفتوحاً لتحقيق هذا الهدف^(١)، وان تستخدم الخيار العسكري أمام مقاومة المصريين في بربرة لسياستهم، عندما أمرت هنتر في ١٢ آب عام ١٨٨٤ بجمع سريتين من المشاة الهنود، وبطارية مدافعية، ومئة من الخيالة، وكمية كبيرة من الأسلحة والمعدات ووضعها في عدن إلى حين صدور الأوامر للبحار إلى الصومال^(٢). وفي ١٣ آب ١٨٨٤ جاء جواب الباب العالي إلى اللورد جرانفيل، يذكر فيه أن الدولة العثمانية على استعداد لإرسال قوات عسكرية إلى زيلع وتاجورة وسواكن في وقت واحد، على أن تقدم الحكومة البريطانية تفسيرات سريعة عن الإجراءات التي اتخذتها في بربرة وعلى امتداد ساحل الصومال المطل على خليج عدن^(٣).

وكان جواب الحكومة البريطانية على مذكرة الباب العالي في هذه المرة، هو إرسال الحملة المجهزة في عدن بقيادة هنتر إلى ساحل الصومال، للقيام بالمهام المسندة إليها في كل من بربرة وزيلع، من دون مراعاة لاية حقوق عثمانية في تلك المناطق، لتكون هذه الخطوة مقدمة للتوسع الاجنبي في الصومال. وفي آب عام ١٨٨٤ طلبت وزارة الخارجية البريطانية من هنتر، اجبار الحامية المصرية على الانسحاب من بربرة بعد اجراء الترتيبات اللازمة لذلك. كما ابلغ اللورد جرانفيل الحكومة المصرية في ٢٥ آب ١٨٨٤ "بأن حكومته لا تقبل أي تأخير في تنفيذ عملية الانسحاب، وان على الحكومة المصرية نفسها ان تكلف هنتر بهذه المهمة"^(٤).

ولكن الباب العالي أعلن في ٨ أيلول عام ١٨٨٤ معارضته للدعاءات البريطانية الرامية إلى السيطرة على بربرة، عندما قدم قاسم باشا مذكرة احتجاج إلى اللورد جرانفيل، استندت إلى حجج قانونية ثابتة توضح تبعية بربرة للدولة

(١) اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٤٩٤.

(٢) يحيى، سواحل البحر الاحمر، ص ١١٥؛

Hamilton, Angus, Somaliland, London, Chaton & Wtndus, 1970, P. 45 ; Lewis, The Modern history of Somaliland, P.116.

(٣) يحيى، سواحل البحر الاحمر، ص ١١٦ ص ١١٧؛ اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٤٩٦

(4) Earl of Cromer, op.cit, P. 78.

العثمانية، واعتراف بريطانيا الرسمي بحقوق الدولة العثمانية على الساحل الصومالي الممتد من زيلع الى رأس حافون، التي تعد بربرة جزءاً منه، بموجب المعاهدة البريطانية- المصرية التي عقدت في ٧ أيلول ١٨٧٧^(١). كما أنه اشار الى أن الحكومة البريطانية قد أرسلت مذكرة الى الخديوي توفيق في آب ١٨٧٩، تطلب فيها أن يرسل الى تلك المناطق القوة اللازمة للحفاظ على شرعية السيادة العثمانية، وان يمنع كل قوة أجنبية من الإقامة هناك^(٢). غير أن وزارة الخارجية البريطانية رفضت الاعتراف بصلاحيات أية معاهدة بريطانية مع الحكومة المصرية، أو اية مطالب عثمانية تستند الى نصوص معاهدة بقيت بدون تنفيذ، طالما أن الباب العالي لم يقر معاهدة عام ١٨٧٧، ولم يؤكد السلطان العثماني للحكومة البريطانية الاعتراف بنصوص المعاهدة لا سيما التي تتعلق بعدم التنازل عن أي جزء من الساحل لأية دولة أخرى.

يتبين مما سبق ان الدولة العثمانية كانت عاجزة عن ارسال الامدادات العسكرية الى سواكن وتاجورة وزيلع وكذلك كانت غير قادرة على مواجهة القوات البريطانية في بربرة، على الرغم من تحذيرات اللورد جرانفيل التي وجهها الى الباب العالي في ٢٩ أيار ١٨٨٤ وفي ١ آب ١٨٨٤، لاتخاذ الاجراءات اللازمة لاعادة انتشار قواتها العسكرية في تلك المناطق، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن العثمانيين لم يكونوا راغبين في الدخول في سباق استعماري في تلك المنطقة، التي كان لبريطانيا نفوذ فيها بموجب المعاهدتين اللتين عقدتا في آب ١٨٤٠ وأيلول عام ١٨٤٠ مع شيخي تاجورة وزيلع، وفرنسا سيادة على أوبوك منذ العام ١٨٦٢، ولايطاليا مستعمرة في عصب منذ عام ١٨٨٢. ولهذا رأى العثمانيون في خضم ذلك التنافس الاوربي على ساحل الصومال وارتيريا، أن افضل السبل لضمان السيطرة على جزء من طريق البحر الاحمر الى الشرق الاقصى، بعد ان ازدادت أهمية موقعه بعد افتتاح قناة السويس، هو تأكيد

(٢) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص^{٨٣} ؛ اباطه، عدن والسياسة البريطانية...، ص^{٤٩٦}.

(2) F.O.195/1225, Bombay Gov. To C.U.Aitchison, Memorandum on The dupution The Somal Coast p.12.11 The October 1879.

سيطرتهم على اليمن، التي أعادوا احتلالها في العام ١٨٧٢^(١)، الذي بدوره شهد تنافساً بريطانياً-عثمانياً شديداً على جنوب اليمن، لرغبة كلا الجانبين في توسيع مناطق نفوذهم فيه. وبذلك تمكن البريطانيون من ان ينتقلوا الى مرحلة أكثر أهمية في تاريخ توسعهم في منطقة القرن الأفريقي، وهو تحول اعتمد بالدرجة الاساس على مستعمرتهم في عدن. إذ أرسل هنتر من عدن الى بربرة الحامية البريطانية في ٥ تشرين الاول ١٨٨٤، بعد ان تحققت للبريطانيين عملية انسحاب الحامية المصرية من هناك في ١٥ أيلول ١٨٨٤^(٢).

استمر البريطانيون بعد سيطرتهم على بربرة في أطماعهم تجاه ساحل الصومال، بل كانوا أكثر إصراراً للسيطرة على زيلع بعد انسحاب المصريين منها، للحيلولة دون قيام أية دولة أجنبية بالسيطرة عليها. وهنا خشيت الحكومة البريطانية من إثارة مسألة حقوق الدولة العثمانية في هذه المناطق، وظهور بريطانيا بمظهر المعتدي على سيادة السلطان العثماني في ذلك الوقت، لذلك تجسدت الرؤية البريطانية تجاه المنطقة بنظرة واقعية، عندما وجدت ان التوسع الفرنسي في أوبوك قد يبطل امكانية أي موقف معارض يمكن ان تقوم به الحكومة الفرنسية ضد استيلاء البريطانيين على زيلع وبربرة. كما رأت الحكومة البريطانية من جانب آخر، انها اذا استجابت لتطلعات الايطاليين في التوسع الاقليمي حول عصب ستحصر النفوذ الفرنسي في تلك المنطقة، وتصبح حقوق الدولة العثمانية في خليج عدن شكلية أمام عدم اعتراف ثلاث دول كبرى في آن واحد وهي بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا^(٣).

وكان طريق البحر الاحمر قد اكتسب أهمية جديدة بالنسبة للفرنسيين في عهد وزارة جول فيري Jules Ferry الثانية (١٨٨٣-١٨٨٤)، الذي أسس النفوذ

(١) لمزيد من التفاصيل عن طبيعة الحكم العثماني لليمن بين ١٨٧٢ و ١٩١٨ وأهم الثورات اليمنية ضد العثمانيين :- اباضه، الحكم العثماني في اليمن.

(٢) يحيى ، العلاقات المصرية -الصومالية، ص^{١٦٨} ص^{١٧٠} ؛ طه، سمير، المصدر السابق، ص^{٤٤٨}.

(٣) اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص^{٤٩٩}.

الفرنسي في مدغشقر، ودعم السيطرة الفرنسية على انام بالهند الصينية، وحصل على تونكين Tonkin في شمال فيتنام. ولذلك منحت مستعمرات فرنسا الجديدة في الشرق الأقصى اهمية اضافية لطريق البحر الاحمر، لكونه حلقة وصل رئيسة في مواصلاتهم مع تلك المستعمرات، فقد اضافت حاجة الفرنسيين الى محطة للفحم في منطقة البحر الاحمر للسفن الفرنسية، ورفض البريطانيون السماح للسفن الفرنسية عام ١٨٨٣ بالتزود بالفحم من عدن وهي في طريقها الى الصين^(١)، عاملاً آخر لاستعداد الفرنسيين لاستخدام اوبوك محطة للفحم وقاعدة لتوسيع مناطق نفوذهم في المنطقة.

وقد اعتمدت الحكومة الفرنسية في هذه المهمة على لاجارد الذي اختارته لمنصب حاكم اوبوك، الذي تمكن في ايلول ١٨٨٤ من عقد معاهدة مع الشيخ احمد شيخ تاجورة، نصت على حماية فرنسا للاراضي الممتدة من رأس علي الى قبة الخراب، وبتعهد شيخ تاجورة بعدم عقد أية معاهدة أو اتفاقية مع أية دولة أجنبية بدون موافقة حاكم اوبوك^(٢). وتنطوي أهمية هذه المعاهدة انها قد منحت الفرنسيين أقليماً يشمل اوبوك. كما منحت فرنسا مفتاح الطريق الذي يبدأ من تاجورة وينتهي بشوا بعد المرور ببخيرة عسل، وكان يعني سيطرة الفرنسيين على معظم التبادلات التجارية بين المناطق الداخلية وساحل البحر الاحمر.

أثار الاستيلاء الفرنسي على تاجورة والمناطق التابعة لها مخاوف السلطات البريطانية من النتائج التي قد تترتب على سحب القوات المصرية من قبة الخراب الواقعة على مدخل خليج تاجورة، ومن التهديد الفرنسي لجزر موسى واباط، وتقع هذه الجزر بالقرب من الساحل وتتحكمان بمدخل خليج قبة الخراب، اذ سيصبح خليج قبة الخراب في حالة احتلال الفرنسيين لها، منطقة يصعب مهاجمتها، ولهذا طلب اللورد كمبرلي Lord Kimberley وزير الهند (١٦ كانون الاول ١٨٨٢-٢٤ حزيران ١٨٨٥ ثم ٦ شباط ١٨٨٦-٣ آب ١٨٨٦) - لضمان عدم

(1)Langer, op.cit, P. 109 ; Sulassie, op.cit, P. 140.

(2)Chapin, op.cit, P. 2 ;

فرج الله، سمعان بطرس، مستقبل جيبوتي بين اثيوبيا والصومال، مجلة السياسة الدولية، العدد السابع، القاهرة، كانون الثاني ١٩٦٧، ص ١٥٣ .

استخدام فرنسا لهذه الجزر وتقليل الالهية الاستراتيجية لميناء تاجورة عند الفرنسيين، وابعاد اية امكانية لتمويل قبة الخراب الى ميناء وقاعدة بحرية تهدد عدن في حالة نشوب أي صراع مسلح بين البريطانيين والفرنسيين^(١) -من نائب الملك في الهند في السابع من تشرين الثاني عام ١٨٨٤، تأكيد حقوق بريطانيا في هذه الجزر، استناداً الى المعاهدة التي عقدها مورسبي في العام ١٨٤٠ مع شيخ تاجورة. وعندما وصلت التعليمات الى عدن عهد جيمس بلير James Blair المقيم السياسي البريطاني في عدن (١٨٧٨-١٨٨٦) للملازم كنجزمل Kingsmill نائب القنصل البريطاني في زيلع تأكيد سلطة البريطانيين على جزر موسى واباظ. وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٨٨٤ قام كنجزمل بنصب ثلاث ساريات على جزر موسى واحضر خمسة رجال من زيلع لحراستها وزودهم بالاعلام البريطانية. وفي ٣ كانون الاول ١٨٨٤ نصب كنجزمل سارية علم جديد على جزيرة اباز وابقى رجلين هناك لحراستها^(٢). وبهذه الطريقة تأكدت لبريطانيا سيطرتها بموجب معاهدة آب ١٨٤٠ بشكل نهائي على موسى واباظ.

وقد دفع ابعاد التنافس البريطاني - الفرنسي في منطقة خليج عدن ايضاً، الى سعي الحكومة البريطانية نحو تعميم فكرة الحصول على معاهدات حماية مع شيوخ القبائل الساحلية لتوسيع مناطق نفوذها في الصومال، واثبات اسبقية سيطرتها على تلك المناطق أمام الدول المنافسة لها. ولذلك لم يكد هنتريطالب بعقد معاهدة مع قبيلة القضابورسي في ٨ كانون الاول عام ١٨٨٤، حتى صرح له اللورد جرانفيل بذلك في اليوم نفسه، وقد عقدت هذه المعاهدة بالفعل في ١١ كانون الاول ١٨٨٤. وتعهد شيوخ هذه القبيلة بموجبها بعدم التنازل عن أراضيهم لاية دولة أخرى، وبمنع تجارة الرقيق، والسماح للسفن البريطانية بممارسة التجارة في

(١) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ١٥٦ ؛

Newton and Ewing, The British Empire Since 1783, Its Political and Economic development, Third Edition, London, 1939, P.146.

(٢) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ١٥٦ ص ١٥٧ ؛ طه جاد، سياسة بريطانيا في جنوب

اليمن، ص ٢٥٢ ص ٢٥٣ ؛ محمد، المصدر السابق، ص ١٥٢ .

الموائى التابعة لهم^(١). كما أصدرت وزارة الخارجية البريطانية تعليماتها الى هنتر لعقد معاهدات مشابهة مع بقية القبائل. وتنفيذاً لذلك، عقد هنتر في ٢٦ كانون الاول ١٨٨٤ معاهدة مع قبيلة حبرتلجعله، وفي ٣١ كانون الاول عام ١٨٨٤ مع قبيلة العيسى صومال. وكانت اراضي هذه القبيلة تمتد من زيلع حتى هرر وتجاور الاراضي التي ضمها الفرنسيون أخيراً. وفي كانون الثاني ١٨٨٥ عقد هنتر معاهدة تخص آخر جزء من ساحل الصومال لخليج عدن، وهو الذي تسكنه قبيلة حبرجهاجس، وتقع بين أراضى حبرتلجعله في الغرب وأراضى قبيلة دار سنجالي في الشرق^(٢).

ويبدو ان هذا الاندفاع البريطاني لعقد معاهدات الحماية مع شيوخ قبائل الساحل الصومالي المطل على خليج عدن، وجزر موسى واباط في وقت متقارب، يوضح بشكل كبير شدة التنافس البريطاني-الفرنسي في تلك المناطق، وأهمية تلك المواقع الاستراتيجية من جزر ومناطق في التأثير على موقع عدن وطريق المواصلات البحرية الى الهند عبر البحر الاحمر، واهتمام الحكومة البريطانية بالحصول على أسانيد واثباتات قانونية تمنحها مواجهة المنافسة الفرنسية والايطالية على تلك المناطق.

تمكن البريطانيون-ومن خلال عقد معاهدات الحماية مع شيوخ ساحل الصومال، وبالسماح للايطاليين باحتلال مصوع في ٥ شباط ١٨٨٥-من ان يشكلوا أدوات ضغط على الفرنسيين في تاجورة وابوك وما يحيط بها، وبشكل يخنق المستعمرة الفرنسية الناشئة في منطقة البحر الاحمر، ويقطع صلاتها مع داخل الاراضي الصومالية والاثيوبية مستقبلاً، بيد أن لاجارد قد علم بتلك السياسة مبكراً، فقام في ٥ كانون الثاني ١٨٨٥ بعقد معاهدة مع شيخ اوسه لفتح المنطقة امام الفرنسيين بين اوسه وشوا، من دون المرور بأراضى أية مستعمرة بريطانية

(1)Turton, E, Somali Resistance to Colonial Rule and The development of Smoali Political Activity in Kenya, 1893-1960, The Journal of African history, Vol. XIII, Number. 1, London, 1972, P. 123.

(2)Touval, op.cit, P. 37 ;

طه، جاد ، بريطانيا والصومال ، ص٧٥ ص٧٦ ؛ سالم، حمدي ، المصدر السابق، ج ٢ ، ص٧١ ص٧٢ .

او ايطالية، وكان لاجارد قد عقد هذه المعاهدة بدون اعلام حكومته، ليضعها بذلك امام الامر الواقع^(١). وقد اضطرت الحكومة الفرنسية بطبيعة الحال الموافقة على المعاهدة المذكوره في ٢١ شباط ١٨٨٥، ولكنها منعت لاجارد القيام بأي تصرف جديد من دون استشارتها^(٢).

وقد أدى التوسع الفرنسي في اوسنة الى شروع البريطانيين بتنظيم العلاقة مع فرنسا في تلك المنطقة، للمحافظة على املاكهم الجديدة في ساحل الصومال والممتدة من زيلع الى رأس حافون. وفي تشرين الاول عام ١٨٨٥ توصل الطرفان البريطاني والفرنسي الى اتفاق يرمي الى الحفاظ على الوضع القائم في ممتلكاتهم المطلة على خليج عدن، وعدم تدخل البريطانيين في تاجورة، والفرنسيين في هرر^(٣). بيد أن الجانبين لم يستمرا بتنفيذ الاتفاق، حينما استأنف كل من هنري نائب القنصل الفرنسي في الصومال، التابع لحاكم ابوك لاجارد، وكنجزمل نائب القنصل البريطاني في زيلع، نشاطهما الاستعماري في تلك المناطق، فقد قام الفرنسيون بالاستيلاء على امبادو الواقعة بين رأس جيبوتي وزيلع، ودتجاريता الواقعة بين زيلع وبلهار، لضمان سيطرة الفرنسيين على قبة الخراب وسواحلها، ولابعاد البريطانيين تجاه الشرق، ولاستخدامها في حالة الضرورة للمساومة مع البريطانيين في المفاوضات التي تعقد بين الطرفين، في حين حاول البريطانيون ضمان السيطرة على كل الساحل الصومالي الممتد من زيلع الى رأس حافون، وعدم ترك المجال امام الفرنسيين للتفوق في منطقة خليج عدن^(٤).

(١) جيبوتي دراسة مسحية شاملة، المصدر السابق، ص ٤٠؛ اباضه، عدن والسياسة البريطانية...، ص ٥٠٨.
(٢) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ١٦٢؛ الجبوري، عصام محسن علي، العلاقات العربية - الافريقية ١٩٦١-١٩٧٧، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية القانون والسياسة /جامعة بغداد، ايلول ١٩٧٨، ص ٩٥.

(3) Touval, op.cit, P. 38 ;

(٤) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ١٦٨؛ حميد، خميس دهام، الصومال دراسة في مشكلات توحيد الصومال الكبير والوحدة الوطنية والتدخل الدولي، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية العلوم السياسية/جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ٤٣.

وقد صار وجود العلم الفرنسي في امبادو ودتجاريثا مثار خلاف بين الحكومتين البريطانية والفرنسية، لتعارضه مع ما ادعته فرنسا في اتفاق تشرين الاول ١٨٨٥، ولذلك ارتأت الحكومة الفرنسية تسوية المشكلة بالطرق الدبلوماسية مع الحكومة البريطانية، عندما قرر فلوران وزير الخارجية الفرنسي الحفاظ على اتفاق عام ١٨٨٥ والالتزام بتطبيق التوصيات المتفق على تطبيقها في الساحل الصومالي، منعاً لحدوث أية تعقيدات جديدة، أو تدخل في شؤون الاقاليم المجاورة والسعي للتوسع^(١). وفي كانون الثاني ١٨٨٧ أبدى جوليان بونسفون وكيل وزارة الخارجية البريطانية، للسفير الفرنسي في لندن رغبته في انهاء التوتر مع فرنسا عن طريق سحب كل من هنري وكنجزمل وتخطيط الحدود بين ممتلكات الطرفين في الصومال.

بدأت المفاوضات البريطانية-الفرنسية في لندن في ٣٠ كانون الثاني عام ١٨٨٧ بين اللورد سالزبري ووانجتون وكيل وزير الخارجية الفرنسية، أبدى واندجتون استعداد حكومته للتنازل عن الاقاليم والقبائل الواقعة الى شرقي زيلع على شرط ان تعترف فرنسا بالحماية البريطانية على المناطق الواقعة الى الغرب من زيلع. كما اقترح واندجتون تخطيط الحدود عبر ترسيم خط مستقيم يمتد على الخريطة من زيلع الى هرر كأساس لتحديد حدود المحميتين البريطانية والفرنسية. بيد ان حكومة الهند، وهي التي اسندت اليها إدارة ساحل الصومال المطل على خليج عدن، رفضت المقترح الفرنسي واقترحت حداً آخر يمتد من جيبوتي حتى هرر كحدود بين منطقتي النفوذ، فوافق الفرنسيون على ذلك^(٢). فأعلنت بريطانيا حمايتها في ٢٠ تموز عام ١٨٨٧ على ساحل الصومال الممتد من اراضي جيبوتي على الساحل الجنوبي لخليج تاجوره الى بندر زياده، وتم تبادل الخطابات بين الطرفين في ٩ شباط عام ١٨٨٨ حول مصالحهما في الصومال، بعد ان قبلت

(1) Lewis, Nationalism and Self Determination, p. 176.

(٢) يحيى، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص ١٧٨؛ حافظ صلاح الدين، صراع القوى العظمى في القرن الافريقي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ١٩٨٢، ص ٩٥؛ جيبوتي دراسة مسحية شاملة، المصدر السابق، ص ٤١.

بريطانيا ترك جيبوتي لفرنسا واتفاق الدولتين على عدم تدخلهما في هرر^(١). وبذلك وضعت اتفاقية ٢-٨ شباط عام ١٨٨٨ البريطانية-الفرنسية خاتمة للتنافس الاستعماري بينهما على ساحل الصومال المقابل لعدن. وتمكن البريطانيون من حصر النفوذ الفرنسي في منطقة القرن الافريقي في هذه المنطقة، التي أصبحت بمقتضى قرار فرنسي صدر في ٢٠ آيار عام ١٨٩٦ تحمل اسم محمية ساحل الصومال الفرنسي^(٢). في وقت لم تتوقف بريطانيا عن اتاحة الفرصة لاييطاليا في التوسع الافريقي وتسليمها اراضي كبيرة في المنطقة.

سياسة بريطانيا تجاه التوسع الايطالي في أرتيريا والصومال وردود الفعل المحلية أزاءها ١٨٨٢-١٩١٤

مثلما تكالب البريطانيون والفرنسيون في العقد التاسع من القرن التاسع عشر على الساحل الغربي للبحر الاحمر وخليج عدن للسيطرة على اهم المواقع الاستراتيجية فيه، وتوسيع مناطق نفوذهم على الطريق البحري الرئيس الى الشرق الأقصى، سعى المسؤولون الايطاليون، بعد شراء الحكومة الايطالية ميناء عصب من شركة روباتينو في الخامس من تموز ١٨٨٢ الى توطيد النفوذ الايطالي في الساحل الغربي للبحر الاحمر، وجعل منطقة عصب قاعدة ارتكاز لعملياتهم التوسعية، وقد وجد الايطاليون في الاضطرابات العامة في مصر والاحتلال البريطاني لها في العام ١٨٨٢، فرصة مواتية لتحقيق مشاريعهم، فقد دفعهم تعرض أمن طريق البحر الاحمر للتهديد بعد انتشار الثورة المهدية في شرقي السودان، وتوافق المصالح البريطانية-الايطالية حول مسألة عصب منذ العام ١٨٨١، نحو التوجه لتنفيذ التوسع الايطالي في المنطقة والتوغل في اثيوبيا.

(1) Sandes, op.cit, p.109; Elgood, P, Egypt, London, Arrawsmith, 1935, p.102.

(2) Abrams, L, Who Were The French Colonialists ? A Reass essment of The Part Colonial, 1890-1914, The Historical Journal, Vol. 19, No. 3, Great Britain, 1976, P. 687.

ومما لا ريب فيه ان الذي كان يجري من احداث في ساحل البحر الاحمر الغربي، لم يكن خافياً على الحكومة الايطالية، التي كانت تتابع باهتمام شديد تطور الاحداث في المنطقة. فقد فسرت بنود معاهدة عدوة التي عقدت في ٣٠ حزيران عام ١٨٨٤، بمثابة تنازل صريح من جانب مصر عن كل حقوقها في مصوع، بسبب حرية نقل جميع البضائع الصادرة والواردة بما في ذلك الاسلحة من ميناء مصوع، الذي وقع تحت الحماية البريطانية^(١)، ولهذا استقر رأي باسكال مانشيني Pasquale Mancini (١٨١٧-١٨٨٨) وزير الخارجية الايطالي (١٨٨١-١٨٨٥)، على الرغم من معارضة بعض الساسة الايطاليين^(٢)، ومنهم فرنشسكو كريسيبي Francesco Crispi (١٨١٨-١٩٠١)^(٣)، على ان يسبق الاثيوبيين في الاستيلاء على مصوع، منتهزاً فرصة انشغال الحكومة المصرية باخماد الثورة المهدية في السودان، ومن هنا بدأ في افق السياسة الايطالية ما بات يعرف باسم "مشروع مانشيني الاستعماري". الذي توخى مانشيني من خلاله تحقيق مشروع أوحلم استعماري كبير يرمي الى "التقاط مفاتيح البحر المتوسط في البحر الاحمر"، وذلك عن طريق بسط النفوذ الايطالي السياسي على ساحل البحر الاحمر الغربي بالاتفاق مع بريطانيا، ثم التوغل في السودان غرباً الى دارفور حتى يصل النفوذ الايطالي تدريجياً شمالاً الى سواحل طرابلس؛ لتتمكن ايطاليا من بسط

(١) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا... ص ١٦٥؛ محمد، المصدر السابق، ص ١٧٨.

(٢) كان هناك اختلاف بين السياسيين الايطاليين حول التوسع الايطالي، وكان فريق فرنشسكو كريسيبي وآخرون يفضلون ان تركز ايطاليا بمجهوداتها على منطقة البحر المتوسط، لكونها المكان الطبيعي لمركز ايطاليا الاستعماري. انظر:-

Suellassie, op.cit, p. 104.

(٣) دخل كريسيبي البرلمان الايطالي كنائب معارض في العام ١٨٦١، ثم اصبح وزيراً للداخلية واستقال من منصبه في العام ١٨٧٨. ثم رئيس للوزراء ما بين (١٨٨٥-١٨٩١) و (١٨٩٣-١٨٩٦) وخلال تلك المدة نجح كريسيبي في ضم ايطاليا الى التحالف الثلاثي الذي تألف من المانيا، والنمسا، وايطاليا، استقال كريسيبي من منصبه في ١٨٩٦ بعد هزيمة الايطاليين في عدوة أمام الاثيوبيين ليقضي بقية حياته في نابولي. انظر:-

سيطرتها على شواطئ البحر المتوسط الجنوبية^(١). وهنا يجد مانشيني بان البحر الاحمر هو الحل لمسألة التوسع الايطالي في البحر المتوسط، فقد كان قصده كما يبدو ان تتعاون إيطاليا مع القوات البريطانية في الحملة على السودان لاحتلال اراضي سودانية، التي تمثل بدورها خطوة مهمة نحو التقدم الى مناطق الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ومنها طرابلس.

كان لابد لمشروع مانشيني ان يبدأ بتوسيع حدود اراضي عصب، التي أعلنها مجلس النواب الايطالي مستعمرة ايطالية في ٥ تموز عام ١٨٨٢، دون نزول حاميات عسكرية فيها، أو الحصول على الاعتراف الرسمي من قبل الحكومتين العثمانية والمصرية بشراء الحكومة الايطالية عصب من شركة روباتينو، بموجب اتفاقية عصب المقترحة في ٩ تشرين الاول ١٨٨١، التي كان من المفروض ان تمنع الحكومة الايطالية بموجبها الاعتراف بما حصلت عليه شركة روباتينو من أراضٍ في عصب واستخدامها للأغراض التجارية فقط، ويعزى موقف الحكومة الايطالية المذكور انفاً الى رفض الحكومة المصرية حينذاك التنازل عن اية اراضي تابعة للدولة العثمانية الى دولة اجنبية.

شعرت حكومة غلادستون برغبة الايطاليين في المشاركة باقتسام الملحقات المصرية الافريقية في المنطقة، فوجدت ان من الحكمة عدم معارضة الايطاليين وفتح المجال لتوسعهم في ارتيريا، وبالقدر الذي تحدده متطلبات المصالح البريطانية هناك، ولا سيما بعد ان شهدت منطقة البحر الاحمر متغيرات مهمة تتمثل في: اشتداد التنافس البريطاني-الفرنسي في ساحل الصومال المطل على خليج عدن، وخشية وقوع موانئ البحر الاحمر الغربي في قبضة المهديين، وعجز الحكومة المصرية في الحفاظ على الامن والنظام في المنطقة، فضلاً عن موقف فرنسا العدائي تجاه بريطانيا في كل ما يتعلق بأمور مصر بعد سعيها الى تدويل قناة السويس نكاية ببريطانيا^(٢). ولذلك عمل البريطانيون-الذين لم تكن لديهم

(١) Suellassie, op.cit, p. 156.

(٢) الشناوي، عبد العزيز، تكتل الدول لتدويل القناة نكاية في بريطانيا، مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، المجلد الثالث والعشرون، الجزء الاول، مايو/ايار، ١٩٦١، ص ١١١ ص ١٥٣ .

الرغبة في زيادة مسؤولياتهم في المناطق التي ستسحب منها الحاميات المصرية، أو للتوسع الفرنسي باستغلال المواقع الاستراتيجية المتاخمة للنيل وروافده، أو لاستقرار دولة أخرى حينما تتحقق من احتمال اخلاء مصر للساحل الممتد من مصوع الى عصب- على ايجاد قوة موازنة لفرنسا في منطقة البحر الاحمر، للاستفادة منهم كـ "كلب حراسة" للمصالح البريطانية كما وصف ذلك^(١).

وقد وجدت الحكومة الايطالية انه من الضروري ان تجس نبض الحكومة البريطانية لمعرفة موقفها فيما اذا اقدمت ايطاليا على توسيع رقعة املاكها على حساب الاراضي التابعة للإدارة المصرية في ارتيريا، خاصة وان احتلال الايطاليين لمصوع سوف يساعد البريطانيين في محاولة القضاء على ثورة المهدي، بعد محاصرة المنطقة من الجنوب من ناحية، وكبح جماح الفرنسيين الذين كانوا يسعون لبسط نفوذهم في شرقي افريقيا من ناحية اخرى. ولهذا أخذت ترسل المذكرات الرسمية الى المسؤولين البريطانيين بغية الحصول على موافقتهم من دون ان تلجأ الى الحكومة المصرية او العثمانية، او تثير مشاكل اقليمية ودولية معهما. وفي تشرين الاول ١٨٨٤ طلب مانشيني من دي مارتينو قنصل ايطاليا العام في مصر، ان يستطلع رأي بيرنغ حول امكانية احتلال ايطاليا لميناء مصوع، فأبدى بيرنغ ترحيبه بالفكرة^(٢)، على الرغم من انه ذكر في العام ١٩٠٨ في كتابه، مصر الحديثة، قائلاً: "أن الحكومة البريطانية لم تعرض مطلقاً على ايطاليا ان تحتل مصوع، وكل ما فعلته هو انها اتخذت موقفاً ودياً تجاه ايطاليا، وامتنعت عن خلق المصاعب التي تعيق الاماني الايطالية"^(٣)، وكان موقف بريطانيا- الذي جاء على لسان بيرنغ عن تواطؤ البريطانيين في العمل لافساح المجال أمام الايطاليين، لاحتلال مصوع التي كانت تحت الحماية البريطانية، بموجب معاهدة عدوة التي عقدت في عام ١٨٨٤، التي منحت اثيوبيا الحرية التامة لنقل التجارة والاسلحة والذخائر عبر ميناء مصوع، والسيطرة على منطقة كان المصريون قد

(1) Marcus, op.cit, p. 82 ;

صبري، الامبراطورية السودانية، ص ١٦٤ ص ١٦٥ ؛ فيفل، المصدر السابق، ص ٤٥ .

(2) The Earl of Cromer, op.cit, p. 58.

(3) Ibid, p.57.

استولوا عليها في العامين ١٨٧٢ و ١٨٧٣، نظير مساعدة المصريين على انسحاب حامياتهم التي كانت موجودة في بعض مدن شرقي السودان - قد نقض ما عقده البريطانيون بالامس مع الملك يوحنا الرابع في تنفيذ طموحات الاثيوبيين في السيطرة على مصوع، فقد كان على البريطانيين في تلك الظروف ان يختاروا بين حليفين اما اثيوبيا او ايطاليا، ولما كان موقف البريطانيين حينذاك في مأزق، لاشتداد خطر المهديين بعد سقوط الخرطوم في ٥ كانون الثاني عام ١٨٨٥، كان من الطبيعي ان تقوم بريطانيا بتشجيع ايطاليا وتوجيهها نحو احتلال مصوع بغية تحقيق هدفين مهمين، **الاول:** هو اشغال الملك يوحنا الرابع وحكومته التي كانت تدعي ومنذ وقت طويل حقوقاً تخولها امتلاك مناطق على طول النيل الازرق حتى الخرطوم، **والثاني:** منع فرنسا من التوغل في قلب افريقيا والاتصال بالسودان اتصالاً مباشراً عن طريق مستعمرتها في اوبوك من ناحية ومن اثيوبيا من ناحية أخرى للتسلل الى منابع النيل^(١).

من جانب آخر، أرادت وزارة الخارجية الايطالية ان تطمئن الى موقف الحكومة البريطانية الرسمي، فكلفت سفيرها في لندن الكونت نيجرا Nigra لمعرفة رأي حكومة غلادستون في مسألة ميناء مصوع. وفي ٢٠ تشرين الاول ١٨٨٤ أرسل نيجرا الى مانشيني برقية جاء فيها ان اللورد جرانفيل كان قد ابلغه ان الحكومة البريطانية لا تريد احتلال ميناء مصوع، ولا تريد من ناحية أخرى ان تتركه في يد المهديين. كما انها لا تريد من ناحية ثالثة ان يقع في يد دولة معادية، والمقصود هنا فرنسا^(٢). فكان هذا جواباً مشجعاً للايطاليين بأن أي احتلال قد تقوم به دولة أخرى غيرهم لن يكون متفقاً مع المصالح البريطانية في المنطقة.

وعندما امتد التوسع الفرنسي الى ما حول أوبوك وضمهم لقبة الخراب في ٢٩ تشرين الاول ١٨٨٤، ادركت القيادة الايطالية ان الوقت قد حان لكي تقوم ايطاليا بدورها بالعمل على توسيع الحدود الاقليمية لمستعمرة عصب، او ان تحصل على مستعمرات جديدة على الساحل الغربي للبحر الاحمر وعلى مقربة من عصب.

(1) Langer, op.cit, p. 109.

(2) Suellassie, op.cit, p. 156.

ولذلك بعث مانشيني بمذكرة الى نيجرا في ٢٩ تشرين الاول ١٨٨٤، أي في اليوم نفسه الذي ارسل فيه هنتر الى حكومته يبلغها بضم الفرنسيين لقبة الخراب؛ لكي يسلمها الى وزارة الخارجية البريطانية، وضح فيها تطور الموقف السياسي في ساحل البحر الاحمر الغربي، وأثره في مستعمرة عصب، خاصة بعد انسحاب الحاميات المصرية من السودان، ورفض الباب العالي للدعوة التي وجهها اللورد جرانفيل اليهم في ٢٩ أيار ١٨٨٤، والاول من آب عام ١٨٨٤، عن إنزال قوة عثمانية في سواكن، وتاجورة، وزيلع. ثم طلب مانشيني من نيجرا في مذكرته ان يتعرف على رأي اللورد جرانفيل بشأن احتلال ايطاليا ميناء بيلول الواقع شمالي عصب، الذي يضع المصريون فيه، وكما ادعى مانشيني، حامية من (٥٠) جندياً. كما اشار مانشيني تعزيزاً لطلبه، أن الحكومتين المصرية والبريطانية، على ما يراه دي مارتينو، لا يسؤهما رفع الراية الايطالية في بيلول. وفي نهاية المذكرة قال مانشيني: "إننا نريد أولاً ان نتأكد من وجود تفاهم تام مع حكومة لندن، ونمتنع لذلك عن اتخاذ قرار محدد حتى نعرف نصيحتها"^(١). ويبدو ان الحكومة الايطالية تريد ان تتأكد فيما اذا كان البريطانيون سيعارضون المشاريع الفرنسية بعد انسحاب المصريين من تاجورة وساحل الغربي لخليج عدن، وموقف ذلك على إبعاد المنافسة الفرنسية-الايطالية، اذ كان الموقف البريطاني من النشاط الفرنسي في تونس، وخروج الايطاليين من هذه المغامرة صفر اليدين في العام ١٨٨١^(٢)، من أهم العوامل التي جعلت الايطاليين يخشون قيام الفرنسيين بسبقهم مرة أخرى على ساحل البحر الاحمر الغربي.

وقد عبّر البريطانيون عن رأيهم عن مذكرة مانشيني، عندما ألقى اللورد جرانفيل بنيجرا في ٥ تشرين الثاني ١٨٨٤، وذكر له أن حكومته لا تعارض أبداً توسع النفوذ الايطالي في هذا الجزء من البحر الاحمر، بل على العكس يسرها

(١) الرافعي، مصر والسودان، ص ١٢٤؛ يحيى، سواحل البحر الاحمر، ص ص ٨٠-٨١

(٢) لمزيد من المعلومات عن النشاط الايطالي في تونس ومحاولتهم للسيطرة عليها

انظر:-

تنفيذ هذا المشروع، ولكن لا الحكومة البريطانية ولا الحكومة المصرية تستطيع ان تأخذ على عاتقها مسؤولية التصرف في شئ لا تملكه، ولذلك فانها تقترح الاتفاق مع الباب العالي بشأن هذه المسألة^(١).

ويتبين لنا مما سبق ان الحكومة البريطانية قد خشيت ان تتصرف وبشكل رسمي في مسألة تتعلق بحقوق الدولة العثمانية في تلك المناطق، حتى لا تتيح الفرصة أمام الدول الأخرى لفتح باب مناقشة المعاهدات الدولية وقراراتها إتجاه الدولة العثمانية، التي كانت بريطانيا نفسها من بين الموقعين عليها. من جانب آخر، مثل عدم الاعتراض البريطاني على التوسع الايطالي في ارتيريا، وتسوية هذه المسألة مع الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية عليها، بأنه لا يتعدى ان يكون افتراضاً لعجز العثمانيين عن إرسال القوات العسكرية الى هناك، وقد توخى البريطانيون من وراء ذلك، عدم اثاره أية مناقشات أو صدامات مباشرة مع الفرنسيين، فيما اذا اتخذت الاجراءات السريعة لاحتلال هذه القوات من قبل دولة صديقة، وهي ايطاليا. وفي ٢٢ كانون الاول ١٨٨٤ تجلى التخطيط البريطاني لتوسيع الدور الايطالي في المنطقة، عندما أبلغ اللورد جرانفيل نيجرا أن الحكومة المصرية عاجزة عن الاستمرار في التمسك بكل ساحل البحر الأحمر الغربي، فاذا شاءت الحكومة الايطالية احتلال بعض الموانئ كيبولوم ومصوع فان هذه مسألة بين ايطاليا والدولة العثمانية^(٢).

وحينما اطمأن الايطاليون من موقف الحكومة البريطانية، اخذوا يسعون إلى خلق المبررات التي تسمح لهم باحتلال مصوع وبيلول، وانتهزت حادثة مقتل جوستافو بيانكي Custavo Bianchi^(٣) ورفيقاه في ٨/٧ تشرين الاول ١٨٨٤ في

(1) Sueilassie, op.cit, p.191;

اباطه، عدن والسياسة البريطانية... ص ص ٥١٦-٥١٧.

(٢) الرافعي، مصر والسودان، ص ٤١٣؛ يحيى، سواحل البحر الاحمر، ص ١٠١.

(٣) وهو رئيس البعثة التي اوفدتها جمعية ميلانو الكشفية للبحث عن طريق تجاري يربط اثيوبيا بموانئ ساحل البحر الاحمر عن طريق الدناكل وخاصة عصب. وفي شباط ١٨٨٤ بدأ بيانكي ورفيقاه موناري Monari وديانا الرحلة وفي اثناء مرورهم بين قبائل الدناكل تعرضوا للهجوم من قبل تلك القبائل وقضي عليهم جميعاً. انظر:- الهاشمي، كاظم عبود، الحالة السياسية في ارتيريا ١٩٤١-

اثناء مرورهم في الدناكل؛ لتنفيذ أغراض ايطاليا، فاتفق كل من السنيور ريكوتي Ricotti وزير الحربية وبرين Brin وزير البحرية على انزال بعض القوات الايطالية لاحتلال عصب وبيلول. وفي ١٣ كانون الثاني ١٨٨٥ أبلغ مانشيني بستالوتزا Pestalozza المقيم الايطالي في عصب، قرار الحكومة الايطالية هذا. وفي ١٧ كانون الثاني ١٨٨٥ أبحرت الحملة بقيادة العقيد سالييتا Saletta من ميناء نابولي، وقبل ان تصل هذه الحملة الى عصب، قررت الحكومة الايطالية احتلال بيلول، فاحتلت فرقة بحرية ايطالية هذا الميناء في ٢٥ كانون الثاني ١٨٨٥^(١).

ولتسوية صيغة الاحتلال الايطالي لميناء بيلول، بعث مانشيني في ٢٥ كانون الثاني عام ١٨٨٥ برقية الى الكونت كورتي Corti سفير ايطاليا في اسطنبول، أي في التاريخ نفسه الذي تم فيه احتلال بيلول، برر فيها أن حالة الاحتجاج على الفوضى، التي كانت سائدة في بيلول ومنذ ثلاثة أعوام من نكبة جيوليتي^(٢)، هي التي اضطرت الحكومة الايطالية لانزال قوة بحرية صغيرة في بيلول لحفظ النظام والأمن من هجمات الدناكل^(٣). كما أمر مانشيني الكونت كورتي ان يبلغ الباب العالي بان ايطاليا سوف تتبع باحتلال بيلول ما اتبعته بريطانيا في احتلال زيلع وبربرة. وفي اليوم التالي أرسل مانشيني الى ممثلي ايطاليا في برلين ولندن

١٩٦١، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية/الجامعة المستنصرية، ١٩٨١، ص ٣٧.

(١) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا...، ص ١٧٠؛
Jones and Monroe, op.cit, p. 137.
(٢) سكرتير القنصل الايطالي في عصب، قاد بعثة ايطالية تتألف من الضابط البحري بيليري، وعشرة بحارة، وعاملين، وخادمين اثيوبيين، للبحث عن طريق تجاري يربط عصب باثيوبيا، وبسبب أعمال العنف التي مارسها اعضاء البعثة ضد ابناء الدناكل، اعد (١٥٠) شخصاً من اهل القرى كميناً في ٢٥ ايار ١٨٨١، اسفر عن مصرع اعضاء البعثة جميعهم. انظر:-

حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ١٢٨ ص ١٣١.
(٣) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا...، ص ١٧٢؛ برج، محمد عبد الرحمن، البحر الاحمر والسياسة الدولية في نهاية القرن التاسع عشر ١٨٨١-١٨٩١، سمنار البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ص ٥٤١.

وباريس وبطرسبرج صورة البرقية التي بعث بها الى الكونت كورتي^(١). ولم يلبث الايطاليون ان قاموا في ٥ شباط ١٨٨٥ بتجريد الحامية المصرية الصغيرة في بيلول من اسلحتها واجبارها على الانسحاب^(٢)، وبذلك قامت ايطاليا وتنفيذاً لمقررات مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥ بإبلاغ الدول الموقعة على البيان الختامي للمؤتمر عند قيام اية دولة اوربية باستعمار أي جزء من افريقيا بإشعار الدول الاخرى الموقعة على البيان بالمنطقة التي استعمرتها.

وفي كانون الثاني ١٨٨٥، بعث مانشيني برقية الى الكونت كورتي، جاء فيها تأكيد المسؤولين الايطاليين على احتلال مصوع كخطوة تالية؛ نظراً لوضع مصوع في ظل احداث البحر الاحمر المضطربة، وورود انباء سرية تشير الى عزم الخديوي توفيق ومنذ عدة اسابيع على اتخاذ الاستعدادات اللازمة لاخلاء مصوع، ولما كانت الحكومة الايطالية تعرف أن احتلال مصوع سوف لن يقابل باية معارضة من بريطانيا، تلقى ساليئا برقية في ٣١ كانون الثاني ١٨٨٥ من ريكوتي يأمره فيها بانزال قواته في مصوع واحتلالها قبل عصب، خشية تعرضها لأي غزو اثيوبي أو احتلال فرنسي محتمل^(٣). وقد تم ذلك، قبل أن يسلم دي مارتينو الى نوبار باشا مذكرة احتجاج عن حالة الاضطرابات التي تنتشر في مناطق الساحل الغربي للبحر الأحمر، ومسؤولية القيادة المصرية عن ضمان ورعاية المصالح الايطالية في المنطقة^(٤)، وان كانت عملية تبادل المذكرات بين الجانبين الايطالي والمصري إجراء لا يعدو ان يكون شكلياً، طالما أن السلطات البريطانية هي صاحبة السلطة الفعلية في مصر والسودان والملحقات المصرية الاخرى.

(١) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ١٧٨.

(2) Claughand, Saladino, op.cit, p. 109.

(3) Suellassie, op.cit, p.162 ; Jones and Monroe, op.cit, pp. 137-138.

(٤) عبده، مصر وافريقية في العصر الحديث، ص ٢٤٠؛

Lion, op.cit, p.54.

عَد الباب العالي نزول الايطاليين في مصوع في ٥ شباط ١٨٨٥، وبدون رجوع مسبق اليها، تجاوزاً على الحقوق القانونية للدولة العثمانية، وانتهاكاً للفرمانين السلطانيين الصادرين في العامين ١٨٦٥ و ١٨٦٦ اللذين تنازل بموجبهما الباب العالي عن إدارة قائممقاميتي سواكن ومصوع الى الخديوي اسماعيل، فذهبت الحكومة العثمانية تحتج لدى حكومة روما على هذا الاحتلال الى حد التهديد باستخدام القوة العسكرية لطرد القوات الايطالية من مصوع. كما طلبت من الدول الاوربية التدخل لانهاء الاحتلال الايطالي لمصوع، عندما أرسلت مذكرة احتجاج رسمية في ٢٦ كانون الاول ١٨٨٥ أوضحت فيها ان احتلال مصوع يعد خرقاً للمعاهدات الدولية التي أكدت سلامة اراضي الدولة العثمانية^(١)، ولكن لم يلبث العثمانيون ان تراجعوا عن صيغة الاحتجاج والتهديد بمجرد تدخل الحكومة البريطانية في المسألة، التي نصحت بسحب هذا التهديد والاكتفاء بأن تصدر الحكومة الايطالية تصريحاً تعلن فيه ان نزول قواتها في مصوع لا يعد تعدياً على حقوق السيادة العثمانية في مصوع، وهي تعلن اعترافها بشرعية الحقوق العثمانية على المنطقة^(٢).

توخى البريطانيون من توسطهم بين العثمانيين والايطاليين، المحافظة على الشكل الرسمي لسلامة الدولة العثمانية وفي أقل تقدير في مرحلة من أشد مراحل النشاط الاستعماري الاوربي على تلك المناطق. وقد تزامن ذلك في وقت لم يكن بوسع البريطانيين الأعراب رسمياً عن الموافقة على الاحتلال الايطالي لمصوع، على الرغم من توأطهم في ذلك العمل، ويمكن ان تعد سياسة البريطانيين في تشجيع الايطاليين على التوسع في ارتيريا بمثابة الخطوة الاولى لتنفيذ مشروع مانشيني، فما كادت إيطاليا تضع يدها على مصوع، حتى ارسل كورتي سفير إيطاليا في لندن برقية الى مانشيني في ٢٥ نيسان ١٨٨٥، أخبره فيها ان اللورد

(1) Sueuassie, op.cit, p.161 ;

النجم، المصدر السابق، ص ٣٦٠ .

(٢) يحيى، البحر الاحمر والاستعمار، ص ١٠٤ .

جرانفيل قد ابلغه ان الحاميات المصرية قد انسحبت من اميديب وسنهيت وغيرهما منذ أواخر شهر آذار ١٨٨٥، فتقدمت القوات الإيطالية حينذاك واحتلت حرقيقو، وزولا، وميدر، وعيد، وجزر حواويل^(١). وقد برر الإيطاليون احتلالهم لهذه المناطق بالدفاع عن المصالح الإيطالية وحماية التجارة بعد انسحاب الحاميات المصرية منها.

وبذلك اتفق الطرفان البريطاني والإيطالي على ان تصبح إيطاليا سندا للبريطانيين في منطقتي القرن الأفريقي والبحر المتوسط، لا سيما بعد توقيع الاتفاقية البريطانية-الإيطالية في ١٠ شباط ١٨٨٧، التي نصت على تعهد كلتا الدولتين بتأييد الأخرى في منطقة البحر المتوسط^(٢). كما كان مجرى الأحداث في إيطاليا، قد اضاف بعداً جديداً للتوجه الاستعماري في منطقة القرن الأفريقي، فقد غرس مانشيني فكرة نشر النفوذ الإيطالي بين الإيطاليين، على الرغم من خروجه من الحكم في حزيران ١٨٨٥، وتسلم فرنشسكو كريسبي شؤون الحكم، وكان هذا في بادئ الامر من أشد المعارضين لهذا التوجه، ولذلك انصرف كريسبي في الاعوام بين (١٨٨٥-١٨٩١) و(١٨٩٣-١٨٩٦) لتأسيس نفوذ إيطالي في الصومال، وحرص على عزل اثيوبيا عن العالم الخارجي، من خلال اغلاق منافذ المحيط الهندي امام الاثيوبيين، بعد ان حالت سيطرتهم على مصوع وعصب والمناطق المجاورة دون الاتصال بالبحر الأحمر، وذلك حتى تصبح اثيوبيا منطقة نفوذ إيطالية.

وكان الإيطاليون بمساعدة بريطانيا وتأييدها، قد تمكنوا من فرض حمايتهم على سلطنتي هوبيا وميجورتين، وكانت هاتان السلطنتان تدخلان ضمن الحدود المصرية طبقاً للاتفاقية البريطانية-المصرية لعام ١٨٧٧، عندما عقد فيشنزو فيلوناردي Vincenzo Filonardi قنصل إيطاليا في زنجبار معاهدتين مع يوسف

(1) حراز، ارتيريا الحديثة...، ص ١٨٣؛ القرعي، احمد يوسف، الخريطة السياسية للقرن الأفريقي،

مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٤، القاهرة، مؤسسة الاهرام، اكتوبر ١٩٧٨، ص ١١.

(2) Hayes, Contemporary Europe Since 1870, New york, The Macmillan Company, 1958, p.555.

علي سلطان هوبيا في ٨ شباط ١٨٨٩ وعثمان محمود سلطان مجيرتينا في ٧ نيسان ١٨٨٩، تعهدا بموجبهما برفع الراية الايطالية في بلادهما، وبعد عقد اية معاهدة مع أية دولة أخرى بدون موافقة الحكومة الايطالية^(١). كما تمكن الايطاليون، وبعد مفاوضات انتهت بالنجاح مع الحكومة البريطانية، من التنازل عن موانئ ساحل الصومال الجنوبي^(٢)، حينما عقد وليم ماكينون مدير شركة افريقيا الشرقية البريطانية، والسنير كاتالاني القائم باعمال السفارة الايطالية في لندن، اتفاقاً في ٣ اب ١٨٨٩، حول تنازل خليفه بن سعيد سلطان زنجبار (١٨٨٨-١٨٩٠) لشركة افريقيا الشرقية البريطانية عن بعض الاراضي الواقعة على ساحل الصومال الجنوبي ومن ضمنها كسمايو، وبراو، وميركا، ومقديشو، وارشينخ، وتسليم الشركة البريطانية بدورها إدارة هذه الموانئ للحكومة الايطالية^(٣). وعلى الرغم من خضوع هذه المناطق للحماية الايطالية، كانت الايدي الايطالية في الواقع بعيدة عن هذه المناطق، ولم تتسلم ادارة المنطقة الا في العام ١٨٩٣، نتيجة لانشغالهم في عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر بنشر نفوذهم في اثيوبيا، ولمعارضة هذه المشاريع في البرلمان الايطالي، الذي وجدها ترهق الميزانية بنفقات كبيرة من دون أن تتأكد الحكومة من صلاحية المنطقة لاستغلال اقتصادي واسع النطاق^(٤). ولهذا عرضت الحكومة الايطالية ان تتولى شركة ايطالية حكم وادارة موانئ الساحل الاربعة نيابة عن الحكومة لوقت محدد. وكلفت شركة فيلوناردى بتلك المهمة في العام ١٨٩٣ الى العام ١٨٢٥^(٥).

وهكذا تمكن البريطانيون بهذه الاستراتيجية ان يضعوا الايطاليين امام المهديين في الشمال، وامام حركة الفرنسيين من الساحل الشرقي نحو السودان،

(1) Chapin, op.cit, p.4;

محمود، المصدر السابق، ص ١١٠ ص ١١١.

(٢) انظر الخريطة التي توضح المنطقة الخاضعة لايطاليا في الصومال في ملحق رقم (٥)

(3) Marlow, John, Cromer in Egypt, London, Elek Books, 1970, p.138 ; Lion , op.cit, p. 53 ; Chatterji, op.cit, p. 15.

(٤) العقاد وقاسم، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(5) Chapin, op.cit, p.4 ;

محمود، المصدر السابق، ص ١١٢.

والاحاطة بالفرنسيين فيما اذا توسعت دائرة نفوذهم من الجنوب عن طريق ساحل الصومال الجنوبي المطل على المحيط الهندي. وانسجماً مع هذه السياسة الرامية الى غلق حوض وادي النيل أمام أية قوة اجنبية^(١). قام البريطانيون بتوجيه الاطماع الايطالية نحو اثيوبيا، لتكون دائرة نفوذ ايطالية، خاصة بعد ان اصبحت اثيوبيا وفي عهد الملك منليك الثاني (١٨٨٩-١٩١٣)، الذي تولى حكمها بعد وفاة الملك يوحنا الرابع^(٢)، تتوخى-بعد توحيد اقاليمها والسيطرة على هرر في العام ١٨٨٧، وعلى بعض منابع نهر النيل وبحيرة تانا^(٣) - ان تصبح قوة اقليمية. ولذلك خشى البريطانيون ان تقع اثيوبيا تحت سيطرة احدى الدول الاوربية المنافسة لهم، إذ توسع الالمان سريعاً وامتد نفوذهم من ساحل شرقي افريقيا الى منطقة حول بحيرة فكتوريا، منبع نهر النيل الابيض^(٤)، وأسس ليوبولد الثاني Leopold II ملك بلجيكا (١٨٣٥-١٩٠٩ / ١٨٦٥-١٩٠٩) دولة الكونغو الحرة Congo Free State في ١٨٨٤/١٨٨٥، وقام بالتخطيط للوصول الى منابع نهر النيل^(٥). ولذلك قام سالزبري بتشجيع الايطاليين على عقد معاهدة اوتشالي Ucciali مع منليك الثاني وتوقيعها في ٢ آيار ١٨٨٩ الذي منح نصها الايطالي، من دون الامهري،

(١) انظر الخريطة التي توضح هذه القوى المتنافسة على اعالي النيل في ملحق رقم (٦)

(٢) لقي الملك يوحنا الرابع مصرعه في احدى الحملات العسكرية التي شنّها ضد المهديين في منطقة متمه، عندما اصيب بجروح بليغة توفى على أثرها في ٢٨ ايار ١٨٨٩. لمزيد من التفاصيل عن طبيعة الحملات العسكرية بين المهديين والاثيوبيين انظر:-

القدال، محمد سعيد، المهديّة والحبشه، دراسة في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهديّة ١٨٨١-١٨٩٨، الخرطوم، جامعة الخرطوم، ١٩٧٣.

(3) Darkwah, op.cit, pp. 103-108 ;

خميس، خلود محمد، سياسة اثيوبيا الاقليمية المعاصرة إتجاه دول الجوار الجغرافي العربي، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ص ١٣٢-١٣٣ .

(4) Hallett, op.cit, p. 96.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن اهداف ليوبولد الثاني تجاه منطقة أعالي النيل انظر:-

Slade, Ruth, King Leopold's Congo, Oxford, 1962.

(٦) اهم ما جاء في هذه المعاهدة المادة رقم (١٧) المتعلقة بعلاقات اثيوبيا الخارجية. فقد كتبت

المعاهدة بنصين احدهما ايطالي والاخر امهري، وجاء نص المادة (١٧) مختلفاً اختلافاً جوهرياً في

النص الايطالي عنه في الامهري، فكان معنى النص بالامهري، ان لجلالة امبراطور اثيوبيا الحرية

وبدون علم منليك الثاني الحق في بسط حمايتها على اثيوبيا وجعلها منطقة نفوذ ايطالية^(٦).

وفي الاول من تموز ١٨٩٠ تم التوقيع على معاهدة هليغولاند Heligoland مع المانيا، لتحديد مناطق النفوذ في شرقي افريقيا، التي بموجبها ضمنت بريطانيا السيطرة على كينيا واوغنده (بما في ذلك بحيرة فكتوريا) وفرض حمايتها على زنجبار، مقابل التنازل عن جزيرة هليغولاند في بحر الشمال الى المانيا. هذا ووافقت الدولتان ايضاً على تحديد حدود مستعمراتهما الجديدة^(١). وفي الاطار نفسه، وقعت الحكومة البريطانية على اتفاقيتين مع الحكومة الايطالية، بعد ان اعلنت تأسيس مستعمرة ارتيريا في الاول من كانون الثاني ١٨٩٠^(٢)، وذلك في ٢٤ آذار و ١٥ نيسان ١٨٩١، حددت بموجبهما حدود مناطق نفوذهما في شرقي افريقيا، وكان النفوذ الايطالي يشمل المنطقة التي تقع شرقي خط يمتد من منبع نهر جوبا شمالاً الى خط عرض (٦) وخط الطول (٣٥) شرقي جرينتش. ومن النقطة التي يقسم فيها هذا مجرى النيل الازرق كان الحد يجري في اتجاه الشمال الشرقي في خط متعرج حتى ساحل البحر الاحمر عند رأس كاسار، واستبعدت بطبيعة الحال المحميات البريطانية والفرنسية في الصومال عن النفوذ الايطالي^(٣). وبذلك كانت كسلا والمناطق القريبة منها حتى نهر عطبرة متروكة لاطاليا لتحتلها اذا تطلبت ذلك، في حين اخرجت كساميو من دائرة النفوذ الايطالي على ساحل الصومال المطل على المحيط الهندي^(٤). وبهاتين الاتفاقيتين يمكن القول إن

في ان يستعين بالحكومة الايطالية في مفاوضاته مع الحكومات الاخرى، اما في النص الايطالي فبدلاً من التعبير عليه ان يستعين بالحكومة في مفاوضاته، ورد تعبير معناه يجب ان يستعين بالحكومة في مفاوضاته، ووفق معنى الاخير تصبح اثيوبيا محمية ايطالية، وقد ظل منليك الثاني جاهلاً لهذا الموضوع لمدة طويلة. انظر :-

Rubenson, The Survival, p. 349.

(1) AL-Soudani, Sadik.H, The Nationalist Movement in Kenya and The Mau Mau Movement, Ph. D. Thesis in Modern History Submitted to The Faculty of Arts, University of Exeter in May 1988, PP. 28-29.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن تأسيس مستعمرة ارتيريا انظر :-

Ullendorpf, op.cit, PP92-98.

(3) Langer, op.cit, PP. 110-112.

(4) Touval, op.cit. 155; Hamilton, op.cit, P.46.

البريطانيين نجحوا في إبعاد التهديد الألماني والفرنسي عن حوض وادي النيل، فضلاً عن أن انهما كانتا بمثابة تسوية عامة للتوسع الإيطالي في شرقي إفريقيا، فقد اعترفت فيهما الحكومة البريطانية بامتداد منطقة النفوذ الإيطالي على شكل مثلث يبدأ في حوض النيل ويضم اثيوبيا، وينتهي بالمنطقة الساحلية التي تمتد بين كسمايو ورأس جردافوي، في حين اعترفت إيطاليا بالنفوذ البريطاني في جميع المناطق المحيطة بهذا المثلث من الشمال والغرب والجنوب، أي السودان، وأوغنده، وكينيا^(١).

وفي مطلع التسعينيات من القرن التاسع عشر، يمكن القول إن إيطاليا كانت هي القوة الرئيسة في منطقة القرن الافريقي. وكانت إيطاليا التي عقدت معاهدة اوتشالي مع منليك الثاني في ١٨٨٩، قد قامت باحتلال عدوة في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٠^(٢)، مما أثار غضب الاثيوبيين، واغتباط كل من الحكومتين الفرنسية والروسية لاستغلال التوتر السائد في العلاقات الإيطالية-الاثيوبية. فقد كانت فرنسا وروسيا، اللتان تشتركان في تحالف عسكري منذ ٢٧ كانون الاول ١٨٩٣، تعاديان إيطاليا لتمسكها بعضوية التحالف الثلاثي الموجه ضدهما، منذ أن عقد في العام ١٨٨٢^(٣)، كما أن الإيطاليين بتأسيسهم مستعمرة ارتيريا حالوا دون تقدم الفرنسيين من ابوك تجاه السودان واعيالي النيل. أما روسيا فكان لآستتثار الإيطاليين باثيوبيا وارتيريا اثر في منع تحقيق طموحها في شرقي إفريقيا، خاصة وانهم يعدون أنفسهم الحماية للشعوب المسيحية الشرقية الارثوذكسية، وتوطيد اقدامهم في مصوع للاستحواذ على منطقة في الطريق البحري الى الهند^(٤)،

(١) العقاد وقاسم، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الصراع الإيطالي-الاثيوبي انظر:-

Asante,S,The Italo-Ethiopian Conflict: A case Study in British West African Response to Crisis Diplomacy in the 1930, The Journal of African history, Vol.XV, Number.2, , London ,Cambridge University Press, 1974, PP. 291-295.

(٣) دول الحلف الثلاثي هي: ألمانيا، النمسا، إيطاليا. لمزيد من التفاصيل انظر:-

Hayes, Contemporary Europe, pp. 553-554.

(4) Sueillassie, op.cit, P. 146 ; Brogan, D, The Development of Modern France 1870-1949, London, Hamish Hamilton, 1940, p.319.

كان من الطبيعي، في ظل تلك الظروف ان تستأنف السياسة الفرنسية تجاه اثيوبيا وان تصبح في النصف الثاني من العام ١٨٩٣، اكثر انفتاحاً ورسمية، فقد كانت اثيوبيا، تمثل عند الفرنسيين العمق الاستراتيجي لمستعمرة الصومال الفرنسية، ومستقبل اعتماد اقتصاد الصومال الفرنسي على دول المنطقة. ولذلك اقنع الفرنسيون منليك الثاني بانشاء خط حديدي بين أديس ابابا واوبوك، باعتباره مشروعاً يخدم المصالح الاثيوبية في المنطقة، وممرّاً للتجارة الاثيوبية من البحر الى اثيوبيا وبالعكس^(١)، ولذلك كان الدعم المعنوي والمادي الفرنسي والروسي^(٢) في اثيوبيا من أهم العوامل التي حفزت منليك الثاني ان يقوم بالغاء معاهدة اوتشالي في ٢٧ شباط ١٨٩٣^(٣). وتعرض الايطاليون للمتاعب في اثيوبيا على الرغم من مساندة البريطانيين لهم في ذلك الوقت، عندما قامت الحكومة البريطانية بعقد اتفاقية ثالثة مع الايطاليين في ٥ أيار ١٨٩٤ بخصوص الاعتراف بحدود محمية الصومال البريطانية مع المناطق الداخلية لمحمية الصومال التابعة لاييطاليا، وعلى أساس الاعتراف بالحماية الايطالية على اثيوبيا^(٤) ومسؤوليتها في ادارة شؤون البلاد الخارجية بموجب معاهدة اوتشالي لعام ١٨٨٩. بيد ان انشغال الايطاليين في شرقي السودان حتى كسلا، والتسليح الفرنسي والروسي للقوات الاثيوبية^(٥)، قاد الى هزيمة الايطاليين في معركة عدوة في الاول من اذار

(1) Sanderson, G, England, Europe and The Upper Nile, 1882-1889, Great Britain, 1965, P. 58 ; Jones and Monroe, op.cit, P. 146 ;

الطاهري، المصدر السابق، ص ص ٥٤-٦١ .

(٢) خصصت الحكومة الروسية سبعة الاف دولار سنوياً لاثيوبيا، لاجل انفاقها على الجوانب الصحية، وارسلت بعثة للصليب الاحمر الى اديس ابابا، في ١٨٩٠، كما تقدمت في السنة التالية لتأسيس اول مستشفى فيها، وتألفت من خمسة اطباء وعشرين سريراً، الى جانب قسم خارجي للعلاج والادوية. انظر:-

Pankhurst, op.cit, p. 49.

(3) Rubenson, The Survival, p. 495.

(4) Touval, op.cit, P. 155 ; Contemporary history Ethiopian, The Middle Ages, 2001; عبده، المنافسة الدولية في اعالي النيل، ص ١٨١ .

(٥) لمزيد من المعلومات عن استخدام قوات منليك الثاني للأسلحة الاجنبية. انظر :-

Pankhurst, Richard, Menilek and The Utilisation of Foreign Skills in Ethiopia, Journal of Ethiopian Studies, Vol.V, No.1, Halle Sellassie I University institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa, January 1967, PP. 49-50.

(6) Rubenson, The Survival, p. 314; Lion, op.cit, p. 55.

١٨٩٦، وفشل المحاولة الايطالية في تأسيس محمية على اثيوبيا، وسقوط وزارة كريسبي التي تبنت سياسة التوسع الاستعماري في القرن الافريقي في اليوم العاشر من آذار ١٨٩٦^(٦).

اما على المستوى الاقليمي فقد احدثت هزيمة الايطاليين في عدوة تغييراً في ميزان قوى منطقة القرن الافريقي، فقد كانت ايطاليا منذ عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر بمثابة "كلب حراسة" للمصالح البريطانية في منطقة القرن الافريقي عامة، واثيوبيا خاصة، ولهذا اثرت هذه المعركة الى حين من الوقت على النشاط الايطالي في اثيوبيا، بالشكل الذي دفع القيادة الاثيوبية بزعامة منليك الثاني لان تجعل لاثيوبيا مكاناً على الخارطة الافريقية في خط التنافس الاوربي على تلك القارة، وان تؤدي دور اساسياً بارزاً في عملية تقسيم الصومال. وفي ممارسة بسط النفوذ على المناطق الاخرى، لكونها دولة مستقلة وذات وزن اقليمي وتمارس دور الشريك مع الدول الاوربية في عملية تقسيم الصومال، وقد تمكن منليك الثاني الاستفادة من تلك المرحلة، واستغلال تضارب الاهداف والمصالح الاوربية تجاه منطقة القرن الافريقي، وتحقيق حلم الاثيوبيين التاريخي بتوسيع مناطق سيطرتهم وعلى حساب الصوماليين، وبالنتيجة ان منليك الثاني رفض الاعتراف بالاتفاقية البريطانية-الايطالية لعام ١٨٩٤، لا سيما فيما يتعلق منها باعلان الحماية الايطالية على اثيوبيا^(١). وفي مطلع أيلول عام ١٨٩٦، قام الاثيوبيون برفع العلم الاثيوبي على منطقة الالولا Alalo في الصومال الغربي والتي كانت تقع ضمن حدود محمية الصومال البريطانية بموجب اتفاقية عام ١٨٩٤^(٢). كما قام منليك الثاني بتوقيع اتفاقية مع الحكومة الفرنسية وعد بموجبها بتقديم كل المساعدات العسكرية والدبلوماسية لخدمة المصالح الفرنسية في المنطقة، بما في ذلك دعم المهاديين في السودان وتعزيز قوتهم العسكرية ضد بريطانيا^(٣). ومن الجدير بالذكر ان

(1) Lewis, Nationalism and Self Determination, p. 157.

(2) Marcus, Harold, A background to Direct British Diplomatic involvement in Ethiopia, 1896, Journal of Ethiopian Studies, Vol. I, No. 2, Haile Sellassie I University institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa, July, 1963, P. 128.

(3) Marcus, Harold, The Rodd Mission Of 1897, Journal of Ethiopian Studies, Vol. III, No. 2, Haile Sellassie I University institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa, July, 1965, P. 25.

الفرنسيين بعد هزيمة الايطاليين في عدوة، باتوا يشكلون تهديداً خطيراً لبريطانيا بعد زيادة النشاط الفرنسي في اثيوبيا، وبالشكل الذي قد يقود الى سقوط اثيوبيا بأيدي الفرنسيين. ولذلك كان من الضروري بالنسبة للبريطانيين القيام بدور رئيس لاحباط الخطط الفرنسية في منطقة أعالي النيل، خاصة بعد ان علم البريطانيون في كانون الاول عام ١٨٩٦، بان مبعوثين اثيوبيين وصلوا حديثاً الى ام درمان، وان طريق تجارة الاسلحة بين اثيوبيا والسودان عبر القلابات وقضاريه قد بدأ العمل به^(١).

قررت الحكومة البريطانية القيام بعمل سريع وحاسم لوقف تداعيات الموقف البريطاني في المنطقة، لا سيما بعد ان علمت ان القوات السودانية بقيادة عثمان دقنه احاطت بكسلا بوابة ارتيريا الى السودان في العاشر من آذار ١٨٩٦، وقطعت حركة المواصلات بين أسمره وكسلا، وان كسلا يمكن ان يسلمها الايطاليون في وجه اية ضغط سوداني؛ ولذلك قررت حكومة لندن القيام بحملة عسكرية سريعة لاسترداد السودان^(٢)، لانها تعد الخطوة الاولى في خطة توسعية هدفها وضع حد للطموحات الفرنسية في حوض وادي النيل، والوقوف بوجه تجارة الاسلحة بين السودان واثيوبيا، من خلال السيطرة على مناطق سودانية تجاور اثيوبيا. كما قررت الحكومة البريطانية ارسال بعثة بريطانية الى منليك الثاني بقيادة رينل رود Renel Rodd، سكرتير اللورد كرومر في القاهرة، لتحسين العلاقات بين البلدين، بعد انهيار التحالف البريطاني-الايطالي الموجه ضد اثيوبيا. وفي نيسان ١٨٩٧ وصل رينل رود الى أديس ابابا، وهو يهدف الى تسوية مسألة تخطيط حدود محمية الصومال البريطانية مع اثيوبيا، كمسألة مهمة في عملية استقرار المنطقة، في معاهدة رسمية تشير بنودها الى توثيق الصلات الرسمية بين الطرفين، ودعم روابط صداقة اثيوبيا في الحرب ضد المهيدين^(٣)

(1) Marcus, A background to Direct British, P. 26.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن العمليات العسكرية للحملة البريطانية على السودان انظر:-

Wiever, Joel, Great Britain, Foreign Policy Span of Empire (1689-1971)

A documentary history, Vol.3, U.S.A, 1972, PP. 258-289.

(3) Marcus, The Rodd Mission, P. 26; Jones and Monroe, op.cit, P. 146.

وقد تنازلت الحكومة البريطانية في هذه المعاهدة، للوصول الى تسوية بين الجانبين وتهدئة الموقف في المنطقة، عن (٢٥) ألف ميل مربع من الإقليم الصومالي الخاضع للحماية البريطانية بموجب اتفاقية عام ١٨٩٤، وهو ما أدى الى الحاق قبائل صومالية باثيوبيا، ونشوب نزاع بين قبائل المحمية البريطانية والقبائل الاثيوبية على مناطق الرعي، فضلاً عن النزاع بين السلطة البريطانية والمسؤولين الاثيوبيين، واصبح بمرور الوقت مشكلة معقدة^(١). كما منحت المعاهدة اثيوبيا الأجزاء الجنوبية الحالية منها، التي تشمل بالي وسيدامو^(٢). وكذلك اضاف منليك الثاني بين العامين ١٨٩٧ و١٩٠٨ الاف الاميال المربعة من الاراضي لامبراطوريته باتفاقيات او غزو عسكري^(٣).

وفي هذا المجال نلاحظ روح التناقض الواضح بين الاتفاقيات التي وقعتها الدول الاستعمارية الاوربية وهي: بريطانيا، وفرنسا، وايطاليا، التي كان هدفها المعلن اعلان الحماية والسيطرة على المنطقة وبين تلك الاتفاقيات التي وقعتها الدول الاوربية نفسها مع اثيوبيا، التي تسلمت بمقتضاها اراضي لا تملكها والهدف المشترك هو تمزيق اوصال الصومال فيما بينهم. وهو ما أثار روح المقاومة الصومالية، لمواجهة مشاريع تقسيم والاحتلال، عندما تزعم محمد بن عبدالله حسن المعروف "بالملة" الذي دعاه خصومه "الملة المجنون" The Mad Mullah^(٤)، حركة دينية قومية عسكرية في أوائل القرن العشرين تهدف الى طرد المستعمرين البريطانيين من بلاد الصومال، حينما اتخذ من بوهاتلي في اوغادين الواقعة في

(1) Touval, op.cit, P. 156.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن طبيعة علاقة هذه المنطقة باثيوبيا انظر:-

Pankhurst, Richard, Tribute, Taxation and Government Revenues in Nineteenth and early Twentieth Century, Journal of Ethiopian Studies, Vol . V, No. 2, Haile Sellassie I University institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa, July 1967, PP. 37-47;

Marcuse, Harold, The End of The Reign of Menilek II, The Journal of African history, Vol.XI, No.4, Cambridge University Press, London, 1970, P. 571.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن معاهدات الحدود الاثيوبية-الايطالية، الاثيوبية-الفرنسية، الاثيوبية-

السودانية انظر:-

Mcewan, P, Twentieth Century: Africa, London, Faber and Faber 1968, pp. 196-202; The Autobiography of Emperor Haile Sellassie I, My Life and Ethiopia's Progress, 1892-1937, Oxford, 1977, pp. 124-129.

(4) Jardine, Douglas, The Mad Mullah of Somaliland 1916-1921, New York, 1969.

الركن الجنوبي الشرقي لمحمية الصومال البريطانية، ميداناً لنشاطه، لكونها مركزاً لاتباع الطريقة الصالحية التي ينتمي اليها، ومسقطاً لراس المله، ولبعدها عن المناطق الساحلية التي يسيطر عليها البريطانيون فضلاً عن موقع المدينة الذي يتوسط الصومال، أي بين القوى المحتلة البريطانية من الشرق والايطالية في الجنوب والاثيوبية من الغرب.

وفي آذار ١٩٠٠ خاض المله واتباعه أول معاركه ضد الاثيوبيين في ججكه Jig Jigga. اختلفت الروايات في تقدير ضحايا هذا الهجوم، اذ وصف دوكلاس جاردن Douglas Jardin كاتب سيرة المله هذه المعركة بأنها "لم تستمر أكثر من خمس دقائق قبل هروبهم وخلفهم جنودنا الذين دمروهم"^(١)، في حين تشير التقارير الاخرى الواردة في كتاب انكوس هاملتون Angus Hamilton، ان قوات المله اقتحمت المعسكر الاثيوبي، وكبدتهم (٦٥٠) قتيلاً في اشتباك بين الطرفين^(٢)، ولكن مهما تباينت المصادر عن حادث الهجوم الصومالي على القوات الاثيوبية، فانه يوضح من جانب آخر بداية مرحلة من الصراع بين حركة محمد عبدالله حسن والقوى المحتلة.

قررت السلطات البريطانية في محمية الصومال البريطاني اتخاذ موقف سريع للقضاء على هذه الحركة وهي في المهد قبل ان ينتشر أمرها بين القبائل الصومالية الاخرى، لان استمرار الوضع على هذا الحال يعني ان القبائل الموالية للبريطانيين ستضطر في النهاية الى الاتفاق معهم. كما عد منليك الثاني الهجوم الصومالي على ججكه تحدياً لسلطة الاثيوبيين، وتحريضاً للقبائل الصومالية

(1) Jardine, op.cit, P. 46.

(2)Hamilton, op.cit, p. 53 ;

ابراهيم، عبدالله عبد الرزاق، المسلمون والاستعمار الاوربي لافريقيا، الكويت، دار المعرفة، ١٩٦٨، ص ٢٣؛ سيد، محمد المعتصم، مهدي الصومال بطل الثورة ضد الاستعمار، بلا مكان، د. ت، ص ٤٠-٤١.

المسلمة ضد الحكم الاثيوبي المسيحي لاوغادين، ولهذا جاء العمل المشترك بين منليك الثاني والقوات البريطانية بمثابة إعلان حرب صليبية، الامر الذي جعل الملة يدرك ان الوقت قد حان لإعلان الجهاد المقدس حتى بات الصدام بين الطرفين أمراً محتماً.

وكان الملة قد تمكن من الافلات من أربع حملات بريطانية متتالية بين ١٩٠٠ و ١٩٠٤ نظمتها السلطات البريطانية في محمية الصومال للقضاء عليه، فقد فشلت الحملة الاولى في تشرين الاول ١٩٠٠ التي كانت تتألف من (١٥٠٠) متطوع صومالي و (١٥) ألف اثيوبي بقيادة الكولونيل سوان Swan، بسبب انسحاب الملة الى الصومال الايطالي، ورفض الحكومة البريطانية السماح لسوان بتعقب الملة^(١). ثم انتهت الحملة الثانية في كانون الاول ١٩٠٢ أيضاً بانسحاب الملة الى جالادي Galadi في الصومال الايطالي^(٢). ومن ثم شرع البريطانيون في تنظيم حملة ثالثة في ٥ آذار ١٩٠٣ تتألف من قوات نظامية جاؤوا بها من الهند وجنوب افريقيا والسودان وبريطانيا، للقضاء على حركة الملة على ان تقوم قوة بريطانية في بربرة وأخرى في هوبيا بالزحف من الشمال والجنوب الشرقي تجاه المناطق الداخلية من الصومال البريطاني، وان يقوم جيش اثيوبي مكون من (٥) الاف جندي باحتلال منطقة وبيي شبلي لمنع الملة من الانسحاب، ولكن هذه الخطة فشلت، ونجحت قوات الملة كعادتها في الافلات من القوات البريطانية^(٣). اما في الحملة الرابعة في كانون الثاني عام ١٩٠٤ فقد تمكنت القوات البريطانية من تكبيد قوات الملة خسائر فادحة^(٤).

وكلفت الحملات العسكرية البريطانية الاربعة الميزانية البريطانية خمسة ملايين جنيه^(٥)، وعدداً كبيراً من الضحايا، وعدم رضا الصوماليين الذين بدأوا

(1) Hamilton, op.cit, p. 48.

(2) Jardine, op.cit, p. 85.

(3) Ibid, p. 95 ; Hamilton, op.cit, p. 61.

(4) Jardine, op.cit, p. 146.

(٥) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا...، ص ٥٣٩.

(6) Jardine, op.cit, pp. 149-152.

حتى شيوخهم الموالين لبريطانيا بالميل الى معسكر الملة^(٦)، فقررت الحكومة البريطانية توجيه سياستها نحو خط جديد من التعامل مع محمد بن عبد الله حسن، يقوم على أساس عقد الصلح والسلام بين الطرفين، والسعي إلى حل النزاع بالطرق السلمية. ويمكن ان نحدد الاسباب التي دفعت البريطانيين لهذه المساعي وعلى النحو الاتي:-

١. تمثل المبادرة البريطانية-الايطالية نتاجاً لوضع صومالي متدهور، خلفه التحالف العسكري البريطاني-الايطالي-الاثيوبي في أربع حملات عسكرية متوالية ضدّ المجاهدين الصوماليين بزعامة محمد بن عبدالله حسن. كما توضح عزز البريطانيين عن قمع المقاومة الصومالية بعد ازدياد نفوذ قائدها، الذي ارتفعت مكانته بوصفه زعيماً دينياً وقومياً يدافع عن الاسلام والصومال امام تكالب القوى المحتلة البريطانية والايطالية والاثيوبية المسيحية.

٢. لاحظ البريطانيون خلال حملاتهم العسكرية ان منطقة نفوذ الملة هي في المناطق الداخلية التي تتوسط المحمية البريطانية في الشرق والايطالية في الجنوب واثيوبيا في الغرب، وبالتالي فان عملية الاعتراف بالمله زعيماً صومالياً على منطقة معينة، هي مسألة عملية، للاستفادة من تلك المرحلة من الهدنة، للحد من امتداد نفوذه واستقطاب القبائل الصومالية الاخرى الى معسكره، وتضييق الخناق عليه من جميع الجهات ومحاصرته وللحيلولة دون وصوله الى الساحل.

٣. وجد البريطانيون ان الاراضي الصومالية التابعة للسيطرة الايطالية شكلت ميداناً لبعض العمليات العسكرية، لذلك توخوا الاستفادة من ذلك بجعل تلك الاراضي مقراً للملة واتباعه، حتى تصبح ايطاليا وجهاً لوجه امام قوات الملة. وقد وافق الايطاليون على هذه المبادرة البريطانية انسجاماً مع أهدافهم في تلك المرحلة التي تمثلت في الاستفادة من جهود الملة ونفوذه لاختضاع سلطنتي هوبيا وميجرتينا اللتين تقعان في مناطق نفوذهما، لكنهما تتمتعان باستقلال داخلي، وتوسيع مجال عملياتها في الصومال والسيطرة على أكبر جزء منه، على الرغم من ادراك الايطاليين أنفسهم ان البريطانيين قد عجزوا عن قمع ثورة الملة، ومما

يؤكد ذلك، تصريح توماسو تيتوني Tomaso Tittioni وزير الخارجية الايطالي (١٩٠٣/١١/٣-١٩٠٥/٣/٤) في البرلمان الايطالي في ١٤ آيار ١٩٠٤، حينما قال ((نحن لا يمكننا بأية طريقة ممكنة، ان نغامر بأنفسنا في أية حملة ضد الملة، او نحتل منطقة الصومال الساحلية؛ لان هذا لن يكلفنا أقل مما كلف انجلترا التي كانت قد انفقت خمسة ملايين جنيه، بخلاف المبالغ التي تحملتها الميزانية الهندية))^(١).

كلف تيتوني جوليو بستالوزا Guilio Pestaloza قنصل ايطاليا في زنجبار في ١٩ تموز عام ١٩٠٤، باجراء المفاوضات مع الملة، والاتفاق مع البريطانيين على أساس التفاوض بدلاً عن بريطانيا^(٢). وفي ١٦ تشرين الاول ١٩٠٤ بدأت المفاوضات الرسمية بين بستالوزا وممثل الملة، لأجل الوصول الى اتفاق بين مطالب بريطانيا ومحمد بن عبدالله حسن^(٣)، وفي ٥ آذار ١٩٠٥ عقدت الاتفاقية الايطالية مع الملة، التي جعلت الطرف الاخير بشكل أو بآخر تحت الحماية الايطالية، عندما تحددت الاتفاقية بأربع نقاط، هي: عقد اتفاقية صلح بين محمد بن عبدالله حسن وحكومات كل من ايطاليا وبريطانيا واثيوبيا، واقامة الملة واتباعه الدائمة في منطقة نفوذ ايطالية بين رأس جراد ورأس جابي، وذلك بعد موافقة سلطاني هوبيا وميجورتينا^(٤). وان يتولى الملة حكم اتباعه، ويتمتع بحرية التجارة، باستثناء تجارة السلاح والرقيق. كما ويقوم بابلاغ الايطاليين بكل الامور التي تعرض أمنهم للخطر^(٥).

(١) حراز، التوسع الايطالي في شرق افريقيا...، ص ٥٤٠.

(٢) تمام، همام، تطور حركة الجهاد الوطني في الصومال ١٩٠٠-١٩٦٠، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٦١.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن نص المفاوضات :-

مرزوق، عبد الصبور، ثائر من الصومال الملا محمد بن عبدالله حسن، القاهرة، الدار القومية

للطباعة والنشر، ١٩٦٤، ص ص ٦٩-٧٧.

(4) Martine, B, Muslim Brotherhoods in Nineteenth Century African, U.S.A, 1976, P. 187.

(5) Ibid, p. 188.

واذا استعرضنا ما تم الاتفاق عليه نهائياً، لوجدنا ان المنطقة التي تنازلت عنها ايطاليا للملّة تضم ميناء ايلج على الساحل الصومالي المطل على المحيط الهندي، ووادي نقل، ووادي هود، وهو اتفاق حقق ما يتمناه الملّة لتحقيق السلام واستعادة بناء قواته التي كانت قد أصابها الاجهاد والضرر بعد الحملات البريطانية الاربع. من جانب آخر توضح الاتفاقية ان الملّة قد وافق على ترك محمية الصومال البريطانية، على الرغم من حصوله على منطقة لرعي الماشية داخل المحمية البريطانية بين ابار حاليين وهودين وتوجال وتوناد^(١). كما كان الاتفاق ينص على ان الملّة يشكل أحد الاطراف الرئيسة في خارطة ميزان قوى الصومال، واحد اطراف المعادلة للحفاظ على أمن منطقة القرن الافريقي وأستقرارها. لكن لم تأت الاتفاقية ونصوصها بالصيغة الدقيقة أو المحددة، بل كانت تحمل التأويل وتتيح المجال للتفسير، فمثلاً ان مواد المعاهدة لم تحدد بشكل دقيق أراضي الملّة واثيوبيا في الاوغادين، الامر الذي أثار خلافاً ومشكلات كبيرة. كما لم تحدد الاراضي المقترح ضمها الى الملّة من اراضي هوبيا وميجرتينا، وأهمل تحديد الحدود الفاصلة مع ايطاليا من جهة ووادي شبلي ونهر جوبا^(٢)، ولم تلزم الاتفاقية الطرف الذي يتخلى عن بنودها بقيود.

وعلى اية حال حاولت الاطراف المتعاقدة الحفاظ على اتفاقية الصلح وشروطها، وقد ساعدت الظروف الاقليمية حينذاك على إتاحة الفرصة لاستمرار الاتفاق، فقد شهدت خارطة منطقة القرن الافريقي المعقدة، تسوية بين الاطراف المتنافسة على اثيوبيا، حينما اقتنعت كل من فرنسا وبريطانيا بان الضرورة تحتم عليها الحفاظ على مصالحهما في اثيوبيا تجاه مشروع سكة حديد أديس ابابا- جيبوتي، فتم توقيع اتفاقية في ٤ حزيران ١٩٠٦ بين الدول الثلاث، فرنسا وبريطانيا وايطاليا تعهدت بموجبها باحترام استقلال اثيوبيا والحفاظ على الوضع السياسي القائم فيها حينذاك، وحصر منطقة نفوذ بريطانيا في منطقة بحيرة تانا وحوض النيل الازرق، اما فرنسا فقد تم حصر منطقة نفوذها في الاراضي التي تبدأ من جيبوتي الى اديس ابابا، على ان يمثل عضو كلاً من بريطانيا وايطاليا

واثيوبيا في مجلس إدارة الخط^(٣). ومما لا ريب فيه ان الوفاق الودي البريطاني-الفرنسي، الموقع في ١٩٠٤/٤/٨^(١) وأثره في الاعتراف بالحقوق البريطانية والفرنسية على مستعمراتهم، كان من ابرز العوامل التي احدثت تلك الخطوة. وكان البريطانيون قد عمدوا بعد ازدياد نفوذ الملة واستخدامه ستراتيجية دينية وقومية للانقضاض على الوجود البريطاني في الصومال، الى دراسة الموقف في الصومال مجدداً، ولم يكن أمام الحكومة البريطانية إلا أحد الامرين: اما اعادة تنظيم الحملات العسكرية البريطانية ضد الملة واتباعه، او الانسحاب الكامل من الداخل وترك المنطقة له. ولم تنس الحكومة البريطانية ما عانته من مصاعب وتكاليف عسكرية ومادية في حملاتها السابقة، ولذلك فكرت في تفريق صفوف الملة، للتقليل من مكانته الدينية، والتشكيك في قيادته بين الصوماليين^(٢)، وبتركيز سلطة البريطانيين في المدن الساحلية الثلاث: زيلع وبربرة وبلهار مع سيطرة القبائل الصومالية الموالية للبريطانيين على المناطق الداخلية بعد تزويدها بالسلاح والمال^(٣). كما قامت الحكومة البريطانية بتعيين وليم ماننج William

(1)Lewis, The Modern history of Somaliland, pp. 149-152.

(١) مرزوق، المصدر السابق، ص ٩١ .

(3)Luther, op.cit, p. 18 ;

عبده، المنافسة الدولية في اعالي النيل، ص ص ٣٤٣-٣٤٤ ؛ الدليمي، حميد عبد حمادي ضاحي، السياسة البريطانية في دول الساحل الغربي للبحر الاحمر ١٩١٩-١٩٣٩، رسالة دكتوراه غير منشوره قدمت الى كلية التربية (ابن رشد) كجزء من متطلبات درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، ٢٠٠٠، ص ٧٦ .

(1)Roberts, J, Europe 1880-1945 , U.S.A, Longman, 1989, p. 259.

(٢)حاول البريطانيون الاتصال بشيخ الطريقة الصالحية في مكة، وذلك في محاولة للتهوين من مكانته وشق صفوفه، وقد قام القنصل الايطالي بهذه العملية بان شكّل وفداً من بعض زعماء الصومال الى مكة في حزيران ١٩٠٨، وكان على رأسها عبد الله شجاري، الذي كان من اخلص اتباع الملة ولكنه انقلب عليه فطرده من حركته، وهناك صادق الوفد بان الملة قد قام باعمال منافية لنهج الطريقة الصالحية. انظر:-

سيد، محمد المعتصم، مهدي الصومال، ص ٥٤ .

(3)Jardine, op.cit, p. 134 ;

ديريه، احمد محمد، الصومال اثار القبلية في السياسة واثار السياسة في القبلية، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد ٢٦، ديسمبر/ كانون الاول ١٩٩٦، ص ٢٠٣ .

Manning في كانون الثاني ١٩١٠ لتنفيذ سياسة اخلاء القوات البريطانية من الداخل، وقد ترتب على عملية انسحاب البريطانيين ان اصبح موقف الملة ببالح الخطورة، فقد عمت الفوضى بين الصوماليين أي بين القبائل الموالية لبريطانيا وبين اتباع الملة، حتى باتت الصومال تعيش أشبه بحرب أهلية، قام البريطانيون بتغذيتها بالمال والسلاح. وفي ظل تلك الاحداث قام الملة بنقل مركزه من المحمية الايطالية الى المحمية البريطانية، واستقر في منطقة دولباھنت، وبدأ ببناء عدد من الحصون والقلاع، كان أهمها حصن تاليج، وهو الحصن الذي ظل مقراً له حتى عام ١٩٢٠^(١)، والذي عدّ بمثابة مركز لدولة محمد بن عبدالله حسن في الصومال، بعد ان تمكن من تثبيت مركزه والقضاء على الفتنة.

اضطر البريطانيون اتجاه تطور الاوضاع في الصومال وتقدم الملة وقواته نحو وسط البلاد، الى تغيير الحاكم في الصومال، فحل الجنرال بيات Byatt محل ماننج في ١٩١١، الذي قدّم على الفور تقريراً عاماً عن الاوضاع السيئة هناك الى الحكومة البريطانية، واوصى بضرورة اتخاذ موقف جديد إتجاه الصومال، وطالب بتشكيل قوة من الشرطة للحفاظ على الامن والنظام في المنطقة. وقد وافقت الحكومة البريطانية على مقترح بيات، وتشكّلت قوة من الشرطة بقيادة ريتشارد كورفيلد Richard Corfield^(٢)، الذي استهدف مواجهة تقدم قوات الملة، لاحتلال المواقع ما بين ادرين وبرعو، فقرر القيام بهجوم شامل على المناطق الذي يسيطر عليها اتباع الملة، وان يتولى قيادة الحملات العسكرية بنفسه، لتكون حركة فاصلة يضع فيها نهاية للملة في تاليج. وفي ٩ آب ١٩١٣ بدأت المعركة بين الجانبين، وانتصرت فيها القوات الصومالية، بعد ان لقي كورفيلد مصرعه في المعركة وهزمت قواته^(٣). وقد مثّل انتصار الصوماليين في هذه المعركة بداية مرحلة جديدة من تاريخ المقاومة الصومالية المسلحة ضد القوى المحتلة، واستئناف لتوسع

(1) Martine, op.cit, p. 190.

(2) Lewis, The Modern history of Somaliland, p. 77.

(3) Jardine, op.cit, p. 203.

(3) Hamilton, op.cit, p. 116 ; Lewis, The Modern history of Somaliland, p. 79.

وانتشار المجاهدين الذين تمكنوا في ٥ أيلول ١٩١٣ من الاستيلاء على برعو ذات الموقع الاستراتيجي المهم. وفي ١٣ آذار عام ١٩١٤ توجه الملة بقوة من الصوماليين الى بربرة للاستيلاء عليها، فتمكنوا من الوصول الى الساحل، وضرب القوات البريطانية هناك^(٤)، وخرق الحاجز البريطاني الهادف الى منع قوات الملة من الوصول الى البحر وتهديد المصالح البريطانية في المنطقة. ولما علم البريطانيون بخطورة الموقف في بربرة ارسلوا قوة عسكرية الى بربرة، نجحت في التغلب على الصوماليين، لكن لم تحقق النصر الحاسم بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) وانغماس بريطانيا في جبهاتها القتالية خاصة في أوروبا.

توصلت الرسالة الى مجموعة من النتائج اهمها:-

- تاسست شركة الهند الشرقية الانكليزية بأمّتيّاز من الملكة اليزابيث الاولى في اخر القرن السادس عشر، لتنظيم الاستعمار بشكله القديم والتبادل التجاري عبر البحار، وكان نطاق اختصاصها تنظيم تجارة الهند والشرق الاقصى مع مناطق الخليج العربي والعراق وسواحل البحر الاحمر الجنوبية، الا ان منطقة القرن الافريقي (لكونها جزءاً من منطقة البحر الاحمر وخليج عدن) لم تمثل للمسؤولين البريطانيين سوقاً لتصدير المنتجات البريطانية، لفقر مواردها الاقتصادية، وحرارة طقسها الذي لا يلائم متطلبات الصناعة الصوفية البريطانية.

- حدث اول اتصال بريطاني بمنطقة القرن الافريقي في مطلع القرن التاسع عشر. لاسباب تتعلق بالتجارة والاهمية الاستراتيجية، فرضتها نتائج الحملة الفرنسية على مصر في ١٧٩٨، التي احدثت نقطة تحول مهمة في السياسة البريطانية تجاه منطقة البحر الاحمر، كان مؤشّرها ان بريطانيا لا تسمح لاية دولة ان تتفد الى هذه المناطق وتستخدمها قواعد للأضرار بالمصالح البريطانية، الا ان هزيمة الفرنسيين في واترلو وزوال التهديد الفرنسي عن الاساطيل البريطانية في الشرق، كان مدعاة لتراخي الجهود البريطانية لاجاد مناطق حصينة في جنوب خليج عدن، ومنها ارتيريا، والصومال، واثيوبيا.

- حاولت بريطانيا ان تتخذ من الاتفاقيات التي عقدت بين حكومة الهند وشيوخ ساحل الصومال المطل على خليج عدن، التي ضمنّت لبريطانيا الافضلية ثم الهيمنة على مقدراتها الاستراتيجية، سنداً تتمسك به لابقاء تلك المناطق على ما هي عليه، لحرصها على جعل المنطقة المقابلة لعدن خالية من أي نفوذ اجنبي يهدد قاعدتها في عدن، حتى بلغ الامر ان بعض المسؤولين البريطانيين اعتبروا السيطرة المصرية في ظل السيادة العثمانية على سواحل الصومال نفوذاً مهدداً لمصالحهم يستحق المقاومة.

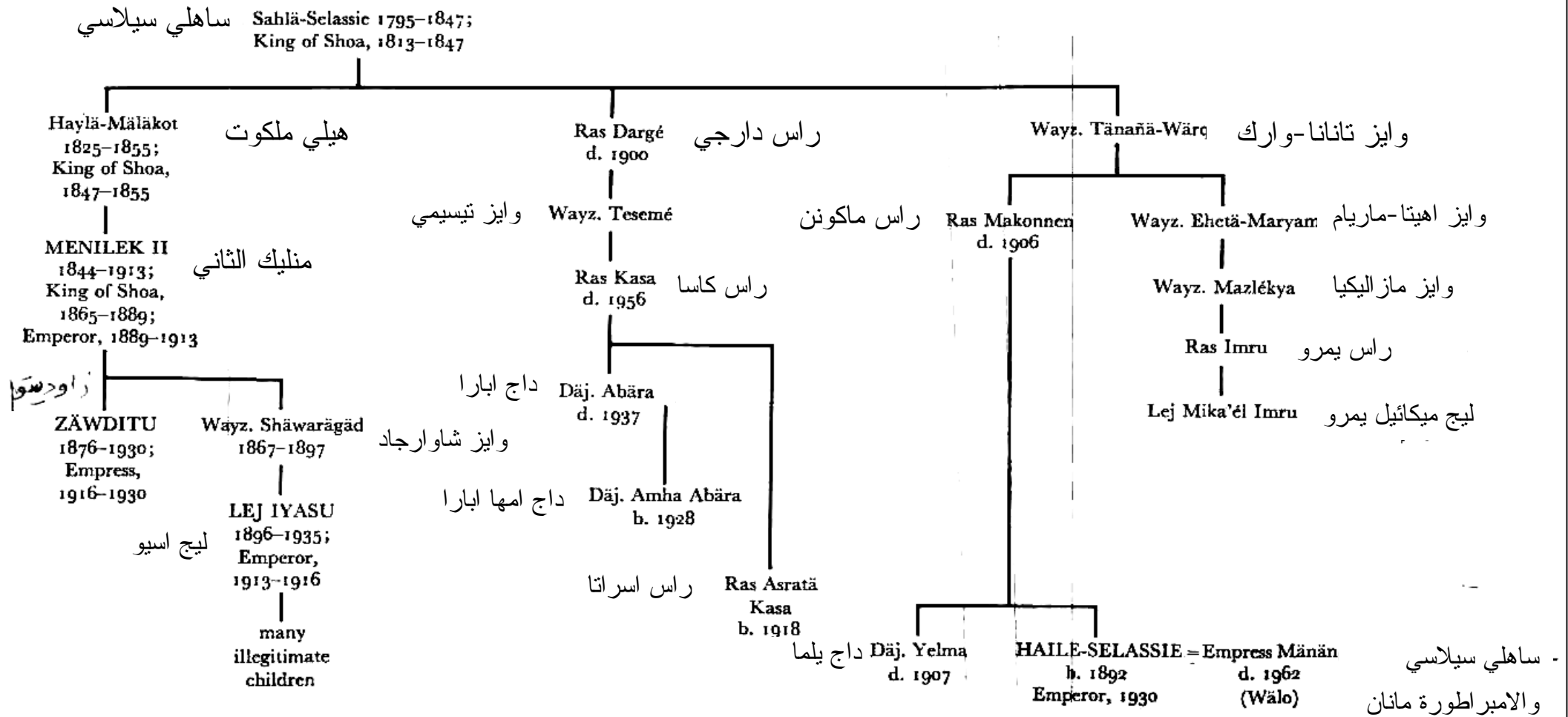
- ان الحفاظ على الوضع القائم حينذاك في "المشرق العربي" والبحر الاحمر، والحفاظ على وحدة واستقلال ممتلكات الدولة العثمانية، ما هي الا سياسة تسلحت بها بريطانيا منذ مطلع القرن التاسع عشر ولغاية ١٨٨٢، لابعاد اطماع الدول الاجنبية عن ممتلكات الدولة العثمانية. ولما كانت هذه السياسة تتماشى ومصلحة الدولة العثمانية، فقد تعاون العثمانيون مع المسؤولين البريطانيين للحفاظ على هذا الوضع. وظهر اثر هذا التعاون في الحرب البريطانية-الاثيوبية، وتجاه النشاط الايطالي في عصب في سبعينيات القرن التاسع عشر.
- ابتغت بريطانيا من وراء الاعتراف بالسيطرة المصرية في ظل التبعية العثمانية على ساحل الصومال تأمين المصالح البريطانية في المنطقة، التي اصبحت بفعل افتتاح قناة السويس جزءاً من أقصر طريق بحري يربط الشرق والغرب، والوقوف امام استيطان الفرنسيين والايطاليين على الساحل الغربي لخليج عدن، وترك مصر تسير في سياسة لا تنتهي بها الا الى استنزاف قوتها ورجالها واموالها، الى ان تتأكد بريطانيا من الوصول الى الحالة التي ترجوها في مصر.
- على الرغم من النجاح السريع الذي حققته بريطانيا في اخلاء الحاميات المصرية من منطقة القرن الافريقي، وانحسار الوجود المصري الذي قامت بريطانيا بتصفيته، الا ان المؤشرات الدولية حينذاك كانت تشير الى ان بريطانيا، وما حققته من تأسيس للنفوذ في ساحل الصومال المقابل لعدن، لا تتمكن من احكام السيطرة على المنطقة بمفردها، خاصة مع وجود الفرنسيين في اوبوك والايطاليين في عصب.
- كان للسلوك البريطاني- الذي اتسمت به السياسة البريطانية تجاه التنافس الدولي في القرن الافريقي، والذي استند الى نظرة واقعية مفادها ان التوسع الفرنسي في اوبوك من شأنه ان يبطل امكانية اية معارضة من الحكومة الفرنسية ضد استيلاء بريطانيا على جزء من الصومال وانحيازها لايطاليا، والذي اسفر عن تأسيس مستعمرتين ايطاليتين في ارتيريا والصومال- اثره البالغ في اقناع الاطراف الاوربية الاستعمارية المتنافسة، من المحافظة على

الوضع القائم على السواحل الصومالية، وان لاسبيل لمواجهة القوى الاخرى،
الا بترسيم حدود مستعمراتها بموجب المعاهدات.

- ادرك البريطانيون خطورة الاهداف الكامنة وراء الاستراتيجية الاثيوبية في
عهد الملك منليك الثاني تجاه دول منطقة القرن الافريقي، لاسيما بعد انتصاره
على الايطاليين في معركة عدوه، فتحرك البريطانيون لتحقيق استراتيجية
موحدة في المنطقة، والعمل على احباط أي تعاون، حالة حدوثه، بين فرنسا
واثيوبيا لتحقيق اهدافهم في الصومال أو السودان لذا لجأت بريطانيا الى
اسلوب المساومة السلمية مع اثيوبيا، وكانت النتيجة ان منحت الصومال
الغربي لاثيوبيا.

- إنّ صراع القوى الاوربية الاستعمارية في منطقة القرن الافريقي للحصول
على اهم المراكز الاستراتيجية، للاشراف على طريق الهند والشرق الاقصى،
كان جزءاً من الاستعمار الاوربي للاراضي العربية وتجزئتها وفقاً لمعاهدات
دولية، وان الصراع الذي كان يجري في منطقة القرن الافريقي كان على
حساب قوميات ضعيفة لم ترتق بعد عن المستوى القبلي، وعلى أراضى تم
توزيعها على اربعة اقاليم، كل منها تابع لدولة استعمارية، وخارطة سياسية
وضعت حدودها لخلق أزمة بين دول المنطقة، تكمن في الصراع بين رغبة
اثيوبيا (الهضبة) في ان تكون وطناً اثيوبياً يملك منفذاً على البحر، وحلم
صومالي بتوحيد الصومال واقامة الصومال الكبرى.

ملحق رقم (١)
السلالة الحاكمة في شوا ومن ثم في اثيوبيا
١٨١٣-١٩١٦



ملحق رقم (٤)

نص الاتفاقية البريطانية-المصرية لعام ١٨٧٧

رغبة بالتوصل الى تسوية بشأن اعتراف حكومة جلالة الملكة بالحقوق الشرعية بالسيادة لجناب الخديوي الخاضع لسيادة الباب العالي على الساحل الصومالي الممتد الى رأس حافون، أقرت حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى وايرلندا وحكومة جناب الخديوي بما يلي:-

توصل كل من الشريف كريسباني فيفيان الممثل الدبلوماسي لحكومة جلالتهما والقنصل العام في مصر وسيادة شريف باشا وزير خارجية معالي الخديوي الى ما يلي:-

مراعاة للشروط التي تضمنتها هذه الاتفاقية تتعهد حكومة جناب الخديوي اعتباراً من تاريخ وضع الاتفاقية الحالية موضع التنفيذ وكذلك على اثر الاعتراف الرسمي لحكومة جلالة الملكة بالحقوق الشرعية لجناب الخديوي على الساحل الصومالي، فانه ينبغي ان تعلن كل من بلهار وبربرة موانئ حرة (اذا لم تتخذ بعد الاجراءات اللازمة بهذا الصدد)

وتتعهد حكومة جناب الخديوي بعدم السماح باي احتكار تجاري وعدم التسامح بشأن وضع اية عقبات بوجه التجارة في الموانئ المذكورة. كذلك تتعهد بان لا تزيد الرسوم الكمركية المفروضة في تاجوره وزيلع وفي جميع موانئ الساحل الصومالي، عبر بلهار وبربرة عن ١% بالنسبة للصادرات و ٥% بالنسبة للاستيرادات كذلك يتمتع الرعايا البريطانيون والتجارة والملاحة البريطانية على الدوام بحق الدولة الاكثر رعاية والاكثر تفضيلاً في جميع الاراضي التي ستكون خاضعة لسيادة جناب الخديوي.

المصدر:-

F.O.195/1225, Bombay Gov.to C-U- Aitchison,
Memorandum on the dupution the Somal Coast, 11th
October 1879.

ملحق رقم (٦)

خريطة توضح منطقة القرن الافريقي قبل الحرب العالمية الاولى



British Policy Towards The African Horn Region 1839-1914

**A thesis Submitted by
*Suadad K . Mahdi Al- Ubaidi***

**To the Council of the College of Arts, University of
Baghdad
In Partial Fulfillment of the Requirements for the
Degree of Ph.D. OF Arts in Modern History**

***Supervised by
Porf. Sadik H. Al – Soudani (Ph. D)***

Baghdad (2002)

أولاً:- الوثائق
أ. الوثائق البريطانية غير المنشورة.

- 1.F.O.881/2432 Confidential, Memorandum on the Turkish claim to Sovereignty over the Eastern shores of the Red sea and the whole of Arabia, and the Egyptain claim to the whole of the western shores of the same sea, including the African Coast from Suez to Cape Cuardafui printed for the use of the foreign office, E Hertslet, 5th March 1874.
- 2..F.O.195/1052, Bombay Gov. To C.U.Aitchison, Memorandum on The Authority of The Turkish Government over Zaila and Tajoura, No.211, dated Bombay Castle, 13th January 1875.
- 3.F.O.195/1052, Northbrook and others to marquis of Salisbury, Memorandum on the Subject of the Relation between the British Government and the Tribes on the African Coast of the Red Sea and the straits of Babe. el. Mandeb, and the Preceedings of the Egyptain Government towardsThe Somalee Tribes,Fort William, The 5th March, 1875.
- 4.F.O.195-1225, Bombay Gov.to C.U.Aitchison, Memorandum on the dupution The Somal Coast 1877-1879, No-211, Datad 11th October, 1879.

ب. الوثائق المنشورة

١ - الكتب الوثائقية المطبوعة باللغة الانكليزية.

- 1.Aitchison, C.U, A collection of treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries, Vol.XI, Calcutta, 1933.
2. Hurwetz, Jacob Coleman, Diplomacy in the Near and Middle East, A documentary Record 1535-1914, Vol.I, New york, 1956.

- 3.The Letter Of Queen Victoria A selection From Her Majesty's Correspondence and Journal Between The Years 1862 and 1878, Vol.II,London, 1926.
4. Wiever, Joel, Great Britain, Foreign Policy Span of Empire (1689-1971) Adocumentary history, Vol.3, U.SA, 1972.

٢- الكتب الوثائقية المطبوعة باللغة العربية.

١. البراوي، راشد، مجموعة الوثائق السياسية، ج ١ (المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس)، القاهرة، ١٩٥٢.
٢. الجمل، شوقي عطا الله، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر ١٨٦٣-١٨٧٩، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٩.
٣. جندي، جورج و جاك تاجر، اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية، القاهرة، ١٩٤٧.
٤. وثائق الخارجية الايطالية حول احتلال ارتيريا، باشراف كارلو جوليو، ترجمة ونشر البعثة الخارجية لجبهة التحرير الارتيرية. قوات التحرير الشعبية، دمشق، مطابع الادارة السياسية للجيش، ١٩٧٨.

ثانياً:- الرسائل الجامعية

١ - الرسائل باللغة العربية

١. الاحبابي، نايف محمد حسن، الموقف العربي والاقليمي من الهيمنه البرتغاليه في الخليج العربي ١٥٠٧-١٦٥٠، رسالة ماجستير قدمت الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٨.
٢. الجبوري، عصام محسن علي، العلاقات العربيه- الافريقيه ١٩٦١-١٩٧٧، رسالة ماجستير قدمت الى كلية القانون والسياسه، جامعة بغداد، ١٩٧٨.
٣. الحلبي، محمد عبد الحسين، عدن والصراعات الدولييه في البحر الاحمر ١٧٩٨-١٨٣٩، رسالة ماجستير قدمت الى معهد البحوث والدراسات العربيه، بغداد، ١٩٨٨.

٤. حميد، خميس دهام، الصومال دراسة في مشكلات توحيد الصومال الكبير والوحدة الوطنية والتدخل الدولي، رسالة ماجستير قدمت الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٦.
٥. خميس، خلود محمد، سياسة اثيوبيا الاقليمية المعاصره تجاه دول الجوار الجغرافي العربي، رسالة ماجستير قدمت الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٨.
٦. الدليمي، حميد عبد حمادي ضاحي، السياسة البريطانية في دول الساحل الغربي للبحر الاحمر ١٩١٩-١٩٣٩، رسالة دكتوراه قدمت الى كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.
٧. صلاة، بشير احمد، التاريخ السياسي لسلطنة عدل الاسلامية في القرن الافريقي ١٤١٥/٨١٨-١٥٤٣/٩٤٩، رسالة ماجستير قدمت الى معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٧.
٨. عبد الله، جبار علي، التطورات السياسية في أرتيريا ضد الاحتلال الاستعماري حتى عام ١٩٩٨، رسالة ماجستير قدمت الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩١.
٩. القيسي، محمود عبد الواحد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند، رسالة ماجستير قدمت الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٣.
١٠. لجام، محمد سعيد حامد، الصراع الدولي على اريتيريا واحتلالها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٦٥-١٨٨٩، رسالة ماجستير قدمت الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.
١١. محمود، عمر علي، الاطماع الاستعمارية في الصومال في الفترة ١٨٦٢-١٩٠٨، رسالة ماجستير قدمت الى معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٧.

١٢. المشايخي، علي خضير عباس، السياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٧٩٨-١٨٨٢، رسالة دكتوراه قدمت الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧.

١٣. الهاشمي، كاظم عبود، الحالة السياسية في أرتيريا ١٩٤١-١٩٦١، رسالة ماجستير قدمت الى المعهد العالي للدراسات القومية الاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨١.

٢ - الرسائل باللغة الانكليزية

- 1-AL-Soudani, Sadik.H., The Nationalist movement in Kenya and the Mau Mau Movement, Ph.D. Thesis in Modern History Submitted to the Faculty of Arts, University of Exeter in May 1988.
- 2- Steiner, Martina Isabella, interethnic-Relations and Colonialism in Somalia, Ph.D, Thesis in Modern history, University Wien (Austria), 1991, p.42.

ثالثاً:الموسوعات والاطاليس والقواميس

1. The American Peoples Encyclopaedia, Vol. 19, U.S.A, Croler incroporaated, 1962.
2. Collins Concise Encyclopaedia, London, Peerage Books, 1985
- 3.The Columbia Encyclopaedia, Vol. II, U.S.A, Columbia university press, 1963.
- 4.The Encyclopedia Americana, vol.25, U.S.A, American Corporation International,1975.
- 5.Encyclopedia Britannica, Vols, 7.8.10.13.14.19, U.S.A, William benton, 1970.
6. Encyclopedia Of the third world, Vol. 1.2, London,1982.
7. Groliey Multimedia Encyclopedia,2001.
8. Longman Dictionary of Contemporary English, Bath England, Longman Group Ltd, 1981.
- 9.The New Encyclopaedia Britannica, Vols, 4.7.8.9.19.23, U.S.A, William benton, 1986.
10. Word Atlas, 1998.
11. Word Atlas, 2000.

١٢. قاموس المورد، بيروت، دار العلم، ٢٠٠٠.

رابعاً: المراجع العامة
أ. المراجع الاجنبية

1. Abir, Mordechai, Ethiopia and The Red sea, Great Britain, Frankcass, 1980.
2. _____, Ethiopia: The Era of the princes the challenge of Islam and Re-unification of the christain Empire 1769-1855, New york, Praeger, 1968.
3. Anderson, Mathew Smith, The Eastern Question 1774-1923, Astudy in International Relation, London, Macmillan, 1966.
4. The Autobiography of Emperor Hail selassie I, My Life and Ethiopia's Progress 1892-1937, Oxford, The university press, 1977.
5. Brogan, D, The Development of Modern France 1870-1939, London, Hamish Hamillton, 1940.
6. Budge, Wallis, Ahistory of Ethiopia, London, Talboys, 1928.
7. Bury, Wyman, Arabia Infelix or the Turks in yemen, London, Macmillan, 1970.
8. Buxton, David, The Abyssinians, Great Britain, Thames and Hudson, 1970.
9. Chadhuri, K.N, The English East India Company, The study on Early Joint stock company 1600-1640, London, 1965.
10. Chatterji, Nikshoy, Muddle of the Middle East, Vol. 2, New Delhi, Bangalore, 1973.
11. Clapham, Christopher, Haile-sellassie's Covernment, Great Britain, Longmans, 1969.
12. Coupland, Reginald, East Africa and its Invaders from the Earliest time to the death of Said in 1856, London, Clarendon Press, 1938.
13. Darkwah, Kofi, Shewa, Menilek and the Ethiopian Empire 1813-1889, London, Heinemann, 1975.
14. Dodwell, Henry, The Founder of Modern Egypt Astudy of Muhammed Ali, London, Longmans, 1931.
15. The Earl of Cromer, Modern Egypt, London, Macmillan and co.limited Martin's street, 1911.
16. Elgood, P, Egypt, London, Arrowsmith, 1935.

17. Farnie, D, East and West of suez, The Suez Canal in history 1854-1956, Oxford, Clarendon Press, 1969.
18. Fetter, Bruce, Colonial Rule in Africa, Madison, university of wisconsin, 1976.
19. Gavin, K.j, Aden under British Rule 1839-1967, London, Cass, 1975.
20. Graham, Gerald, Great Britain in the Indian Ocean, A study of Maritime Enterpris, 1810-1850, Oxford, The university press, 1967.
21. GreenField, Richard, Ethiopia, A new Political history, London, Pall Mall, 1965.
22. Hamilton, Angus, Somaliland, London, Chatton and Windus, 1970.
23. Hannece, William, The Geography of Modern Africa, New york, Macmillan, 1975.
24. Harris, Cornwallis, The Highland of Ethiopia, Vol.I, London, Longman, 1968.
25. Hayes Carlton, A political and Cultural history of Modern Europe, Vol. 2, New york, Macmillan, 1939.
26. _____, Contemporary Europe since 1870, New york, Macmillan, 1958.
27. Hearder, H, Europe in the nineteenth century, Second Edition, London, Longman, N-D.
28. Hellett, Robin, Africa since 1875, Amodern history, London, Routledge, 1978.
29. Hill, Richard, Egypt in the Sudan 1820-1881, Oxford, The university press, 1959.
30. Hodges, Mary, East African history, London, Allen, 1971.
31. Holt, P, A modern history of the sudan, London, Weidenfeld and Nicolson, 1961.
32. Huggins, Willis, An Introduction to Africa civilization, New york, 1973.
33. Hunter, F.M, An Account of the British Settlement at Aden, London, Frank cass, 1968.
34. Huntingford, G, Historical geography of Ethiopia, Oxford, The university press, 1974.
35. Jardine, Donglas, The Mad Mullah of Somaliland 1916-1921, New york, Gordian, press, 1969.

36. Johnston, Charles, Travels in Southern Abyssinia, London, Madden, 1972.
37. Jones and Monroe, Elizabeth, history of Ethiopia, Oxford, The university press, 1955.
38. The Journals of c.w Isenberge and j.I Krapf, detailing their proceeding in the Kingdom of shoa and journeys in other of Abyssinia in the years, 1839, 1840, 1841 and 1842, Great Britain, Frank, 1968.
39. keller, Edmond, Revolutionary Ethiopia From Empire to People's Republic, U.S.A, Indian University Press, 1988.
40. Kour, Z.H, The history of Aden 1839-72, Great Britain, Frank cass, 1981.
41. Lamb, David, The Cultural Regions of East Africa, London, pall mall press, 1972.
42. Langer, W, The Diplomacy of Imperialism, 1890-1903, New york, Alferd-Knopf, 1968.
43. Lewis, M, Nationalism and self- Determination in the Horn of Africa, London, west view press, 1983.
44. _____,The Modern history of Somaliland, Great Britain, west view press, 1965.
45. Lion, Gerarrdo. Zampag, Italy Heritage of the Risorgimento 1871-1945, London, Methnen, 1956.
46. Lipsky, George Arthar, Ethiopia, Its People, Its Society, Its Culture, New york, Harf, 1962.
47. Lord Elton, General Gordon, London, Methnen, 1954.
48. Lowe and Morarif, Italian Foreign Policy 1870-1940, London, Michael, 1960.
49. Luther, Ernest, Ethiopia today, California, Stanford university press, 1961.
50. Mansfield, Peter, The Middle East, A political and Economic Survey, London, Oxford university press, 1973.
51. Marcus, Harold, The Life and times of Menelik II, Oxford Clarendon press, 1975.
52. Markakis, John, Ethiopia Anatomy of A traditional Policy, Oxford, Clarendon, 1974.
53. Marlowe, John, Anglo-Egyptian Relations, 1800-1956, U.S.A, Macmillan, 1965.

54. _____, Cromer in Egypt, London, Elek books, 1970.
55. _____, The Making of the Suez Canal, London, Gresset, 1964.
56. Marston, Thomas, Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800-1878, New York, The shoe string Press, Hamden Connecticut, 1961.
57. Martin, B, Muslim Brother hoods in nineteenth Century African, U.S.A, 1976.
58. Mcedye, William, Moslem Egypt and Christian Abyssinia or Military Service under the Khedive in his Province and beyond their borders As Experienced, New York, Negro universities, 1969.
59. Mcewan, P, Twentieth Century: Africa, London, Faber and Faber, 1968.
60. Morby, John, Dynasties of the Word, Oxford, The university press, 1989.
61. Morley, John, The Life of William Ewart Gladstone, Vol.3, Macmillan, 1909.
62. The New Cambridge Modern history, Material Progress and World Wide Problems 1870-1898, Vol.XI, London, Cambridge University Press, 1962.
63. Newton and Ewing, The British Empire Since 1783, Its Political and Economic development, Third Edition, London, 1939.
64. Pankhurst, Richard, Travellers in Ethiopia, London, Oxford university press, 1965.
65. Pennington, D, 17th century Europe, London, 1974.
66. Penrose, Boies, Travel and Discovery in the Renaissance 1420-1620, London, 1967.
67. Playfaire, Robert, A history of Arabia Felix or Yemen, Netherland, Jail press, 1970.
68. Roberts, J, Europe 1880-1945, U.S.A, Longman, 1989.
69. Rothstein, Theodore, Egypt's Ruin, A financial and Administrative Record, London, Faber, 1910.
70. Royal, Charles, The Egyptian Campaigns 1882 to 1885 and which led them, Vol.2, London, 1898.

71. Rubenson, Sven, *The Survival of Ethiopian Independence*, Great Britain, Heineman, 1976.
72. Saladino, Slavatore, *A history of Modern Italy, Documents, Readings, Commentary*, New York, Columbia university press, 1968.
73. Sanderson, G, *England, Europe and The upper Nile, 1882-1889*, Great Britain, 1965.
74. Sandes, E, *The Royal Engineers in Egypt and Sudan*, London, The Institution of Royal Engineers, Chatham, 1937.
75. Sauldie, Madan, *Ethiopia Dawn of the Red star*, New York, Apt Books, Inc, 1982.
76. Sellassie, Zewde Gabre, *yohannes IV, of Ethiopia a political Biography*, Oxford, Clarendon, 1975.
77. Sergeant, R, *The Portuguese of the South Arabian Coast*, Oxford, Clarendon press, 1963.
78. Simpson, Donald and Darki Companions, *The African Contribution to the European exploration of East Africa*, London, Modern Humanities, 1975.
79. Sladen, Douglas Brooks, *Egypt and the English, Showing British public opinion in Egypt upon the Egyptian Question*, London, Longman, 1908.
80. Thompson, Virginia and Adloff Richard, *Djibout and the horn of Africa*, U. S. A, Standford university press, 1968.
81. Touval, Saadia, *Somali Nationalism, International Politics and the Drive for unity in the horn of Africa*, Cambridge, Havard university press, 1963.
82. Trevaski, G, *Eritrea :a colony in transitions 1941-52*, London, 1960.
83. Trimingham, Sepencer, *Islam in Ethiopia*, London, cass, 1965.
84. _____, *The Influence of Islam upon Africa*, London, Longman, 1980.
85. Ullendorpf, Edward, *The Ethiopians, an introduction to Country and people*, London, Oxford university press, 1961.

86. Vernom, Jamison and Terry Sanford, Italy Mediaeval and Modern Ahistory, Oxford, Clarendon, 1919.
87. Ward and White, East Africa: A century of change 1870-1970, London, George Alen and unwin Ltd, 1971.
88. Waterfield, Gordon, Sultans of Aden, London, John Murray, 1968.
89. Williamson, James, Ashort history of British Expanspon 1500-1902, Cambridge, The university press, 1945.
90. Wingate, F, Mahdism and the Egyptian Sudan, London, Frank cass, 1968.

ب. المراجع باللغة العربية ١. الكتب المترجمة

١. بانيكار، أسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٠.
٢. جرانت، هارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة بهاء فهمي، القاهرة، ١٩٥٠.
٣. جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية من أفريقيه الشرقية، ترجمة يوسف كمال، القاهرة، ١٩٢٧.
٤. حجاز، جوزيف، اوربا ومصير الشرق العربي، حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة بطرس الحلاق، ماجد نعمه، بيروت، دار النهضة، ١٩٧٦.
٥. دفي، جيمس، البرتغال في إفريقيا، ترجمة جاد طه، بيروت، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٧٢.
٦. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٠٥، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط٢، القاهرة، ١٩٧٢.

٧. لونكريك، ستيفن همسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٦٨.
٨. ولسن، أرنولد، الخليج العربي، مجمل تاريخي من اقدم الازمنة حتى اوائل القرن العشرين، ترجمة الدكتور عبد القادر يوسف، كويت، د.ت.
٩. وليمز، ستون، بريطانيا والدول العربية، عرض للعلاقات الانكليزية العربية ١٩٢٠، ١٩٤٨، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، ١٩٥٢.

٢. الكتب العربية

١. أباطه، فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨، القاهرة، الهيئة المصرية العامه للكتاب، ١٩٧٥.
٢. _____، عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٨٣٩-١٩١٨، القاهرة، الهيئة المصرية العامه للكتاب، ١٩٧٦.
٣. أبراهيم، عبد الله عبد الرزاق، المسلمون والاستعمار الاوربي لافريقيا، الكويت، دار المعرفة، ١٩٦٨.
٤. أحمد، يوسف، الاسلام في الحبشة، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٩٣٥.
٥. الاسعد، رشيد جبر، أضواء على القضية الارتيرية، بغداد، دار النذير للطباعة والنشر، ١٩٦٩.
٦. أمين، عبد الامير محمد، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الاوربي لاسيا ١٦٠٠-١٨٠٠، عمان، منشورات الجامعة الاردنية، ١٩٨٧.
٧. أنيس، محمد، الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤، القاهرة، د.ت.

٨. الايوبي، الياس، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٩، المجلد الثاني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣.
٩. البابلي، محمد زهير حامد، في ربوع الصومال، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ت.
١٠. البراوي، راشد، الحبشه بين الاقطاع والعصر الحديث، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٦٠.
١١. بشر، عثمان بك، عنوان المجد في تاريخ نجد، ح ١، الرياض، ١٩٦٥.
١٢. بغدادي، عبد السلام ابراهيم، الوحدة الوطنية ومشكلة الاقليات في افريقيا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣.
١٣. تركي، حامد صالح، أرتريا والتحديات المصرية، دراسة وثائقية في الشعب الارتيري وكفاحه المسلح، ط ٢، بيروت، دار الكنوز الادبية، ١٩٧٩.
١٤. تمام، همام تمام، تطور حركة الجهاد الوطني في الصومال، القاهرة، ١٩٨٧.
١٥. جرادات، وليد محمد، الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر بين الماضي والحاضر، الدوحة، ١٩٨٦.
١٦. جمعه، محمد لطفي، بين الاسد الافريقي والنمر الايطالي، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٣٥.
١٧. الجمل، شوقي عطا الله، تاريخ الصومال في العصر الحديث (١٤٨٦- ١٩٦٩) كتاب المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية، بغداد، ١٩٨٢.
١٨. _____، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، القاهرة، المكتبة الانجلو مصريه، ١٩٨٠.

١٩. _____، سياسة مصر في البحر الاحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٧٤.
٢٠. جيبوتي، دراسة مسحية شاملة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية ٢٠٠٠.
٢١. حافظ، صلاح الدين، صراع القوى العظمى في القرن الافريقي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ١٩٨٢.
٢٢. حراز، رجب، أرتريا الحديثه ١٥٥٧-١٩٤١، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٤.
٢٣. _____، التوسع الايطالي في شرق أفريقيا وتأسيس مستعمرتي اريتريا والصومال، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٤.
٢٤. _____، افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي، القاهرة، ١٩٦٥.
٢٥. الحيمي، أحمد بن حسن، سيرة الحبشه، القاهرة، الهيئة العامه لشؤون المطابع، ١٩٧٢.
٢٦. دياب، احمد ابراهيم، لمحات من التاريخ الافريقي الحديث، الرياض، ١٩٨١.
٢٧. الرافعي بك، عبد الرحمن، عصر اسماعيل، ط٢، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٤٨.
٢٨. _____، عصر محمد علي، ط٢، القاهرة، ١٩٤٧.
٢٩. _____، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال، تاريخ مصر القومي سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢، القاهرة، د.ت.
٣٠. رزقانه، ابراهيم احمد، بعض مشكلات الجغرافيه السياسية، القاهرة، ١٩٨٨.
٣١. رياض، زاهر، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال ١٨٢١-١٩٥٣، القاهرة، المكتبة الانكلو مصرية، ١٩٦٦.

٣٢. ———، تاريخ اثيوبيا، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٦.
٣٣. سالم، حمدي السيد، الصومال قديماً وحديثاً، ج ١، مقدشو، ١٩٦٠.
٣٤. سالم، مصطفى، الفتح العثماني لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥، القاهرة، ١٩٦٩.
٣٥. السلطان، عبد الله عبد المحسن، البحر الاحمر الصراع العربي الاسرائيلي التنافس بين استراتيجيتين، بيروت، ١٩٨٤.
٣٦. سيد، حمدي المعتصم، مهدي الصومال بطل الثورة ضد الاستعمار، بلا مكان، د.ت.
٣٧. السيد، عاطف، البحر الاحمر والعالم المعاصر، دراسة تاريخية سياسية استراتيجية، القاهرة، ١٩٨٥.
٣٨. السيد، محمد المعتصم، دول اسلامية في شرق افريقيا، بيروت، ١٩٨٧.
٣٩. شبكه، مكى، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر، بيروت، ١٩٦٥.
٤٠. شقير، نعيم، جغرافية وتاريخ السودان، بيروت، ١٩٧٢.
٤١. شكري، محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، د.ت.
٤٢. صبري، محمد، الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٥٧.
٤٣. ———، مصر في افريقيا الشرقية هرر وزيلع وبربره، مصر، ١٩٣٩.
٤٤. ضرار، صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، بيروت، ١٩٦٥.
٤٥. الطاهري، حمدي، جيبوتي من البحر الاحمر، القاهرة، ١٩٧٧.
٤٦. طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، القاهرة، ١٩٦٩.
٤٧. الطويل، عثمان، الصومال تاريخاً وحضارة، الامارات العربية المتحدة، ١٩٨٨.

٤٨. عابدين، عبد المجيد، بين الحبشة والعرب، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
٤٩. العارف، ممتاز، أرتيريا بين اصلاحيين، دراسة في تطورها السياسي والاقتصادي مع اشارة خاصه بعلاقتها باثيوبيا، بغداد، دار الجاحظ، ١٩٧٩.
٥٠. _____، الاحباش بين مأرب وأكسوم، بيروت، ١٩٧٥.
٥١. عبده، علي ابراهيم، المنافسة الدولية في اعالي النيل ١٨٨٠-١٩٠٦، القاهرة، ١٩٥٨.
٥٢. _____، مصر وأفريقيه في العصر الحديث، القاهرة، دار القلم، ١٩٦٢.
٥٣. عبد الحليم، عبد المنعم، صوماليا، دراسة لبيئتها الطبيعية وامكانياتها الاقتصادية، القاهرة، ١٩٦٠.
٥٤. عبد الغني، عبد العزيز، الاستعمار الايطالي وأثره على العروبة والاسلام في افريقيا، العلاقات العربية الافريقيه، دراسة تاريخيه للآثار السلبية للاستعمار، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧.
٥٥. العقاد، صلاح وقاسم، جمال زكريا، زنجبار، القاهرة، المكتبة الانجلو مصريه، ١٩٥٩.
٥٦. غرابيه، عبد الكريم، مقدمة في تاريخ العرب الحديث، دمشق، ١٩٦٠.
٥٧. الغفار، أنور عبد الغني، الوجيز في اقليميه القارة الافريقيه، الرياض، ١٩٨٢.
٥٨. الغوثاني، اسعد، ارتيريا تاريخاً وثوره، بغداد، مطبعة العراق، ١٩٧٤.
٥٩. غيث، فتحي، الاسلام والحبشه عبر التاريخ، القاهرة، د.ت.
٦٠. فريد بك، محمد، تاريخ الدولة العليه العثمانية، بيروت، ١٩٨٢.
٦١. فقيه، عرب، فتوح الحبشة، باريس، ١٩٠٩.

٦٢. القدال، محمد سعيد، المهديّة والحبشه، دراسة في السياسة الداخليّة والخارجية للدولة المهدية ١٨٨١-١٨٩٨، الخرطوم، جامعة الخرطوم، ١٩٧٣.
٦٣. محمود، محمد توفيق، المدخل الجنوبي للبحر الاحمر، بغداد، ١٩٨٠.
٦٤. المختصر في تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى الاحتلال البريطاني، حققه وعلق عليه الدكتور، علي عبد المنعم شعيب، بيروت، دار ابن زيدون، د.ت.
٦٥. مرزوق، عبد الصبور، ثائر من الصومال المله محمد بن عبد الله حسن، القاهرة، دار القومية للطباعة والنشر، ١٩٨٤.
٦٦. مصطفى، احمد عبد الرحيم، مشكلة قناة السويس ١٨٥٤-١٩٥٦، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦.
٦٧. المنشدي، خلف، أرتيريا من الاحتلال الى الثورة، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٧٣.
٦٨. نورس، علاء، السياسة الايرانية في الخليج العربي أبان عهد كريم خان ١٧٥٧-١٧٧٩، الكويت، ١٩٨٢.
٦٩. نوري، دريد عبد القادر، تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء، مصر، ١٩٨٥.
٧٠. يحيى، جلال، البحر الاحمر والاستعمار، القاهرة، ١٩٦٢.
٧١. _____، التنافس الدولي في بلاد الصومال، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٥٩.
٧٢. _____، التنافس الدولي في شرق افريقيا، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٥٩.
٧٣. _____، العلاقات المصرية-الصومالية، القاهرة، ١٩٦٠.
٧٤. _____، تاريخ افريقية الحديث والمعاصر، أسكندرية، ١٩٨٤.
٧٥. _____، سواحل البحر الاحمر، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠.

٣- المراجع باللغة الفرنسية

1. Basset, Rene, Histoire dela Conquete De L'Abyssinie, Paris, 1897.
2. Gautier, E.F, L'Afrique Blanche, Paris, 1935.
3. Guillain, Charles, Documents Sur L'Histoire Lagéographie et le Commerce de L'Afrique Orientale Tomes I-III, Paris, 1954.
4. Leroux, Ernest, Histoire Dela Conquete De L'Abyssinie, Paris, 1897.

خامساً:- البحوث

أ.البحوث باللغة الانكليزية

1. Abir, Mordechai, brokerage and brokers in Ethiopia in the First Half of the 19th century, Journal of Ethiopian studies, Vol.3, No.I, Institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa, January, 1965.
2. Abrams, L, Who were the French Colonialists? Areass essment of the part colonial 1890-1914, The historical Journal, Vol. 19, No. 3, Great Britain, 1976.
3. .Andrew, Cand, Kanya- Forstner, French, Business and the French Colonialists, The Historical journal, Vol. 19, No. 4, Cambridg university press, December, 1976.
4. Asante, S, The Italo- Ethiopian conflict: Acase study in British West African Responce to crisis Diplomacy in the 1930, The journal of African history, Vol. XV, Number.2, London, Cambridge university press, 1974.
5. Axelson, Eric, Portuguese Activities in South East Africa, The journal of African history, Vol. XI, No. 2, London, Cambridge university press, 1975.
6. Baldry, John, The English East India Company's Sttlement of Al-Mukha 1719-1739.

مجلة الخليج العربي، المجلد ٣، العدد ٢، البصرة، ١٩٨١.

7. Caulk, B, Harar town an its Neighbors in the Nineteenth century, The journal of African history, Vol.XVIII, No.3, London, Cambridge university press, 1977.

8. Chojnacki, Stanislaw, Forests and the Forestry As seen by some travellers in Ethiopia, *Journal of Ethiopian Studies*, Vol.I, No.I, Addis Ababa, January 1963.
9. Costa, Manuel, Joronomo Lobo Reveals Ethiopia to Europe in the Middle of the XVII th century, *Proceedings of the third International Conference of the Ethiopian Studies*, Addis Ababa, 1969.
10. Erlich, Haggai, Alula, The son of Qubi: Aking,s Man in Ethiopia, 1875-1897, *The Journal of African history*, Vol-XV, No.2, London, Cambridge, University, press, 1974.
11. Hamilton, David, Imperialism Ancient and Modern: astudy of British attitudes to the clams to Sovereignty to the Northern Somali Coast line, *Journal Ethiopian studies*, Vol.V, No.2, Addis Ababa, July 1967.
12. Jesman, Czeslaw, Early Russian contacts with Ethiopia, *Proceedings of the third international*, Addis Ababa, 1969.
13. Mackay, D, Direction and Purpose in British Imperial Policy, 1783-1801, *The historical journal*, Vol.XVII, No.3, London, Cambridge university press, 1974.
14. Marcus, Harold, Abackground to Direct British Diplomatic involvement in Ethiopia, 1894-1896, *Journal of Ethiopian studies*, Vol.I, No.2, Addis Ababa, July 1963.
15. _____, The end of the Reign of Menilek II, *The journal of African history*, Vol.XI, No.4, London, Cambridge university press, 1976.
16. _____, The Rodd Mission of 1897, *Journal of Ethiopian studies*, Vol.III, No.2, Addis Ababa, July 1965.
17. Mariam, Mesfin, The Bacground of the Ethio-somalian Boundary Dispute, *The journal of Modern African studies*, Vol.2, No.2, Great Britian, 1964.
18. Mazrui, Ali, European Exploration and Africa's self Discovery, *The Journal of Modern African Studies*, Vol.7, No.4, Cambridge, 1969.
19. Mustoe, Q, Modern Ethiopia, *African Affairs*, The Royal African Society, Vol.61, No. 24, Great Britian, July,1962,
20. Pankhurst, Richard, Menilek and the Utilisation of Foreign Skills in Ethiopia, *Journal of Ethiopian studies*, Vol.V, No.I, Addis Ababa, January 1967.

21. _____, Tribute, Taxation and Government Revenues in Nineteenth and early Twentieth century, Journal of Ethiopian studies, Vol.V, No.2, Addis Ababa, July 1967.
22. Plachhurst, Hector, Ethnicity in Southern Ethiopia the General and the Particular, Journal of International Africa, Vol.50, No.I, London, 1980.
23. Rubenson, Sven, The Adwa peace treaty of 1884 Proceeding of the third international conference of Ethiopian Studies, Addis Ababa, 1969.
24. Santos, Reis, An Ethiopian Icon, African Affairs Journal, The Royal African Society, Vol. 62, No.25, Great Britain, 1962.
25. Talhami, Ghada, Ismail's Real Sea Policy, The journal of African history, Vol.22, No.1, London, 1981.
26. Triulzi, Andro, Trade, Islam, and the Mahdia in North western Wallaggas Ethiopia, The journal of African history, Vol.XVI, No.I, Cambridge university press, London, 1975.
27. Turton, E, Kirk and the Egyptian invasion of east Africa in 1875: A Reassessment, The Journal of African History, Vol.XI, Number.3, Cambridge University, London, 1970.
28. _____, Somali Resistance to Colonial Rule and the development of somali Political Activity in Kenya, 1893-1960, The journal of African history, Vol.XIII, Number.I, London, 1972.

ب. البحوث باللغة العربية

١. امين، عبد الامير محمد، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني عشر، بغداد، ١٩٨٧.
٢. امين، محمد محمد، الصومال في العصور الوسطى والاسلامية، مجلة الدار، العدد الثاني، السنة العاشرة، الرياض، سبتمبر، ١٩٨٢.
٣. برج، محمد عبد الرحمن، البحر الاحمر والسياسة الدولية في نهاية القرن التاسع عشر ١٨٨١-١٨٩١، سمنار البحر الاحمر في التاريخ

والسياسة الدولية المعاصرة، ابحاث الاسبوع العلمي الثالث، جامعة عين شمس، ١٩٨٠.

٤. بركات، علي محمد، السياسة البريطانية في جنوب البحر الاحمر ١٨٨٤-١٨٨٩، سمنار البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ابحاث الاسبوع العلمي الثالث، جامعة عين شمس، ١٩٨٠.

٥. بو شرب، احمد، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الاحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة الخليج العربي، العدد ١، المجلد السادس عشر، جامعة البصرة، ١٩٨٤.

٦. التهامي، الفت، الجذور الاجتماعية للصراع في القرن الافريقي، مجلة السياسة الدولية، العدد ٥٤، القاهرة، مؤسسة الاهرام، اكتوبر ١٩٧٨.

٧. الجمل، شوقي، المراكز العربية على ساحل افريقية الشرقي والجزر القريبة منه، مجلة الوثيقة، العدد ٢٩، السنة الخامسة عشرة، البحرين، مراكز الوثائق التاريخية، يناير ١٩٩٦.

٨. حسن، يوسف فضل، الصراع حول البحر الاحمر منذ اقدم العصور وحتى القرن الثامن عشر، مجلة الدار، العدد الثالث، السنة الخامسة، الرياض، ١٩٨٣.

٩. دياب، احمد ابراهيم، الاطماع الايطالية في البحر الاحمر وارثيريا ١٨٥٩-١٨٨٥، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد ١، القاهرة، ١٩٨٨.

١٠. ديريه، احمد محمد، الصومال اثار القبيله في سياسته واثار سياسته في القبيله، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد ٦، القاهرة، ديسمبر، ١٩٩٦.

١١. سيد، محمد المعتصم، هزر تحت الحكم المصري الحملة التاريخية المصرية، العدد ٢، المجلد ٣، القاهرة، ١٩٥٠.

١٢. الشناوي، عبد العزيز، تكتل الدول لتدويل القناة نكاية في بريطانيا، مجلة كلية الاداب، المجلد الثالث والعشرون، الجزء الاول، جامعة القاهرة، مايو ١٩٦١.
١٣. _____، ما تكلفته مصر في انشاء قناة السويس، المجله التاريخيه المصريه، المجلد السادس، القاهرة، ١٩٥٧.
١٤. طه، جاد محمد، بريطانيا والصومال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سمناز البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصره، ابحاث الاسبوع العلمي الثالث، جامعة عين شمس، ١٩٨٠.
١٥. عاشور، سعيد عبد الفتاح، بعض اضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، المجله التاريخيه المصريه، المجلد الرابع عشر، القاهرة، ١٩٦٨.
١٦. فرج الله، سمعان بطرس، مستقبل جيبوتي بين اثيوبيا والصومال، مجلة السياسة الدوليّه، العدد السابع، القاهرة، كانون الثاني ١٩٦٧.
١٧. محمود، حسن احمد، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٢، بغداد، ١٩٨٠.
١٨. محمود، صالح رمضان، الصراع البرتغالي في اليمن ١٥١٧-١٥٣٨، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربيّه، العدد السابع والاربعون، السنة الثانيه عشره، البصره، تموز، ١٩٨٦.
١٩. ناجي، سلطان، الخلفيه التاريخيه للاحتلال البريطاني لعدن، مجلة دراسات الخليج والجزيره العربيّه، العدد الثاني، السنه الاولى، الكويت، أبريل ١٩٧٥.

سادساً: التقارير الوارده عبر شبكة الانترنت

1. Aguiar, Marian, Somalia, 2001.
2. Ajayi, A. F, Africa in the Nineteenth century until the 1880, 1996.
3. Chapin, Helen, Somalia, A country study, 1992.

4. Contemporary history Ethiopian, The Middle Ages, 2001.
5. Ethiopian history Era of the Princes 1769- 1855, January 2002.
6. Ethiopian history Modern Ethiopia 1855 -2001.
7. Imperial Ethiopia Crown Council of Ethiopia, The End of Colonialis- The Twentieth Century 2001.